

الدين والثورة

في مصر

١٩٥٢ - ١٩٨١

٤- الدين والتنمية القومية

دكتور حسن حنفي

الناشر
مكتبة مدبولي

الدين والتنمية في مصر

مقدمة :

كان الدين في مصر دائما هو تاريخها • فمنذ الفراعنة القدماء حتى العصور الحديثة كان الدين محورا في الحياة المصرية • كان فرعون ابن الله ، وكانت روحه المهية ، وكان الكهنة طبقة قوية تملئ قوانينها وتقاليدها على الدولة ، وكان الشعب يطيع قوانين الدولة باعتبارها قوانين الهيبة ، وبنى الشعب الاهرامات تعبيرا عن عواطفه الدينية • كانت الطبيعة أيضا المهية • فالنيل والشمس والعجل والحيوانات الاليفة آلهة • وكان للعلم والفن وظائف دينية • وكان للاستقرار السياسي والاجتماعي أو عدمه أسس دينية • ولم يتغير الوضع عما هو عليه طول تاريخ مصر •

وفي مصر الحديثة ، ظهر نمط مثالي للعلاقة بين القيادة السياسية وبين علماء الدين • فقد فصل محمد على أولا بعض العلماء الذين عارضوه واضعا بذلك حق الدولة في تعيين رجال الدين أو فصلهم وفي القضاء على كل أنواع المعارضة الدينية • ثم طلب ثانيا من العلماء تأييد برنامجه عن طريق اصدار فتاوى وتبرير القرارات السياسية

كتب هذا البحث سنة ١٩٧٨ كجزء من مشروع التنمية في مصر الذي اشرف عليه د. سعد الدين ابراهيم بناء على طلب « معهد الالم المتحدة للتدريب والبحث » في داكار ، السنغال ثم بناء على طلب « معهد الانماء العربى » في بيروت . وقد نشرت هياغة مختصرة له في كتاب « مصر في ربع قرن » ، معهد الانماء العربى ، بيروت .

للدولة باستخدام الدين • ثم استبدل ثالثا بالصفوة الدينية صفوة عسكرية جاعلا الاولى فى خدمة الثانية ومؤسسا بذلك الدين فى خدمة الدولة • ولكن فى نفس الوقت فان السيد عمر مكرم هو الذى ترأس حركة تنصيب محمد على واليا على مصر باسم شعبيها أى أن الحاكم يأتى ببيعة أهل الحل والعقد ولكن هذا النموذج لم يستمر فى تاريخ مصر الحديثة وظل نموذجا شرعيا خالصا فى تراثنا القديم (١) •

ويقتصر مفهوم الدين هنا على تصور القيادة السياسية للدين وكيف استخدمته من أجل تحقيق التغيير الاجتماعى والسياسى سواء مباشرة أو من خلال أجهزة الاعلام والمؤسسات • ولما كان نمط القيادة السياسية فى مصر منذ ١٩٥٢ حتى ١٩٨٧ ومازال على مستويات مختلفة نمطا « زعاميا » Charismatic فقد كان تصور القيادة السياسية للدين قوة حركية فعلية فى استخدام الدين كعامل للتنمية • ولهذا السبب تم استبعاد تحليل « ثقافة الجماهير » و « الوقائع الدينية » لأنها هى الحوامل والاعوية لتصور الزعامة للدين • لقد فرض المنهج الوصفى نفسه ليعين أولا القرارات الدينية الرئيسية وليبين ثانيا العامل الدينى وأثره على التنمية • الاول وصف ثابت Static والثانى وصف حراكى Dyanmic • ولما كنا نتعامل مع التصور ووعى الجماهير كان التحليل الفينومينولوجى ضروريا ليعين الدين باعتباره « قصدا » لدى القيادة السياسية • الدين هو صورة الشعور Noesis والتنمية مادته Noema . وبتعبير آخر الدين هو الوجه الذاتى للشعور والتنمية وجهه الموضوعى • وفى المعارك الاثنى عشر التى استخدمت فيها القيادة الدين كعامل

(١)

M. Bayyoumi : Religion and Modernism in Egypt, Dissertation, Temple University, 1971, Ch. I.

في التغير الاجتماعي والسياسي يظهر بناء دائم : الفعل ورد الفعل ، الهجوم والدفاع • يظهر الدين كآليات دفاع ضد هجمات من الداخل ومن الخارج على النظام السياسي • وباختصار فانه سيتم تطبيق منهج مشترك يقوم على التحليل الفينومينولوجي والبنائي لوصف الدين وأثره في التنمية

ولسنا في حاجة الى تحديد مسبق لمفهومى « الدين » و « التنمية » ، اذ يستعمل مفهوم « الدين » هنا في معناه الواسع الذى يشمل العقيدة والشعائر والنظم والقوانين والقيم ••• الخ • ويستخدم مفهوم « التنمية » أيضا في معناه الواسع الذى يشمل التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاخلاقية •

وقد اتبعت طريقة عرض المادة العلمية بأقل قدر ممكن من التدخل فتركنا ناصر يتكلم بنفسه بما في أسلوبه من خطابة وحماس وتكرار • يشفع ذلك بعض التعليقات والحكم عليه • الاساس هو خطب ناصر وكلماته وأحاديثه حتى يشارك القارئ في نفس التجربة ، ويشعر من الداخل بوضع الدين في فكره السياسي • وبالرغم من عيوب هذه النقطة التى « تعرض » ولا « تحلل » الا أن بها يستطيع القارئ أن يتذوق المادة الخام للبحث ويشارك في الحكم عليها • وكان الهدف العملى القريب أن تقرأ أجيال جديدة في عصر الثورة المضادة في السبعينات الخطاب السياسي الذى كان يعبر عن حلم الستينات •

أولا : التطور الدينى في مصر الحديثة :

ان أثر الدين على الحياة الاجتماعية والسياسية في مصر الحديثة يمتد الى ما قبل ١٩٥٢ • ودون ما حاجة الى الرجوع الى محمد على وبداية

مصر الحديثة فإنه يكفى وصف الاتجاهات الدينية الاساسية التى
ظهرت مباشرة قبل ١٩٥٢ •

(١) الاتجاهات الدينية قبل ١٩٥٢ :

انه من السهل وصف الاتجاهات الدينية فى مصر قبل ١٩٥٢ اذ
يحكم هذه الاتجاهات بناء ثلاثى يضم طرفين متعارضين وطرف
أوسط • الاول الاتجاه المحافظ أو التقليدى الذى تمثله المؤسسة الدينية
أو الجماعات الدينية مثل الاخوان المسلمين • والثانى الاتجاه العلمانى
أو الليبرالى الذى تمثله الجماعات المناهضة للمؤسسة الدينية مثل
الليبراليون والعلمانيون والماركسيون والغربيون بوجه عام • والثالث
الاتجاه الاصلاحى أو التجديدى الذى يتراوح بين الاتجاهين المتعارضين
السابقين (٢) •

١ — ويمثل الاخوان المسلمون أقوى الاتجاهات الدينية فى أواخر
الاربعينات وأوائل الخمسينات • كانت أيديولوجيتهم الاسلامية الجذرية
ولكن ليست بالضرورة يسارية • فى جوهرها كلية ، فالاسلام يؤخذ كله
أو يترك كله • وعلى الواقع أن يكيف نفسه طبقا للاسلام لا أن يكبف
الاسلام نفسه طبقا للواقع • وكانت أيديولوجية حركية قادرة على
تجميع أعضائها من كل الطبقات الاجتماعية فى خلايا مطيعين لرؤسائهم
ومكونين لانظمة شبيه عسكرية • وكانت أيديولوجية تقوم على
التعصب ، ترفض أى شكل من أشكال الحوار مع الجماعات

(٢) تتبنى معظم الدراسات فى تاريخ الحركات الحديثة هذا التقسيم
الثلاثى •

والايدولوجيات السياسية الاخرى • وكانت معادية للماركسية ، تربط الماركسية بالاحاد والمادية وان لم تكن معادية للاشتراكية بالضرورة • فالاسلام له رؤيته الخاصة للعدالة الاجتماعية وله نظمه الاقتصادية الخاصة به • ومن ناحية أخرى كان الاخوان المسلمون معادين للاستعمار • شاركوا في حرب فلسطين في ١٩٤٨ • وكانوا قوة أساسية في الصراع ضد الاحتلال البريطاني لقناة السويس في ١٩٥١ • وكانوا معادين للملكية التي كلفتهم زعيمهم في ١٩٤٩ (٣) •

والمؤسسة الدينية هي احدى الاشكال الهابطة والفاصلة أحيانا للاتجاه المحافظ • فقد كانت دائما وهتئى بعد ١٩٥٢ ، المبرر المعتاد للموقف الرسمي للنظام السياسى فى كل وقت • وكانت تستخدم دائما ضد الخصوم السياسيين ويطلق عليهم أوصاف الخوارج والمهدين • كان كبار رجال الدين بصفتهم موظفين فى الدولة مجرد مبررين للقرارات السياسية لاي نظام • وقد أفنوه بأن الملك من نسل النبى وبالتالي فمن حقه أن ينصب خليفة للمسلمين !

ولم يمنع ذلك بعضهم من الحفاظ على التراث الدينى الصحيح • فقد رفضوا كل أنواع الضغط من النظام السياسى لتبريره أو لتأييده • بل انهم على العكس أهدروا بيانات مفسدة تعارض القرارات السياسية • وقد تم فصلهم أو استبعادهم (٤) •

(٣) طارق البشرى : الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ ص ٣٦٧ — ٣٨٨ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ •

(٤) وأشهر مثل على ذلك فتوى الشيخ المراغى ضد نظام الحكم السابق على الثورة •

٢ — ويمثل الغربيون اتجاهين أساسيين : الماركسية والليبرالية •
فقد اعتبر الماركسيون الدين طبقا للتصور الناقص الذى ينقل عادة
عن ماركس أنه أفيون الشعب • الدين مظهر من مظاهر التخلف ، وعامل
من عوامل الاستغلال ، ومضاد للعلم • ولكن بعض الماركسيين الآخرين
اعتبر الدين « صيحة المضطهدين » وهى نصف العبارة التى قالها ماركس
ونسىها الناس ورأوا فيه عاملا ممكنا للتغير الاجتماعى والسياسى (٥) •

أما الليبراليون فان البعض منهم نظر الى الدين من وجهة نظر
وضعية أى وسيلة غير علمية للمعرفة ، ومرحلة تاريخية فى تطور
الانسانية • ونظر البعض المستنير منهم الى الدين على أسس عقلية
وان لم تكن عقلية خالصة • ورأى فريق ثالث فى الدين تعبيرا وجدانيا
خالصا أقرب الى الوجودية ومقولاتها فى السر والتناقص واللامعقول •
وهى كلها اتجاهات غربية امتدت داخل الفكر العربى المعاصر (٦) •

٣ — أما الاتجاه الاصلاحى أو التجديدى فانه قد توقف وانتهى
وعاد الى الاتجاه السلفى كما هو الحال عند رشيد رضا أو الاتجاه
المحافظ عند حسن البنا (٧) • كما انتهى الى الليبرالية تقليدا للغرب

(٥)

K. Marx, F. Engels : On Religion, New York, 1957

(٦) يتيمثل التيار الوضعى عند ممثلى المدرسة الاجتماعية والوضعية
فى مصر مثل على عبد الواحد وافي ، عبد العزيز عزت ، زكى نجيب محمود •
ويتيمثل التيار العقلى محمود قاسم. كما يمثل التيار الوجودى عبد الرحمن
بدوى على سبيل المثال لا الحصر •

(٧) تتلمذ حسن البنا على يد رشيد رضا فى دار العلوم ، وحاول
اصدار مجلة « المنار » عام ١٩٣٥ بعد توقفها • وأصدر بالفعل خمسة
أعداد عام ١٩٣٦ • انظر « مذكرات الدعوة والداعية » ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ،
دار الشهاب ، القاهرة •

عند على عبد الرازق وخالد محمد خالد • وقد أصبح الاتجاه التقدمى بعد ١٩٥٢ التطور الطبيعى للاتجاه الاصلاحى المتوقف • ويؤيد ذلك ما يذكر الميثاق فى باب « جذور النضال المصرى » والتأكيد على دور الفتح الاسلامى فى تأهيل الثورة المصرية وكيف أن الاسلام كشف لها هذه الحقيقة وأعطاهها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى فى اطار التاريخ الاسلامى • وعلى هدى رسالة محمد قام الشعب المصرى بأعظم الادوار دفاعا عن الحضارة الانسانية • ثم أتى الغزو العثمانى فدخلت مصر عصور الاسلام وظهرت عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارا ورهبة باسم الدين والدين منها براء • ثم ارتفع صوت محمد عبده فى الفترة الاخيرة ينادى بالاصلاح الدينى ، وارتفع صوت لطفى السيد ينادى بأن تكون مصر للمصريين ، وارتفع صوت قاسم أمين ينادى بتحرير المرأة (٨) • بل ان الاشتراكية الديمقراطية تنتسب أيضا حسب رأى بعض أساتذة جامعة طنطا من الذين عهد اليهم كتابة الايديولوجية الجديدة فى عصر الثورة المضادة فى السبعينات الى محمد عبده ولطفى السيد وأحمد أمين وطه حسين والعقاد ومن اليهم من هذا الرعيل العظيم (٩) •

(ب) التكوين الدينى للضباط الاحرار :

يعكس التكوين الدينى للضباط الاحرار نفس الاتجاهات الدينية الرئيسية التى كانت موجودة قبل ١٩٥٢ • فقد كانت الثورة مجرد

(٨) قاسم أمين : المرأة الجديدة ، تحرير المرأة •

(٩) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ص ٨٧ — ١٠٨ ، يوليو / تموز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ •

انقلاب في النظام السياسي • استمرت الاتجاهات الدينية الرئيسية قبل الثورة وبعدها مع اشتداد حدة الصراع بينها • فقد حاول كل اتجاه الحصول على أكبر قدر ممكن من التأثير على النظام الجديد • كان عبد المنعم عبد الرؤوف وكمال الدين حسين أظهور ممثلين للاتجاه المحافظ عند الاخوان المسلمين • وكان يمثل التيار الماركسي الديني خالد محي الدين • وكان الدين لديه ينحو نحو صوفيا موروثة عن طريق العائلة فقد كان جده أحد مشايخ الطرق الصوفية • وكان أهمه حمروش أحد أعضاء حدثو ومن الضباط الاحرار في نفس الوقت • أما باقي الضباط الاحرار فكانوا يدورون في فلك ناصر • وكان ناصر يجمع في شخصه عديد من الاتجاهات • فقد كان في وقت ما على اتصال بالاخوان المسلمين • عرف حسن البنا ولكنه لم يكن عضوا في جماعته • وقد اتيم في الجيش بأنه على اتصال بالبنا يعمل في حركته السرية • ويدرب الفدائيين التابعين له • واتهم أيضا بالعنف والقاء القنابل • وقد اعترف ناصر بأنه عرف الامام وأنه لم يكن لديه أي اعتراضات على تدريب الفدائيين الاخوان لتحرير فلسطين (١٠) • وقد كان ناصر بالفعل ذا علاقة وطيدة بالبنا • وقد تعود أن يخطر زملائه بالمناقشات التي عقدها معه • وظل على علاقة بالاخوان بعد وفاة البنا • ولكن هذه الاتصالات لا تجعل ناصر ضابط حرا ذا اتجاه ديني • فقد اتصل ناصر بالاخوان باعتبارهم جماعة سياسية أكثر من كونها جماعة

(١٠) مجموعة خطب جمال عبد الناصر ، وزارة الارشاد القومي ، الجزء الأول ١٩٥٢ - ١٩٥٨ (وسنشير اليها فقط باسم الجزء ورقم الصفحة : مثلا ج ١ ص ٠٠ في حين أن مجموعة خطب السادات خمسة أجزاء أيضا . سنشير اليها بعلامة س قبل الجزء والصفحة) قصة الثورة نشرت في احدى الصحف الصباحية ١٩٥٣/٧/٢ .

دينية مثل اتصالاته بالجماعات السياسية الاخرى • وقد اعترف ناصر أيضا فيما بعد أنه قد تأثر بالنبي محمد وبالمسيح • ولكنه كان يعنى بذلك أنه رجل متدين عادى دون حماس دينى خاص (١١) • وكان ناصر أيضا على اتصال بالدوائر الماركسية كما كان عضوا في حزب مصر الفتاة • وبالرغم من عدم وضوح انتمائه الايديولوجى أو غياب أية أيديولوجية له على الاطلاق فإنه يمكن تحديد التكوين الدينى لناصر على نحو سلبى • لم يكن محافظا مثل الاخوان ولا راديكاليا علمانيا أو ماركسيا أو ليبراليا •

ولكن بعض الضباط الاحرار كانوا أعضاء عاملين في الاخوان المسلمين كما كان البعض الآخر من المتعاطفين معهم • وقد كان هناك تعاون وثيق بين الثورة والاخوان قبل اندلاع الثورة • كما كان هناك تشابه بين منشورات الضباط الاحرار وبرامج الاخوان فيما يتعلق باستقلال البلاد والتحرر من الاستعمار الانجليزى والقضاء على الاقطاع والفساد ونقد الحزبية • ولما قامت الثورة ظن الناس أنها ثورة الاخوان • فقد أفرجت الثورة عن المعتقلين السياسيين من الاخوان لانهم مواطنون كافحوا الظلم ، واتجهت اليهم الثورة لانهم قوة ربيت على الحق ، كان يرجى منهم خيرا كثيرا (١٢) • اعتمدت الثورة على شعبية الاخوان وعلى اتصالهم بالجماهير فوجدت فيهم معبرا نحوها • وبالرغم من بقاء الصلة بين الثورة والاخوان في بدايتها الا أنها سببت غضب القوى الكبرى على الثورة • وبالإضافة الى اشتراك

(١١) المصدر السابق ص ٢١٧ •

(١٢) المصدر السابق ص ٢١٧ ، فى المقر الرئيسى لهيئة لتحرير

• ١٩٥٤/٨/٢١

الضباط الاحرار من الاخوان مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ليلة الثورة فقد أرسل الاخوان آلاف من أنصارهم في الشوارع لحراسة السفارات والقنصليات والاحياء الاجنبية وللتعبير عن التأييد الشعبى للثورة • كان الاخوان عيون الثورة على الداخل والخارج فى البداية •

(ج) القرارات الدينية الرئيسية أو أثر التنمية على الدين :

يبين هذا العرض التاريخى للقرارات الدينية الرئيسية فى مصر منذ ١٩٥٢ — ١٩٧٧ كيف أن الدين لم يكن خارج التنمية وكيف كانت التنمية شاملة تضم الدين أيضا • كما يبين أثر التنمية على الدين أكثر مما يبين أثر الدين على التنمية • ومعظم هذه القرارات جمهورية مثل قانون الاحوال الشخصية وقانون تطوير الأزهر • والبعض منها قرارات وزارية بناء على توجيهات من الرئيس مثل البرامج الدينية فى أجهزة الاعلام • لم تنشأ هذه القرارات فى معظمها بناء على معارك سياسية بل بناء على رغبة فى الإصلاح ، وغالبا لم تحدث لها معارضة فى الداخل أو فى الخارج •

١ — الغاء المحاكم الشرعية :

صدر القانون رقم ٤٦١ لسنة ١٩٥٥ بشأن الغاء المحاكم الشرعية كما تنص على ذلك المادة الاولى «تختص المحاكم بالفصل فى كافة المنازعات فى المواد المدنية والتجارية والاحوال الشخصية والوقف والولاية عليه وجميع الجرائم الا ما استثنى بنص خاص • كما صدر القانون رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٥٥ بشأن الغاء المحاكم الشرعية والمحاكم المحلية واحالة الدعاوى التى تكون منظورة أمامها الى المحاكم الوطنية • وتبين المذكرة الايضاحية السبب فى هذا الالغاء وهو أن تقضى قواعد القانون العام

أن تكون سيادة الدولة تامة ومطلقة داخل بلادها • كما تتخى بأن يخضع جميع السكان على اختلاف جنسياتهم لقوانين البلاد ومعاصمها ولجهة قضائية واحدة بصرف النظر عن نوع المسائل التي تناولتها خصوصاتهم أو القوانين التي تطبق عليها • وقد كان الحال في مصر قبل اصدار هذا القانون عكس ذلك ، تعدد الجهات القضائية دون صلة أو رابطة بينها ، محاكم شرعية ، وقضاء عالى ، ثم أصبحت لكل طائفة قضاؤها الخاص • فنشأ تنازع بين المحاكم • وبعد الغاء الامتيازات كان من الطبيعي خضوع الرعايا الاجانب للقوانين الوطنية تحقيقا للسيادة القومية • كانت للطوائف غير الاسلامية أربعة عشر مجلسا لا تنعقد الا في فترات متباعدة ، وقوانينها باليونانية والعبرية أو السريانية أو الارمنية أو القبطية التي لا يفهمها غالبية المتقاضين • ولما كانت الثورة قد قامت لتحقيق أهداف البلاد في الاصلاح والقضاء على الفساد في شتى نواحيه فان العقوبات المتقدمة ما كانت لترد الحكومة عن أداء واجبها في اقامة صرح القضاء • وهى مطالبة بتوفير سبل التقاضى لجميع رعاياها دون تطرف أو تحيز • ولهم قبلنا ما يقتضيها باعباء الاصلاح ولو لم يصادف هوى البعض • وليس للحكومة أن تسلم بوجود هيئات قضائية داخل الدولة تملى عليها ارادتها أو تنهض سياسة الاصلاح فيها أو تتحكم في طريق الاصلاح (١٢) • ولم تظهر أية معارضة من جانب رجال الدين • بل على العكس قام شيخ الازهر مع بعض المشايخ بتهنئة ناصر على أخذه هذه « الخطوة التحررية » نحو اصلاح النظام القانونى في مصر • لم يجذب الاسلام نظاما قانونيا خاصا لتطبيقه بين الناس • كما أن الاسلام لم يضع

أية قواعد لتحديد الصلة بين الحاكم والمحكوم أو تحديد المسموح به من غير المسموح به ! ان أساس القانون الاسلامى هو أساس أخلاقى وليس أساسا شرعيا ! فبدلا من الضبط الشرعى هناك الوعى الخلقى ! ولقد تم الغاء المحاكم الشرعية ليس باسم الدين بل للقضاء على مآسى المحاكم الشرعية ومضارها على الناس • ومع ذلك ظلت المآسى قائمة فى قانون الاحوال الشخصية •

٢ - قانون الاحوال الشخصية :

صدر القانون رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ ببعض الاجراءات فى قضايا الاحوال الشخصية والوقف والتي تختص بها المحاكم بمقتضى القانون السابق • فهو قانون مكمل له • فبعد الغاء المحاكم الشرعية اقتضت القوانين الشرعية على قانون الاحوال الشخصية • وينص قانون الالغاء على أن الاحكام فى المنازعات التي كانت من اختصاص المحاكم الشرعية تصدر طبقا لارجح الاقوال من مذهب أبى حنيفة عدا الاحوال التي وردت بشأنها قواعد خاصة (١٤) • وتنص المادة الاولى على أنه يجوز للنياحة العامة أن تتدخل فى قضايا الاحوال الشخصية التي تختص بها المحاكم الجزئية وفى كل قضية أخرى تتعلق بالاحوال الشخصية أو بالوقف والا كان الحكم باطلا • ومازال النقاش دائرا حول قانون الاحوال الشخصية • وقد رفعت السلطة السياسية يدها عنه حتى تبين مقدار ما يتمتع به الناس من حرية وديمقراطية • تركت

(١٤) قانون الاحوال الشخصية للمسلمين وغير المسلمين ، المطبوعات الرسمية •

الجدل لرجال الدين لتكون لهم اليد العليا في مثل هذا الموضوع
الملاسياسى • فقانون الاحوال الشخصية قانون خاص لا شأن له بالحياة
العامة الاجتماعية أو السياسية • فالخير والشر والتقدم والتأخر كليهما
مسائل تقليدية لا شأن لها بالسياسة ! لم تدخل القيادة السياسية معركة
قانون الاحوال الشخصية وتركتها لرجال الدين نظرا لانها لا ينتج
عنها أى مضمون سياسى • وبناء على استفسار من أحد أعضاء
المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية لشرح الميثاق عن المقصود بمساواة
المرأة بالرجل وما مداه وحدوده ، وهل ستكون مقيدة بالقيود الشرعية
وخاصة فى الميراث ، وهل يتعارض ذلك مع الأديان ، أجاب ناصر بأنه
لا يتدخل فى الشرائع السماوية وعلاقتها بالاحوال الشخصية ولكن
يجب مساواة المرأة بالرجل ، ويجب أن تأخذ فرصة كى تحافظ على
نفسها وتعمل • فالمرأة التى تعول أولادا أو المرأة المحتاجة الى عمل
أو غير المتزوجة قد تنحرف ، ولكن فرصة العمل للمرأة حماية لنفسنا
وللمجتمع • والمرأة أساس المجتمع لانها تمثل الام والاخت والزوجة •
لا تعنى المساواة أن نتزوج المرأة بأربعة كما أثار البعض فى الصحف
لان ذلك ضد الاسس الاجتماعية والأديان • قد تكون المرأة فى
الوزارات ، وقد تكون عضوا فى مجلس الامة • وهى موجودة فى مؤتمر
القوى الشعبية • المرأة تتعلم وتبنى ، وهى نصف المجتمع • أما فى
النواحى الدفاعية فهذا أمر آخر • وهنا تبدو النظرة النسبية للمرأة من
جديد وتحديد نشاطها فى ميدان دون ميدان •

أما فيما يتعلق بالنواحى الشرعية فان تعدد الزوجات تتم ممارسته
بطريقة خاطئة • اذ يكذب الرجل على زوجته الثانية ويخبرها بأنه غير
متزوج • وهذا ليس من الشرع أو الدين • هذه أشياء ممكن اصلاحها

بعد بحثها • فليتزوج وايكن صادقا ويقول انه متزوج وطلاق أو تزوج
اثنتين أو ثلاثة حتى لا يغرر بفتاة بريئة مسكينة قد تكون أخت كل
مواطن أو ابنته • هذه هي الشريعة • فالفتاة التي تتزوج ثم تكتشف
أن زوجها متزوج من قبل تكون حياتها قد انتهت تماما • الممارسة
الحقيقية للشريعة هي سبيل الاصلاح دون المساس بها • ولكن لا تكون
العصمة بيد المرأة ، وهذا الموضوع متروك للشريعة تدلى فيه برأيها •
انما المهم أن يكون للمرأة حياة كريمة وشريفة • ولكن وزير العدل يجذب
أن تدخل المرأة قاضية في جميع المحاكم ماعدا الجنائيات والنقض سيرا
في رفع القيود المهنية على المرأة •

وفي مناقشات المؤتمر القومي ذكرت د • زينب السبكي أن المرأة
شاركت الرجل في الحروب منذ أيام الرسول ولكن الرئيس لم يرد ولم
يعقب مما يدل أن الدين لم يكن لديه سلاحا في معركة المساواة الرجل
بالمرأة بل لم تكن معركة على الاطلاق بل مجرد تعبير عام واقرار لواقع
بديهى خالص (١٥) • وبعد ١٩٧٠ لم يعد موضوع المرأة هو حقوقها بل
ايمانها • فقد نشأت المرأة العربية على الارض التي كانت مهبط جميع
الرسالات السماوية فأخذت عنها الايمان العميق بالله • كانت خديجة
أول من تلقى نبأ الوحي والرسالة • وهناك أسماء بنت أبى بكر وغيرها
في التاريخ العربى الاسلامى القديم والحديث ، طريق المرأة هو
طريق الحرية والحق والفضيلة والايمان • ان المرأة المثقفة المؤمنة
أعلى جوهرة تهدى لامتها لما تضيفه على بيتها وأبنائها من هدى

(١٥) س ج ٢ ص ١٣٥ ج ٤ ص ٣٤١ — ٣٤٥ ج ٥ ص ٣ — ٤
(مجموعة خطب واحاديث الرئيس محمد أنور السادات ، وزارة الاعلام ،
الهيئة العامة للاستعلامات) .

الايمان الذى يشع فى الاسرة كلوا نورا • وقد شهدت مصر الاسلامية
من فضليات النساء الكثيرات (١٦) •

ولكن فى موضوعات أخرى لم تحدث معارك قبل تحديد النسل •
صحيح أنه انشىء مركز السكان وتنظيم الاسرة ولكنه لم يتجاوز
اجراء بعض البحوث عن توزيع السكان فى مصر • ولم تنشأ توعية
دينية من أجل تحديد النسل ولم تصدر أى فتوى رسمية فى صفه •
ولكن ذلك لم يمنع من تقلبات المنظرين فيه تؤيده ، وتورد فيه الحجج
الفعلية والعقلية ، وترد على الحجج المضادة ، ولكن لم تشتعل المعركة •
وذلك لان القيادة السياسية تركت الامر مفتوحا على الخيار ولم تأخذ
فيه جانب دون جانب مما يدل على أن الدين كعامل فى التنمية لم يكن
حاسما أو مقصودا (١٧) •

٣ — الغاء الوقف :

لقد صدر قانون الغاء الوقف رقم ٦٢٨ لسنة ١٩٥٥ من أجل
استثمار قطع كبيرة من الاراضى ومبالغ كبيرة من المال بدلا من ابقائها
بلا استثمار أو زيادة خدمة للناس وانتفاعا بها وحرصا على بقائها
وزيادتها • وبالتالي شيدت أبنية عديدة ، واستثمرت الاموال فى
البنوك • فزادت الاعمال الخيرية وأصبحت أكثر نفعا خاصة فى مشاريع

(١٦) ناصر ج ٥ ص ٤٤٣ خطاب ومناقشات مع الشباب فى معسكر
منظمة الشباب الاشتراكى العربى بطوان ١٨/١١/١٩٦٥ •

(١٧) المصدر السابق ج ٤ ص ٦٨ ، ص ٥٥٨ ج ٥ ص ٦٦٩ •

الاسكان • وأصبح الوقف ليس فقط موضوعا للاستهلاك بل أيضا موضوعا للاستثمار • ولم تحدث معارك حول هذا الموضوع • بل أنه بعد ١٩٧٠ ظهر تسيب في أموال الوقف وممتلكاته ، وحدثت سرقات ومبايعات صورية وعمولات فيما يسمى بقضية المغربى التى يتختمل أن يكون الشيخ الذهبى قد ضحى بحياته بسببها • فقد كان أول من نبه على هذه الاختلاسات •

٤ — قانون تطوير الازهر :

صدر قانون تطوير الازهر فى ٥ يوليو ١٩٦١ رقم ٦٠٣ بشأن اعادة تنظيم الازهر والهيئات التى يشملها معترفا بالازهر وبهيئاته ، والغاء للقوانين السابقة رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ • فالازهر « هو الهيئة العلمية الاسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الاسلامى ودراسته وتجليته ونشره • وتحمل امانة الرسالة الاسلامية الى كل الشعوب ، وتعمل على اظهار حقيقة الاسلام وأثره فى تقدم البشر ورفى الحضارة وكفالة الامن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا وفى الآخرة • كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للامة العربية ، واظهار أثر العرب فى تطور الانسانية وتقدمها • وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والاهداف القومية والانسانية والقيم الروحية ، وتزويد العالم الاسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشرعية الاسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين متفهمين فى الدين ، يجمعون الى الايمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين

للمشاركة في كل أسباب النشاط والانتاج والزيادة والقُدوة الطيبة ،
وعالم الدنيا للمشاركة في الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة
الحسنة • كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات
والهيئات العلمية والعربية والاجنبية « (١٨) •

الهدف اذن من التطوير هو حفظ التراث وتنقيته ونشره ، ونشر
الدعوة الاسلامية واظهار الدور التقدمي للاسلام في رقى الشعوب ،
وبيان حضارة العرب والاعتزاز القومى بها • والاهم من ذلك كله
اعداد جيل جديد من العلماء يجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا أو
كما يقال بلغة القدماء بين علوم النقل وعلوم العقل • ولكن يظل
الازهر تابعا لرياسة الجمهورية ، ويعين وزير لثئون الازهر بقرار
جمهورى ، وبالتالي فهو ليس هيئة مستقلة • ومن ثم يسهل على
الدولة اعطاء توجيهاتها الى شيخ الازهر • وهو أيضا معين بقرار
جمهورى تتجمع السلطات كلها في يده • فهو الامام الاكبر وصاحب
الرأى في كل ما يتصل بالثئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم
الاسلام • وله الرياسة والتوجيه في كل ما يتصل بالدراسات الاسلامية
في الازهر وهيئاته • وفي نفس الوقت هو موظف في الدولة يأتهم
بأوامرها ، ويبرر قراراتها • ويرأس المجلس الاعلى للازهر • وان
لم يكن شيوخ الازهر قبل تعيينه عضوا بمجمع البحوث الاسلامية ،
وهو الشرط الوحيد لتعيينه ، فان لرئيس الجمهورية الحق في تعيين
شيخ أزهر من خارج المجمع ويصبح بقوة التعيين عضوا في المجمع
أى أن هذا الشرط الوحيد وهو شرط العلم ، ليس ملزما لرئيس

الجمهورية • ولشيخ الأزهر حق مقاضاة نظار الاوقاف • كما يعين وكيل الأزهر أيضا بقرار جمهوري ويشترط أن يكون عضوا بالمجمع • ولكن رئيس الجمهورية له الحق في تعيين الوكيل من خارجه • بالتالى يصبح عضوا في المجمع بقوة القرار الجمهوري • لذلك يثار هذه الايام سؤال : لماذا لا يتم انتخاب شيخ الأزهر من المجلس الاعلى للأزهر أو من مجمع البحوث الاسلامية أو من هيئة كبار العلماء أسوة بانتخاب بابا روما ؟

ويشمل الأزهر الهيئات الآتية :

(أ) المجلس الاعلى للأزهر • ويتكون من شيخ الأزهر وله رئاسة المجلس ، ووكيل الأزهر ، ومدير جامعة الأزهر ، وعمداء الكليات بجامعة الأزهر ، وأربعة من أعضاء مجمع البحوث الاسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار جمهوري بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين ، وأحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من وزارات الاوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة بقرار من الوزير المختص ، ومدير الثقافة والبحوث الاسلامية ، ومدير المعاهد الازهرية ، وثلاثة أعضاء من ذوى الخبرة في شئون التعليم الجامعي يكون أحدهم على الاقل من أعضاء المجلس الاعلى للجامعات ويعين بقرار من الوزير المختص بناء على أخذ رأى المجلس وترشيح الأزهر لمدة سنتين • ويختص المجلس الاعلى للأزهر بالتخطيط ، ورسم السياسة العامة للأزهر ، ورسم السياسة التعليمية ، والنظر في الميزانية ، واقتراح انشاء الكليات والمعاهد ، وقبول الاوقاف والوصايا والهبات ، والنظر في كل مشروع قانونى أو قرار جمهوري يتعلق بالأزهر ، والنظر في منح

العالمية الفخرية ، وتشكيل اللجان الفنية الدائمة ، وتديبر أموال الازهر ،
والنظر في كل ما يعرضه عليه شيخ الازهر •

(ب/ج) مجمع البحوث الاسلامية وادارة الثقافة والبعوث
الاسلامية • وهى الهيئة التى تقوم بالبحث والدراسة وتحقيق أهداف
الازهر العلمية « تعمل على تجديد الثقافة الاسلامية ، وتجريدها من
الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها
فى جوهرها الاصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى
وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية
تتعلق بالعقيدة ، وحمل تبعة الدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة
الحسنة » (١٩) • ويتألف المجمع مما لا يزيد على خمسين عضوا من كبار
علماء الاسلام يمثلون جميع المذاهب الاسلامية ، منهم عشرون من
خارج الجمهورية العربية المتحدة • يعينون بقرار من رئيس الجمهورية •
يرأسه شيخ الازهر ، ونصف الاعضاء متفرغون •

(د) جامعة الازهر • وتختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى
وبالبحوث ، وتحقق رسالة الازهر المنصوص عليها فى الباب الاول •
وتتكون من كليات للدراسات الاسلامية ، وكلية للدراسات العربية ،
وكلية المعاملات والادارة ، وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ،
وكلية الطب • ويجوز انشاء كليات أو معاهد أخرى بقرار من رئيس
الجمهورية • وتتكون كل كلية من عدة أقسام • اللغة العربية هى لغة
التعليم الا بقرار من مجلس الجامعة ينص على لغة أخرى • والتعليم

بالمجان للطلاب المسلمين بصرف النظر عن جنسياتهم • ويجوز توقيع العقوبات التأديبية على أعضاء هيئة التدريس ابتداء من الانذار واللوم حتى العزل والحرمان • وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الاسلام أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل • وكل من يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين يطلب نقلهم الى وظائف أخرى خارج نطاق الازهر •

(هـ) المعاهد الازهرية • وتشمل الاقسام الابتدائية وتسمى المعاهد الاعدادية ، والاقسام الثانوية وتسمى المعاهد الثانوية • وتقوم مدرسة تحفيظ القرآن مقام المرحلة الاولى • والغرض من المعاهد الازهرية « تزويد تلاميذها بالقدر الكافي من الثقافة الاسلامية ، والى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الاخرى المماثلة ليخرجوا الى الحياة مزودين بوسائلها واعدادهم الاعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الازهر ولتتبعهم جميعا فرها متكافئة فى مجال العمل والانتاج كما تهيأ لهم الفرص المتكافئة للدخول فى كليات الجامعات الاخرى • وتذكر القيادة السياسية هذه الانجازات فى خطبها السياسية تأكيدا على دورها فى التنمية الدينية • فبعد خمس سنوات من قيام الثورة وفى التعليم الدينى كانت ميزانية الازهر ١٣٩١ر٥٥٠ جنيها وأصبحت ٢٠١٥ر٣٦٠٠ • وكان للازهر ٢٥ معهدا أصبحت الآن ٣٧ • وكان فيه ٢٢ر١٣٥ طالبا أصبح فيه ٣١ر٥٥٦ وفى مصر الآن من البلاد العربية والاسلامية ٢٠٠ عالم ومبعوث • ويبنى الازهر مدينة للمبعوث الاسلامية وتتكلف ٢ مليون جنيه (٢٠) • وقد تم رصد

(٢٠) موسوعة ناصر للفقهاء الاسلامى ج ١ •

خمسة ملايين جنيه لمشروعات الازهر الجديدة في الخمس سنوات القادمة ، وانشاء معاهد زراعية وتجارية وصناعية لأول مرة تابعة للازهر (٢١) .

وفي ١٤ مايو ١٩٧٥ تم بحث تعديل قانون تطوير الازهر وذلك بتقديم المجلس الاعلى للازهر مشروعا بتعديل بعض مواد قانون التطوير ١٩٦١ . ويستهدف التعديل دعم المركز الدينى العالمى للازهر وتمكينه من أداء رسالته فى الداخلى والخارج .

وقد حدثت عدة شروح وهوامش على القانون من بعض المسئولين . فقد أعلن دء البهى وزير الاوقاف عن تخرج أئمة متخصصين للمصانع والمؤسسات العمالية بعد ادخال الدراسات الجديدة فى جامعة الازهر لتخريج أزهريين مؤهلين متخصصين للعمل أئمة ومصالحين وروادا عمالين فى المصانع والمؤسسات والنوادرى العمالية . كما تقرر انشاء شعبة جديدة للدعوى العمالية لهذا الغرض من الخريجين الممتازين فى كليتى أصول الدين والشريعة الاسلامية وسيدرس هؤلاء الخريجون جميع النظريات الاقتصادية العالمية دراسات مقارنة مع المبادئ الاسلامية . كما سيدرسون الخدمة الاجتماعية العمالية ، ونظم العدل والانتاج ، والقانون العمالى ، واللغات ، والمواد التعاونية . وكان السيد حسين الشافعى قد أعلن من قبل بعد وضع حجر الاساس لجامعة الازهر أنها مقر جديد ، وتجعل الفكر الاسلامى ايجابيا وفعالا يتصدى لكل تهديات المستعمرين ضد الاسلام والمسلمين فى شجاعة وحزم

(٢١) التربية الدينية ، وزارة التربية والتعليم ، المراحل الاولى والثانية والثالثة . انظر أيضا « ورقة أكتوبر » .

لا يعرف الهزيمة ولا التردد • ان تطور الازهر يعتبر عملا ثوريا تقضى به الثورة على آثار المستعمر • فقد أعادت الثورة العقيدة الى المجتمع • ولا بد للقوة من عقيدة تدفعها كما لا بد للعقيدة من قوة تحميها • وسوف يعطى هذا التطوير الطالب الازهرى مزيدا من الطاقات العلمية والاسلامية (٢٢) •

• — المجلس الاعلى للشئون الاسلامية :

أنشأ المجلس الاعلى للشئون الاسلامية فى ١٩٦٠ • وامتد نشاطه الى جميع أرجاء العالم الاسلامى والوطن العربى وجميع القارات للتعريف بالاسلام واحياء التراث الاسلامى • وقد نشر المجلس موسوعة جمال عبد الناصر للفقهاء الاسلامى سدت فراغا كان موجودا • ويصدر شهريا تسلسلتين : الاولى « دراسات فى الاسلام » ، والثانية « كتب اسلامية » • كما يصدر كل أول شهر مجلة « منبر الاسلام » • وبجانب طبعتها العربية تصدر طبعات أخرى بالانجليزية والفرنسية والاسبانية • وقد جمع المجلس القرآن الكريم جمعا صوتيا (المصحف المرتل) ، وأوفد بعثات الوعظ والارشاد وتعليم اللغة العربية وأنشأ المراكز الاسلامية فى أرجاء العالم • وابتداء من يونيو ١٩٦٠ حتى يوليو ١٩٦٠ تم توزيع أربعة ملايين نسخة من المطبوعات على العالم الاسلامى ، وثمانية آلاف نسخة من القرآن المرتل ، وسبعمائة ألف اسطوانة صلاة • هذا بخلاف ما تم توزيعه داخل الجمهورية العربية المتحدة •

وينقسم المجلس الى عدة لجان : لجنة التعريف بالاسلام ، لجنة

احياء التراث الاسلامى ، لجنة الخبراء ، لجنة احياء مصادر كتب السنة ، اللجنة العامة للقرآن والسنة ، لجنة تجديد مبادئ الشريعة الاسلامية .

وقد أنشأ هذا المجلس نظريا كجزء من وزارة الاوقاف ولكنه عمليا يتبع رئاسة الجمهورية مباشرة مثل « المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية » ، « لجنة الطاقة الذرية » ، « وأكاديمية البحث العلمى » . وكان الغرض من انشائه البحث عن الاحلاف فى أول الثورة المصرية ومحاولتها الخروج عن حدود مصر ، وفى وقت لم تبرز فيه القومية العربية بعد وكانت الوحدة الافريقية مجرد افتراض . ونظرا لان الدول الافريقية المستقلة كانت معدودة على أصابع اليد الواحدة فانه لم يعد أمام الثورة المصرية الا الدائرة الثالثة ، دائرة العالم الاسلامى . ولم يتجاوز نشاط المجلس عن مبنى جميل فى حى راق ، وهو حى الزمالك ، ومركز مرموق ومؤسسة غنية ، لا تخضع للرقابة واسم واسع المشهورة فى العالم الاسلامى أو المسيحي الغربى . كان السادات أول رئيس له ، وعويضة آخر رئيس اتهم بمخالفات مالية وفساد ادارى ومقدم الآن للمحاكمة . لم يتعد نشاط المجلس بعض الرحلات والزيارات للبلاد الاسلامية وتبادل البعثات الدينية مع بعض المؤسسات الدينية الاخرى مثل السكرتارية لغير المسيحيين فى روما التى تمت اقامتها بعد المجمع المسكونى الحادى والعشرين الاخير . وعلى أحسن الفروض أعطى المجلس مئات من نسخ القرآن والكتب الاسلامية خاصة للبلاد الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ومجلة منبر الاسلام ، وهى مجلة تقليدية لا أثر لها على الحياة الدينية أو السياسية فى مصر ، وسلسلة الكتب الاسلامية سواء من التراث القديم أو من المؤلفات المعاصرة ، سواء باللغة العربية أو باللغات الاوربية من أجل عرض

الاسلام ، عقيدة وشريعة الى المسلمين غير الناطقين بالعربية أو الى غير المسلمين في الغرب بوجه عام ، وذات طابع تقليدي . أما موسوعة « ناصر » للفقهاء الاسلامي فانها دائرة معارف تقليدية للفقهاء الاسلامي ، ولا صلة لها بالثورة الا من خلال اسم ناصر (٢٣) .

ويبدو من أسماء الكتب القومية التي نشرها المجلس مثل « الميثاق الوطني » ، « شريعة العدل شريعة الله » ، « وحدة الهدف قبل وحدة الصف » ، « دراسات في الميثاق » ، « رسالة الى اليمن » ، « اخوان الشيطان » ، « وثيقة للتاريخ » . الخ الهدف السياسي منه ، وملاحظته للاحداث السياسية ، وسيره في ركاب السلطة ، تملى عليه ما يفعل ، وتوجه نشاطه .

ودخل المجلس معركة الاسلام والاشتراكية ليس بالضرورة بتوجيه من السلطة ولكن لان الخادم يعرف من تلقاء نفسه ما يريد السيد . فقد صدرت في سلسلة الرسائل والدراسات الاسلامية : « دراسات في الاسلام » ، « الاسلام والمذاهب الاقتصادية » ، « اشتراكية الاسلام واشتراكية الغرب » ، « الربا بين الاقتصاد والدين » ، « مجتمعنا الجديد والشريعة الاسلامية » ، « الفرد في المجتمع الانساني » ، « الملكية الخاصة وحدودها في الاسلام » ، « المساواة في الاسلام والمدنية الغربية » ، « دعوة الميثاق الوطني من دعوة الاسلام » ، « النظام الاقتصادي والاسلام » ، « الاسلام والتحرر من الجوع » ، « الاسلام ومنهجه في الاقتصاد والادخار » . ومن سلسلة كتب اسلامية صدر :

« الاشتراكية العربية في حدود الاسلام والواقع العربى » ، « التكامل والضممان الاجتماعى فى الاسلام » ، « فلسفة الحرية فى الاسلام » ، « أثر التشريع الاسلامى فى الوحدة العربية » ، « الحرية عند العرب » ، « العمل فى الميثاق » • وكلها صدرت فى وقت المد الاشتراكى العربى •

٦ - التربية الدينية :

لقد نص الدستور المصرى لسنة ١٩٥٦ لسنة ١٩٦٤ الصادر فى ٢٥ مارس على أن الاسلام هو الدين المرسى للدولة • اذ تقول المادة الخامسة : الاسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية • لذلك أصبحت التربية الدينية اجبارية فى كل المدارس للمسلمين والاقباط على السواء • وتقول المادة السابعة : « الاسرة أساس المجتمع قوامها الدين والاخلاق والوطنية » • ويعكس الرئيس ذلك بأن مصر من أكثر البلاد تمسكا بالدين باعتراف كل الناس • فان القانون الجديد للتعليم جعل تعليم الدين بالنسبة للديانات المختلفة مادة أساسية لان الدين هو الوازع • لقد تعلم الناس الدين من الاسرة ، وتعلموا الفرق بين الحلال والحرام ، وتوارثوا هذا أبا عن جد • فالمسلم لا يكون مسلما بالبطاقة ولكن بالتعليم وحفظ القرآن • ويظهر نفس الموضوع بعد ١٩٧٠ • فردا على سؤال طالبة لماذا لا يدرس الدين فى الجامعات نظرا لاحتياج الشباب للناحية الدينية ، ولماذا لا تحسن مستوى اللغة العربية التى هى فى انهيار مستمر لدرجة امتلاء الكتب الجامعية بأخطاء لغوية وبالرغم من وجود مجمع اللغة العربية وهو مجرد برج عاجى يعيش بعيدا عن مشاكل اللغة ؟ استحسن الرئيس السؤال ، وأثنى على صاحبه ، وكلف د • شمس بتولى تنفيذه بالنسبة للدين واللغة العربية والتربية القومية قبل السنة الدراسية القادمة • وهنا

تبدو المزايدة المتبادلة من المسائل والمجيب ، واغفال الواقع العربى ذاته بكل مشاكله ، وطلب حماسى مكشوف • وتزداد حمى التربية الدينية بعد ١٩٧٠ • فقد أنشئت لجنة التربية الاسلامية لبحث التربية الاسلامية ومناهج تعليمها ومراجعة شاملة لكتبها • أصبحت التربية والاخلاق مادة أساسية للتعليم فى المدارس بقرار آخر من المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى والتكنولوجيا ! ودعا الازهر لتطوير التعليم الدينى بالجامعات • واقترح جعل مادة التربية الدينية من مقررات الجامعة على كل المستويات وفى كل الكليات • وتم تكليف الازهر بتولى التوجيه الدينى بالجامعات لتصحيح المفاهيم وتعبئة الشباب دينيا والقضاء على الفراغ الدينى لديهم وعلى الانحرافات الاخلاقية البارزة • كما أصبح من واجباته التصدى لمحاولات الغزو الفكرى والاحاد ، وادانة الشغب ! ويشكل لجنة لمواجهة حوادث ١٨ / ١٩ ناير ١٩٧٧ دفاعا عن الحكومة ، وتأييدا لقرارات زيادة الاسعار التى تخلت عنها الحكومة فيما بعد • وقد بلغ الامر الذروة بموافقة مجلس الدولة بتاريخ ٧٧/٨/٦ على مشروع قانون باقامة حد الردة القاضى باعدام المرتد عن الاسلام عمدا بقول صريح وبفعل قطعى وبعشرة سنوات لمن ارتد أكثر من مرة وبعقوبات رادعة اذا وقعت الردة من قاصر ! وثبت الردة بالاقرار مرة واحدة أو بشهادة رجلين ومنع المرتد من التصرف فى أمواله !

وفى الحماية الدينية الاخيرة أصبحت عبارة تطبيق أحكام الشريعة تجلب التصفيق والمزادة واستجداء الشعبىة الرخيصة • ففى ابريل ١٩٧٦ أعطيت توجيهات لوزارة الثقافة والاعلام فى اتجاه تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية • وفى أغسطس من نفس العام ظهرت برامج فى أجهزة الاعلام للتعريف بالشريعة الاسلامية تمهيدا لجعلها

مصدرا للتشريع • وناقش مجلس الشعب قانون تحريم الخمر وقطع يد السارق تمهيدا لاصدار قانون يستثنى منه العرب والاجانب خدمة للسياحة !

وتشمل مقررات الدين بالمرحلة الابتدائية القرآن والعقائد والعبادات والسيره والتهديب • ويشمل التهديب فى السنة الاولى محبة الوالدين والرفق بالحيوان ، وفى السنة الثانية محبة الاسلام والنظام وآداب المنزل ، وفى السنة الثالثة النظام وآداب الطريق والمدرسة وحب الاصدقاء والجيران والصدق ، وفى الرابعة يبرز موضوع الادخار • وفى المرحلة الاعدادية تقدم التربية الدينية نفس الاقسام الخمسة ، يضم التهديب موضوعات المحافظة على المرافق العامة ، وأدوات الانتاج ، والاعتدال فى الانفاق ، والحد من الاستهلاك ، وآداب الصحبة ، والاخوة والتضامن الاسلامى • وفى الصف الثالث الاعدادى يتسع التهديب أكثر فأكثر ويشمل احترام العمل والاختصاص فيه ، والمحافظة على أدوات الانتاج وصيانتها ، والمحافظة على الاموال العامة ورعاية الآخرين والبعد عن الايذاء ، وآداب المعاملة فى البيع والشراء ، وحفظ الودائع ورد الامانات • ويتضح من موضوعات التهديب الموضوعات الاجتماعية التى أبرزتها الثورة • وبالإضافة الى التربية الدينية هناك أيضا التربية القومية • يشمل منهج الصف الخامس الابتدائى تعريف بالجمهورية العربية المتحدة ونظام الحكم فى الدولة • ثم نتحدث عن المقومات الاساسية للمجتمع وعلى رأسها التمسك بالدين والاخلاق • ولكن تظل باقى المواد مثل ثروة الوطن والمشكلات القومية والوطنية والقوات المسلحة والثورة لها الاغلبية على المواد الدينية • ولا يشمل القرار فى المرحلة الاعدادية شيئا من

القيم الدينية بل كلها مقومات الثورة وتاريخ الثورات المصرية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية والقومية العربية • ثم تظهر بعض القيم الدينية في المرحلة الثانوية المستحدثة من ورقة أكتوبر مثل دولة العلم والايمان ، والتمسك بالقيم الروحية والدينية(٢٤) • ويدل هذا التمييز بين التربية الدينية والتربية القومية بالرغم من تداخلهما على النزعة الاصلاحية النسبية التي تدخل بعض الجوانب الاجتماعية في التربية الدينية وتدخل بعض القيم الدينية في المقررات القومية دون التوحيد الشامل بينهما كما هو الحال في الثورات الاكثر جذرية •

٧- الموضوعات والبرامج الدينية في ميادين الثقافة وأجهزة الاعلام:

لقد امتد نشاط القطاع العام الى ميدان الثقافة والاعلام • فقد أنشئت الدار القومية للطباعة والنشر والتي تسمى الآن « الهيئة العامة للكتاب » ، وزادت كمية النشر للكتب الدينية • وأصبحت سلسلة « تراثنا » من أشد الكتب رواجاً مما يدل على أن المثقفين لم يجدوا شيئاً يقرؤنه أفضل من تراثهم القديم • كانت التنمية الاقتصادية موازية لسلفية الثقافة • كما أنشئت عدة سلاسل اسلامية لعرض وجهات النظر الاسلامية في الموضوعات السياسية والاجتماعية التي تثيرها القيادة السياسية مثل التحرر من الاستعمار ، العدالة الاجتماعية ، المساواة • وقد راجت هذه الكتب مما يدل على أن التنمية في المجتمع من الداخل ذات أثر فعال • كما ظهرت عدة مجلات اسلامية جديدة وبالرغم من طابعها التقليدي الا أنها تعبر عن الحماس الدينى للمثقفين •

(٢٤) امانة الدعوة والفكر ، مكتب الشؤون الدينية • وايضا مجلة « الاتحاد الاشتراكي العربى » ، العدد الثالث •

وقد خصصت الصحف اليومية صفحات خاصة لادين يوم الجمعة من كل أسبوع • وبالرغم من طابعها التقليدي أيضا الا أنها تعبر عن الرغبة في التغيير من خلال الاستمرارية • وقد أخذت احدي هذه الصفحات الدينية مرة الموضوع على نحو جدى وبدأت في نقد التجارة بالدين والطرق الصوفية ورجال الدين فتوقفت في الحال وعزل محررها • وهذا يدل على أن أى عمل جاد فى الدين كعامل للتنمية أكثر مما يتطلبه النظام السياسى • فالدين يأتى خلف التنمية وليس قبلها • تأتي المبادرة من السياسة ويترك التبشير للدين •

وفى أجهزة الاعلام أنشئت محطة خاصة للقرآن الكريم ففى ١٩٦٤/٣/٢١ بدأت اذاعة القرآن ارسالها لكافة المسلمين • وهى متخصصة فى اذاعة القراءات مع الشرح والتفسير للقرآن الكريم • واستمر معدن ارسالها من ٦٤ / ٦٥ حتى ٦٦ / ١٩٦٧ بمعدل ١٤ ساعة يوميا • كما أذيعت برامج دينية خاصة مثل « نور على نور » ، وأخيرا العلم والايمان • ويؤذن للصلوات الخمس اليومية فى الاذاعة والتليفزيون • وتذاع صلاة الجمعة والاعياد بحضور القيادة السياسية على رأس الاحتفالات والمواكب الرسمية • وكان الهدف من هذه المحلات الدينية هو اضافة الشرعية على القيادة السياسية بمشاركتها الجماهير فى شعائرها الدينية • وفى مناقشات المؤتمر القومى العام يؤكد الرئيس على أعمال الثورة بالنسبة للدين ، والاكتثار من المواد الدينية فى الاذاعة والتليفزيون ، وعلى انشاء محطة خاصة لاذاعة القرآن والتفسير • وفى ١٤ مايو ١٩٧٧ فتح اكتاب لصالح اذاعة القرآن الكريم لتطوير اذاعة القرآن على مدى ٢٤ ساعة يومية بدون توقف • ووضع حسين الشافعى فى ١٤/٣/١٩٦٤ الحجر الحجر الاساسى

لانشاء دار القرآن ، وخصصت له ميزانية ١٥٠ ألف جنيه لنشر التراث القرآنى (٢٥) *

وقد قام مكتب الشؤون الدينية بالاتحاد الاشتراكى العربى بمهمة مماثلة • وكان الهدف من انشائه اعداد البحوث المختلفة فيما يختص بالعلاقة بين الدين والاشتراكية اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا حتى يؤمن كل فرد بأن اشتراكيئنا علمية لا تتنافى مع تعاليم الاسلام • وكذلك التصدى للفئات الضالة المعرقة من الرجعيين ، من يستغلون الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وكشف خروجهم على الدين ومفاهيمه ، وكذلك القضاء على الاسرائيليات التى يراد بها الاضرار بالاسلام وصيانة الدين من دعايات المستشرقين • ويعقد المكتب عدة اجتماعات اسبوعية مع علماء الاسلام من مفتشى المساجة وأئمتها ورجال الوعظ والارشاد ومشايخ أروقة البعوث الاسلامية والمهتمين بالمسائل الدينية من أساتذة الجامعات وغيرهم من العلماء والمثقفين ورجال الدين المسيحى وذلك لشرح المفاهيم الاشتراكية والرد على معارضيتها • كما يعقد المكتب اجتماعات عامة بأكبر عدد ممكن من علماء المسلمين ورجال الدين المسيحى • بالإضافة الى عدة اتصالات فردية عن طريق زيارات الكبار من رجال الازهر والاقواف والبطيركية القبطية ولبعض الجمعيات الاسلامية • وكانت خطة المكتب تنظيم محاضرات خاصة وعامة للربط بين الحقائق الدينية والمقاصد الاشتراكية، واعداد ندوات لها صبغة اشتراكية روحية ، واعداد منشورات وتوزيعها

(٢٥) نماذج عديدة من مكتبة الامام ، وزارة الاوقاف ١٩٦٨ — ١٩٧٠
تقديم حسين الشافعى • العدد الاول من السلسلة ص ٩ — ١٢ •

ترتبط بين الاشتراكية الدين ، والاستعانة بالاعتماد الدينية كشمس
رمضان، وعيد رأس السنة الهجرية والاراد الفوري لاقاء محاضرات
أو عمل ندوات لربط المناسبة الدينية بخير المجتمع ، واعداد مناهج
دراسية لعلماء الاسلام بالاتفاق مع المسؤولين بالاقواف لربط الخطب
والمواعظ بالتعاليم الاسلامية الصحيحة التي تتضمن كل ما يحتاج
اليه البشر في حياتهم الاجتماعية والسياسية ، والعمل على تقوية
فعالية الهيئات الاسلامية وربطها مع مكتب الشؤون الدينية ، واستعمال
نشاطها لا بل اغ الفكر الاشتراكي الى الشعب ، والاتصال بالشعوب
الاسلامية في أفريقيا وآسيا وأوربا والامريكيتين ، وتوثيق الصلة
بقيادة الهيئات الشعبية فيها لنشر الوعي الديني والمناهج الصحيحة •
وقد أنشئت جرائد جديدة ومجلات شهرية من أجل الدعوة الجديدة •
فنشرت مجلة « الاشتراكي » عدة مقالات عن الدين لخدمة الحركة مثل
مناهج التاريخ الاسلامي ، وهي الجريدة التي تصدرها أمانة الدعوة
والفكر بالاتحاد الاشتراكي العربي ، أمانة التنظيم السياسي وتوجيه
الدين •

٨ - تنظيم الطرق الصوفية :

على الرغم من أن القيادة السياسية لم تمنح الطرق الصوفية من
الاشتراك في الاحتفالات الدينية العامة فانها حاولت اعادة تنظيمها
بتنقيتها من مظاهر الشعوذة والفساد التي انتشرت فيها • وقد كانت
هناك عدة محاولات آخرها صدور القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦
بشأن نظام الطرق الصوفية باسم رئيس الجمهورية محدد أهداف
الطرق الصوفية وتنظيماتها بأنها التربية الدينية والروحية بما يتفق

مع أحكام الشريعة الإسلامية ، والدعوة الى العمل بها بالوعظ والارشاد ، وتنظيم الذكر الصوفي . كما تحدد المادة الثانية بأنه : « لا يجوز لاعضاء الطرق الصوفية القول بعقائد أو اتيان أفعال أو اقامة موالد أو احتفالات أو اذكار تخالف أحكام الشريعة الإسلامية أو النظام العام أو الآداب » (٢٦) . ويلتزم رجال الطرق الصوفية في ممارسة أنشطتهم بما يتفق مع الكتاب والسنة والمبادئ الصحيحة . والسلطة العليا « المجلس الاعلى للطرق الصوفية » . وهى هيئة لها شخصيتها المعنوية المستقلة . وأغراضها « دينية وروحية واجتماعية وثقافية ووطنية ، وتلتزم في كل نشاطها بكتاب الله وسنة رسوله » . ويتم تشكيل هذا المجلس من شيخ مشايخ الطرق الصوفية وعشرة أعضاء من مشايخ الطرق الصوفية المنتمين لعضوية المجلس وممثل الأزهر وممثل لوزارة الاوقاف وممثل لوزارة الداخلية وممثل لوزارة الثقافة وممثل للامانة العامة للحكم المحلى والتنظيمات الشعبية . ويعين شيخ مشايخ الطرق الصوفية بقرار من رئيس الجمهورية من بين مشايخ الطرق الصوفية المنتمين لعضوية المجلس الاعلى للطرق الصوفية .

ويجب أن يبلغ الرئيس محاضر الجلسات الى الوزراء المثلة لوزاراتهم فى المجلس وذلك خلال خمسة أيام من تاريخ الجلسة . ولا يجوز انشاء أو تنظيم أية طريقة صوفية جديدة الا اذا كانت لا تشابه طريقة من الطرق الموجودة فى اسمها أو اصطلاحها . ويصدر بذلك قرار من وزير الاوقاف وشئون الأزهر بالاتفاق مع وزير الداخلية بناء على موافقة المجلس الاعلى للطرق الصوفية . وعند خلو منصب

الشيخ يعين الابن الاكبر ثم أخوه ثم ذو القربى ثم كبار رجال الطريقة ! ويعين شيخ الطريقة نوابه وخلفائه وخلفاء الخلفاء بسائر المحافظات • ويعد بمقر كل طريقة سجلات بأسماء أعضاء الطريقة والنواب والخلفاء وخلفاء الخلفاء • ويجب تقديم هذه السجلات لمشيخة الطرق الصوفية ولغيرها من السلطات المختصة للاطلاع عليها عند طلبها • وينظم القانون الانشطة الصوفية والموالد والمواكب ومجالس الذكر والاحتفالات الدينية والمعاهد الصوفية الاسلامية •

ويلاحظ على هذا القانون الرغبة في جعل نشاط الطرق الصوفية مطابقا لاحكام الشريعة وتخليصها من الانحرافات ومظاهر الشعوذة والفساد • ولكن يلاحظ أيضا رغبة القيادة السياسية في السيطرة عليها وذلك بتعيين شيخ مشايخ الطرق الصوفية بقرار جمهورى وبوجود ممثل للسلطة السياسية سواء من وزارة الاوقاف أو من وزارة الثقافة أو من وزارة الحكم المحلى أو من وزارة الداخلية وهو الاهم من أجل الحفاظ على الامن العام • كما أن تبليغ الوزراء بمحاضر جلسات المجلس الاعلى للطرق الصوفية وتسجيل أسماء الاعضاء والخلفاء لتقديمها الى السلطات يجعل الطرق الصوفية تحت عين وبصر السلطة السياسية • بل ان نظام الخلافة على مشيخة الطرق هو نظام وراثى خالص ، الابن الاكبر ، فالاخ ، فذو القربى • لم يمس اصلاح الطرق الصوفية طابعها الاوتوقراطى ، بل كان هدف السلطة السياسية وضعها تحت المراقبة حتى لا يستغلها أحد لاغراض سياسية مناوئة وحتى تستغلها القيادة السياسية لصالحها الخاص فى احتفالاتها ومواكبها مما يفيض على السلطة السياسية الشرعية الدينية الواجبة أمام الشعب المتدين وأمام الناس •

٩ - حركة بناء المساجد وتوجيه الأئمة :

وقد وصل الاكثار من بناء المساجد لدرجة التنافس بين الحكومة والمواطنين ، وبين رجال الحكومة أنفسهم وبين المواطنين فيما بينهم • فبناء مسجد جميل عظيم في ميدان عام علامة على الوجود الفعلى للقيادة السياسية ودليل على انجازاتها • وقد ينافس مسؤول المسئولين الآخرين في المساهمة في بناء المساجد قرارا أو تبرعا أو رعاية لاثبات أفعاله الحسنة أثناء ولايته من أجل اعادة انتخابه أو تعيينه • وحملة التبرعات في حقيقة أمرها حملة حكومية لانها تتم بموافقة وزارة الشؤون الاجتماعية • وأكثر المساهمين في بناء المساجد هم الفنانون ورجال الاعمال لاسباب عديدة • اذ يريد الفنانون ، بصدق أو عن سوء نية ، أن يبينوا أن الفن قد أرجعهم الى الله ! أما رجال الاعمال فانهم يريدون مباركة الله لاعمالهم والاكثار منها ووقايتهم من الحسد أو يغطون بها أعمالهم الماشرعية وتلاعبهم في الاسواق • وقد يهدف البعض من ذلك الى الغاء المضرية الحقارية اذا ما جعل أحد أدوار عقاره مصلى ! وتوضع الانوار ومكبرات الصوت على رؤوس المآذن أو حول أسطح المساجد • ويقول الناس ساخرين من كثرة المساجد : بين كل مسجد ومسجد يوجد مسجد • ولا تبنى المدارس والمستشفيات بنفس الكثرة • يعنى الدين هنا فقط دور العبادة وليس عاملا للتنمية مع أن عديدا من الامثلة العامية تجعل خدمة المجتمع أولى من بناء المساجد مثل « اللى محتاجه البيت يحرم على الجامع » • وقد شيدت وزارة الاوقاف منذ الثورة ١٥٠٠ مسجدا جديدا ، وأثنت كثيرا من المساجد القديمة ، وأمدتها بمكتبات ومقرئين • كما وضعت حوالى ١٦٠٠٠ مسجدا تحت الادارة المالية للوزارة • وبالرغم من أن هذا التضاد الزائد في بناء المساجد لا يهدر بقرار جمهورى الا أنه يعبر

عن تيار أساسى للقيادة السياسية وهو الحرص على الاسلام الشعبائى
الذى يبتعد عن الاسلام السياسى *

وقد استعملت الخطب فى صلاة الجمعة من أجل التوجيه
السياسى * وأصبحت وزارة الاوقاف ترسل نماذج من الخطب الدينية
لائحة المساجد من أجل اشراف مركزى على دور القيادة نظرا لاتصالها
بالناس وخطورتها فى توجيه الرأى العام ايجابا أم سلبا * وانساب
على الموضوعات المرسله الموضوعات التقليدية مثل الطهارة ، والصلاة ،
والايمان ، وقليل منهما فى السياسة باستثناء المعارك السياسية التى
تخوضها القيادة السياسية باستخدام الدين * ولكن هذا التوجه الدينى
لم يحدث أثرا كثيرا لان صورة خطيب المسجد أمام الناس هو أنه يخاف
قول الحق ، ويؤثر السلامة فى حديثه * ولكن الموضوعات التقليدية التى
توزعها وزارة الاوقاف على خطباء المساجد هى فى حد ذاتها قرار
سياسى بتحجيم أثر الخطباء فى توجيه الرأى العام والقضاء على حريتهم
فى اختيار الموضوعات واستقلالهم فى طريقة تناولها *

ومنذ ابريل ١٩٦٨ بدأت وزارة الاوقاف اصدار سلسلة دينية
باسم « مكتبة الامام » عن الادارة العامة للدعوة تتضمن خطب الجمعة
المذاعة ونشرات التوعية الدينية * « ولتد حرمت على تقديم هذه
السلسلة فى مجموعتها الاولى تأكيدا لاهمية الرسالة التى يضطلع بها
المسجد فى مجال الربط بين الدين والحياة ، وابرار للدور الكبير الذى
يقع على عاتق الامام فى هذه المرحلة الحاسمة من حياة شعبنا المؤمن
بربه ووطنه وعروبتة ، المتمسك بقيمه الروحية والاخلاقية ، المتفانى
فى سبيل مبادئه وأهدافه ، الصامد فى معركته المقدسة ، معركة الحق
والشرف والكرامة حتى يتحقق له النصر باذن الله » * الغرض من هذه

السلسلة هو تجنيد الائمة والوعاظ ليكونوا بمثابة المدافعين عن نفس والمبادئ والقيم والعقيدة التي يدافع عنها الجيش • فبعد الهزيمة في ١٩٦٧ تحولت المعركة من جيش يقاتل الى دولة تدعم المعركة بعنصر هام من عناصر تكوينها وهو الدين والايمان • ولكي تؤثر في هذه الجماهير المعريضة تم اللجوء الى الحماسة الدينية من خلال رجال الدين وائمة المساجد • « ان الامام جندي في جيش الدعوة لا يقل أثره عن أخيه الجندي الرابض على أرض الميدان • هذا يجاهد بالسلاح وذلك بتدعيم العقيدة والايمان • وكلاهما يجاهد في سبيل وطن واحد ومبادئ واحدة • فلا جرم أن يكون رجال الدعوة وأئمتها بمثابة الجيش الروحي الذي يشارك في صنع النصر وصنع المستقبل بالعقيدة والايمان » • وفي هذه الفترة التي يقف فيها الوطن ممثلاً لقوة الحق والسلام صامداً أمام قوى الظلم والطغيان فإنه أحوج ما يكون الى التعبئة الروحية الرشيدة التي كرس لها كل وسائل الاعلام وكل أجهزة الدعاية حتى حاربت الملائكة معنا في معركة النصر ، معركة رمضان • ولم تمر مناسبة دينية الا وأقيمت الاحتفالات ، وذكرت العبر والواعظ التي من الممكن أن تفيده • « لقد مرت بنا خلال الشهور الماضية نعمات من هذا الفيض الغامر استروضا منها عظمة الاسلام وروعة القرآن وسمو تعاليمه حين احتفلنا بمواسم كريمة مباركة كذكرى الهجرة النبوية الكريمة » • لقد كان الاحتفال يتم على المستوى الشعبي ولكنه الآن على المستوى الشعبي والرسمي وبكل أجهزة الدعاية واستحداث احتفالات أخرى مثل ذكرى مرور أربعة عشر قرن على بدء نزول القرآن • هذه الاحتفالات والمناسبات الدينية ترتبط بالمناسبات القومية المصرية كما ترتبط بمعركة التحرير والنصر • فمن توفيق الطالع ان الاحتفال بهذه المناسبة الدينية قد تم في نفس الوقت لمناسبة

قومية سيكون لها أبعد الاثر في حياة الشعب الصامد وتقرير مصيره وهي صدور بيان ٣٠ مارس الذى قرر فيه الرئيس أن لا صوت أعلى من صوت المعركة • واذا كان الرئيس قد حدد خطة العمل في كافة المجالات القومية لحشد جميع الطاقات الجماهيرية على طريق العمل الديمقراطي لكسب معركة التحرير والنصر بما يحقق للمجتمع العربى دعم المكاسب الاستراتيجية ودفعه الى مزيد من الصلابة والقدرة والصمود فان الدين يأتى بعد ذلك ليقوم بدور هام في هذه الفترة الصعبة التى يمر بها الشعب • وليس أولى من بيوت الله أن تكون أول مكان لتزويد دعوة القائد الى الاعداد للمعركة والاستجابة لندائها • وليس أولى من خطب الجمعة والدروس الدينية التى تلقى في بيوت الله في جميع أنحاء الجمهورية أن تكون مجالاً لابرار هذه القيم والمعانى السامية التى تنطوى عليها رسالة الاسلام الخالدة • ان رسالة الامام فى المقام الاول هى التعريف بالاصول الصحيحة للدين الحنيف ، وتعبئة القوى الروحية والمعنوية حول الغاية الشريفة التى يجاهد فى سبيلها وثمرت المعركة من أجلها • ولكى يقوم رجال الدين بهذه المهمة ولكى يكونوا تعبيراً عن طبيعة هذه المرحلة تمت صياغة هذه النماذج لخطب الجمعة والنشرات الدينية لكى تكون أصداء قوية تعبر عن طبيعة المرحلة التى يجتازها الشعب فى هذه الفترة على أساس فهم مشكلات المجتمع المعاصر والربط بينها وبين مصادر الاسلام وتوجيهاته • وتتولى الوزارة اصدار مجموعة الخطب والنشرات وتقوم بطبع مختارات من الخطب التى أعدها السادة الائمة فى مختلف المحافظات حتى تكون هذه السلسلة مجالاً لابرار الكفاءات الممتازة من بين الائمة الشبان •

ويعرض د • عبد العزيز كامل نائب وزير الاوقاف لموضوع « الهجرة والتغير » بنتاول شخصيات الهجرة وتوزيع الاعمال والتنظيم العملى

وصورة الهجرة وأهدافها مستخدما هذه العناصر في الاستعداد الايجابي لبناء الفرد المسلم الذي ظهرت الحاجة اليه بعد الهزيمة • وهو ما تحتاج اليه البلاد في المرحلة التي تجتازها الآن ، صعودا فوق المنكسة ، وتجمعا من أجل الهدف الكبير ، واستنقاذ الارض المسليبة ، واستعادة للحق الاصيل • ويقوم الشيخ على الرفاعي بنفس الشيء في خطبة ألقاها بمسجد عمر مكرم في ٢٩/٣/١٩٦٨ بعنوان « الهجرة منطلق المسلمين الى النصر » • ويربط الخطيب بين تعامل النبي مع اليهود وغدرهم في زمنه وبين غدر اليهود والصهيونية الحالي • « ان الصهيونية الباغية مازالت تدبر الفتن وتمكر بالمسلمين وتحاول أن تجد لها مكانا في أرض العروبة ، وها هي ذى آخر محاولاتهم الدنيئة حيث اعتدوا على العرب الأمنين وشنوا عدوانهم بتأييد من الاستعمار • فالقتال الذي بيننا وبين اليهود لم يكن من أجل وطن سائب فقط وانما هو قتال مقدس يجب أن يشارك فيه كل مسلم بنفسه وماله • ففى انتصار الامة العربية على اليهود انتصار للاسلام » • وفي خطبة للشيخ ابراهيم جازوم بمسجد السيدة زينب في ١٥/٤/١٩٦٨ عن تعبئة القوى المادية والمعنوية لمواجهة المعركة فيقول : « ان الواقع الذى نحيا فيه هذه الايام يحتم علينا أن نكون فى تعبئة كاملة مادية ومعنوية لمواجهة هذا العدو المغادر الذى يحاول بكل سبيل أن يسلبنا حقنا ويغتصب مقدراتنا • ان المعركة كما تخدم بالمال والسلاح فانها تخدم أصدق خدمة بالعمل الجاد الخالص » • وهناك خطب كثيرة عن الثبات والصبر كطريق الى النصر • وكلها لشحذ الهممة وتعبئة الجماهير • ولكنها لم تتجاوز الوعظ الدينى السياسى الذى سرعان ما يتبخر بمجرد مغادرة المسلمين المساجد شأنه شأن الوعظ الدينى التقليدى تماما • فالواقع ذاته لا يعد للمعركة ، ورجل الشارع يقف

متفرجا • لم يطلب منه شيء فطلى الا من اقامة ساتر على منزله أو طلائه
زجاج سيارته باللون الازرق أو وضع أشرطة لاصقة على زجاج
النوافذ !

وتهدف خطب عديدة الى التركيز على الصلة الوثيقة بين الايمان
والعمل ، بين العقيدة والسلوك • ففي خطبة الشيخ عبد الرحمن
النجار في مسجد كفر الدوار في ١٩٦٨/٥/٣ بعنوان « تكافل العقيدة
والعمل » يقول : « العقيدة لا بد لها من أن تتجسد في عمل ايجابي •
وكما أن العمل من مظاهر تكريم الانسان فالثورة كذلك صورة راقية
من صور رفع مستوى الجماهير الى مستوى المسؤوليات العامة •
والواجب علينا مقابلة هذا التكريم بكلمة الحق نقولها في برنامج ٣٠
مارس وفيمن يمثلنا وأجمل واجبات التحرير والنصر وآمال ما بعد
التحرير النصر • ويطبق الايمان في المجتمع في صور متنوعة في صورة
دعوة الى مواجهة الاعداء والتصدي للمعتدين والكفاح من أجل ازالة
آثار العدوان واستخلاص الحق السليب ، وفي صورة كفاح ضد
طغيان رأس المال واستغلال الكادحين الذين يبذلون عرقهم وجهدهم
ويذهب ناتج عملهم الى غيرهم » •

كما أصدرت وزارة الاوقاف عدة نشرات عن « العدالة والمساواة
في الاسلام » ، « تعبئة جميع القوى لاحراز النصر » ، « قداسة العمل
في الاسلام وتأمين حقوق العاملين » ، وبمناسبة عيد الفلاحين « الارض
والزراعة » ، « أبناؤنا في دور العلم » عن الاسلام والعلم لتوجيه
أئمة المساجد نحو الموضوعات الثورية الجديدة واكتشافها في الاسلام (٢٧) •

(٢٧) نشرت وزارة الاوقاف : « العدل في الاسلام » ، « المساواة في
الاسلام » ، « العمل في الاسلام » . . . الخ .

كما صدرت نشرات عدة عن الشورى فى الاسلام من أجل ربط الدين بالحياة • كما جمعت عدة نماذج من الخطب فى « زاد الخطيب » مركزة على القيم الاجتماعية الجديدة مثل الجهاد ، والنصر ، والانفاق ، والعلم والعمل ، والتحذير من الاسراف ، والحد من الاستهلاك ، والعدل الاجتماعى ، والثورة على الظلم والاستغلال ، وتنظيم الاسرة ، والاماكن المقدسة ... الخ • والعجيب أن بعض موضوعات الخطب لا صلة لها بالواقع السياسى على الاطلاق مثل « الشورى وأهميتها ومكانتها فى الاسلام » مما يؤكد أن الوعظ الدينى السياسى لا أثر له ولا فاعلية • فلا يعقل أن يدعو النظام التسلطى لبدأ الشورى • الشورى تربية على المشاركة فى العمل ، وتوثيق الروابط بين قوى المجتمع المؤمن وقياداته على أساس مستوى أخلاقى رفيع • ومبدأ الشورى مطلوب فى كل الاوقات • واذا كان لازماً فى الاوقات العادية فهو فى أوقات الشدة والحروب ألزم • الشورى تأكيد لمسئولية المجتمع ، ومشاركة للقيادة فى التغلب على النكسة ، ومواجهة المرحلة القادمة فى برنامج يحدد انطلاق الطاقات الى العمل فى طريق واضح • كما ألقى الشيخ عبد الرحمن شمس الدين محمود فى مسجد الامام الشافعى فى ١٢/٤/١٩٦٨ خطبة عن « الشورى من خلال الاسلام » قائلاً : « الديمقراطية الاسلامية هى النظام المطبق لحصانة الفرد وصلابة الجماعة • وليس هناك بين يدي الله فرق بين الراعى والرعية ، وبين الكبير والصغير الا بدعوة العقيدة والايمان بها ايماناً لا يرقى اليه الشك والعمل الصالح • فالمسلمون فى شتى بقاع الارض أمة واحدة يشد بعضهم أزر بعض فيما يعود عليهم بالخير ، ولكل منهم رأيه فى سياسة أمره وفيما يساس به ، وليس من الاسلام الاستئثار بالرأى ولكنه شورى بين العاملين • ان المشورة بين الراعى والرعية

أصل من أصول الحياة الصالحة في الاسلام * وان نصيحة الرعية ومعاونتها لولى الامر واجب فرضه الله على جميع أفراد الامة *
تعنى الشورى أن أمر الشعب بيده فعليه أن يرتفع الى هذه المسئولية ويقول رأيه بصدق واخلاص * فلو غير انسان رأيه واختار من لا يصلح كان شاهدا للزور «(٢٨) *

ثانيا : دور الدين في معارك التنمية :

بين العرض التاريخي السابق أن الدين كموضوع مستقل كان موضع الاهتمام ، ودخل في عملية التنمية كأحد مظاهر البناء الاجتماعى * ولكن ظل محدود الاثر ، يتم التعامل معه على نحو سطحي وكأنه موضوع اقتصادى أو سياسى فى حاجة الى اصلاح واعادة بناء عن طريق القرارات الجمهورية أو الوزارية * كان الدين غاية والتنمية وسيلة * ولكن دخل الدين أيضا كعامل مؤثر فى عمليات التنمية خاصة فى المعارك السياسية ، فأصبح الدين وسيلة والتنمية غاية * لم تعد القرارات الجمهورية تجدى بل حلت محلها توعية الناس واستعمال الدين كأساس أيديولوجى لتبرير الانظمة الاجتماعية والسياسية الجديدة *

ويمكن التمييز بين ثلاث مراحل فى دخول الدين معارك التنمية :

(أ) المرحلة الاولى : من ١٩٥٢ — ١٩٦٠ وهى المرحلة التى تتم فيها استخدام الدين من أجل تحويل الانقلاب العسكرى أو الحركة

(٢٨) « الشورى فى الاسلام » ، خطبة عبد الرحمن شمس فى مسجد الامام الشافعى ١٢/٤/١٩٦٨ .

المباركة في يوليو ١٩٥٢ الى ثورة شرعية تقوم على التضحية والجهاد ،
تناهض الاستعمار ، وتقضى على الارهاب والتعصب ، وتعمل للوحدة
العربية ، وتحارب الطائفية ، ونقف أمام الماركسية والالحاد . وقد
استخدم الدين في تأييد هذه القيم الجديدة الثورية من أجل سد
النقص النظرى عند الضباط الاحرار ومن أجل الارتباط بالجماهير التي
أيدت الثورة في بدايتها عن طريق صياغة عدة شعارات ظلت مع الثورة
منذ بدايتها حتى الآن .

(ب) المرحلة الثانية : من ١٩٦١ — ١٩٦٦ وهى المرحلة التي بلغ
فيها استخدام الدين في معارك التنمية الذروة سواء في البناء
الاشتراكي بعد قرارات يوليو في ١٩٦١ ومعارك الاسلام والاشتراكية
أو في مقاومة الحلف الاسلامى والرجعية العربية لمحاصرة القوى الثورية
العربية . وهنا يظنر الدين كاسلوب للدفاع عن النظام الاشتراكي ضد
تهم الكفر والالحاد وكهجوم على الحلف الاسلامى باعتباره صورة
أخرى لحف بغداد الاستعماري القديم .

(ج) المرحلة الثالثة : من ١٩٦٧ — ١٩٧٧ وهى المرحلة التي
أبتدأت بهزيمة ١٩٦٧ وانتهت فيها كل المعارك ، وظهرت فيها قيم
سلبية. جديدة مثل الايمان والصبر والقضاء والقدر تحول بها الدين
من معركة خارجية الى انفعالات وعواطف داخلية . فانتهى
المد الثورى ، وسادت الاتجاهات المحافظة من أجل الابقاء على النظام
السياسى الذى عاد بلا مقومات الا من شعارات دينية تنتمى أذواق
الجماهير .

(أ) المرحلة الاولى : الدين والثورة الوطنية ١٩٥٢ — ١٩٦٠ :

١ — الاتحاد والنظام والعمل *

ويتضح الاتجاه الاسلامى عند محمد نجيب قائد الثورة * فبالرغم من أنه رفع شعار « الاتحاد والنظام والعمل » الا أنه بين أن هذه القيم قيم اسلامية خالصة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، وتاريخ الصحابة والتابعين ، ونظم الخلفاء الراشدين ، وسلوك حكام المسلمين الاوائل * لابد أن يكون الجميع يدا واحدة لا فرق بين مسلم ومسيحى * لذلك ألغيت الالقاب التى ما أنزل الله بها من سلطان والمستمدة من الارستقراطية الكاذبة التى هى لازمة من لوازم عزود الطغيان * فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى * لقد أراد العهد البائد تفريق الامة شيعا وأحزابا ، تناحرا على المغنم * ولكن العهد الجديد يدعو للوحدة حرصا على المصالح العام وعملا بقول الرسول « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهور والحمى » * لقد عاونا الرسول التسامح والاخوة ، وشاء الله أن يؤلف بين القلوب ، ويحضرهم على العمل ، وينظم الصفوف * تريد الثورة التطهير الخالص ، وتعمل من أجل الاصلاح والتعمير ، كما تريد خلق المواطن الصالح * ولكن الوحدة المسبيل الى ذلك ، « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمة اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته ، لعالمين تهتدون » (٢٩) *

(٢٩) محمد نجيب فى وفود المديرىات ١٥/٨/١٩٥٢ ، ٢٣/٣/١٩٥٢ ،

ولكن لما كانت الزعامة الفعلية لعبد الناصر فقد ظهرت القيم الثورية مثل الثورة والتحرر والتضحية والجهاد منذ بداية الثورة في أقواله وأحاديثه • واعتمد في الدعوة لها على تراث الشعب الدينى الذى لا يحتاج الى اقناع أحد به • وقد كان اللجوء الى الدين هو وسيلة كل زعيم جديد يريد أن يحصل على شرعية من الشعب •

٢ — الثورة ضد الفساد والتحرر من الاستعمار •

ان ثورة الضباط الاحرار ليست بالجديد • فقد سبقتها ثورة رجال الدين على طول تاريخ مصر • كان رجال الدين يقودون مصر ، ويحملون شعلة الحرية وينادون بالجهاد دائما • وقفوا في وجه نابليون ، وكانوا أسبق الناس للاستشهاد • كافح الازهر أيام الحملة الفرنسية • وقاسى رجاله وعذبوا وقتلوا وشردوا • واقتحم المحتلون الازهر ، ولم يتأخر الازهر في الدفاع عن العروبة والاسلام • واستمر يحمل الرسالة حتى سلمها الى الجيش فى ثورة عرابى الذى قام متسلحا بروح الازهر يطالب بحقوق الوطن • ثم اشترك رجال الدين فى ثورة ١٩١٩ واستشهد رجال الازهر • وقد كان غرض الاستعمار دائما القضاء على قوة الجيش والقضاء على قوة رجال الدين •

فى مصر اذن قوتان : قوة الجيش وقوة العلماء ، قضى الاستعمار بعد ثورة عرابى على قوة الجيش ثم اتجه للقضاء على قوة العلماء

=
فى أسوان ١٩٥٣/٣/٢٢ ، حديث فى راديو صوت أمريكا ١٩٥٣/٢/٢٢ ،
١٩٥٣/٦/١٤ ، ١٩٥٣/٧/١٠ ، كمال الدين حسين خطاب ببلدة الخانكة
• ١٩٥٣/٤/٥

لان الازهر كان مشعل الحرية في الدول الاسلامية كلها • فتورة الجيش
موجهة ضد الاستعمار لتحرير البلاد ولإعادة رجال الدين الى قوتهم
الاولى • لذلك يجب أن يتفق الجيش مع الازهر ، ويتوحد الضباط
الاحرار مع العلماء من أجل استئناف الجهاد حتى تعود لمصر حريتها
واستقلالها وحتى تتحرر مصر من كل فساد داخلي أو طغيان خارجي •

ان أهمهم الازهر عمل كبير فرسالته ليست في مصر وحدها بل في
العالم الاسلامي كله • ورسالته ليست في العاصمة وحدها بل في
القرى والنجوع من أجل النصح والارشاد بدلا من الشكوى من
الاستعمار أو القاء العبء على الحكومة وحدها وحتى لا تصبح صلة
الشعب بالقيادة كما قال قوم موسى له « فاذهب أنت وربك فقاتلا انا
ها هنا قاعدون » •

أراد الضباط الاحرار البحث عن سابقة لهم فوجدوها في علماء
الازهر فعملوا على أخذ شرعيتهم من شرعية رجال الدين • فالثورة
واحدة سواء قام بها الجيش أو الازهر • وبالتالي أصبح الدين ممثلا
في علماء الازهر وسيلة لتبرير الثورة واضفاء الشرعية عليها • ولقد
حافظت مصر على رسالة الاسلام عبر القرون وعبر كل هجمات
المستعمرين على الاسلام وبدأت المجلات الدينية تنشر مقالات عدة عن
نهاية الاستعمار (٣٠) •

(٣٠) كلمة في معهد الاسكندرية الديني ١٨/٤/١٩٥٣ ج ١ ص ٢٤ ،
في احتفال الازهر بتوقيع اتفاقية الجلاء في ٢٥/١٠/١٩٥٤ ج ١ ص ٢٣٤ ،
كلمة في افتتاح المعهد الديني بالفيوم ٦/٧/١٩٥٥ ج ١ ص ٣٣٣ ، في ضباط
الشرطة ١٧/٥/١٩٧١ س ١ ص ٣٠٩ ، حديث لفضيلة الامام الاكبر :
الاستعمار يقترب من نهايته ، مجلة الازهر يونيو ١٩٥٣ •

فاذا كان في الازهر رجال قاموا بالثورة وكان الدين لديهم مقاومة للاستعمار ، فقد كانت الخلافة العثمانية من ناحية أخرى نموذجاً لاستغلال الدين ضد الجماهير والتستر وراءه من أجل الابقاء على الظلم والطغيان • قام الاستعمار التركي تحت اسم الدين والخلافة ، نظرا لتدين الشعب ، وتلاعب به باسم الدين ، وكانت أسوء فترة في تاريخ مصر • عمل الخليفة العثماني باسم الدين على بث الرشوة وفساد الضمائر واستخدام فئة صغيرة ضد عامة الشعب • استبد وتحكم في الرقاب • فقاسى المصريون ذل الفقر تحت اسم الخلافة وبريقها • تم خداع الشعب باسم الدين ، وهو أمضى سلاح ، حتى أصبحت مصر مزرعة للخليفة • فلما ثار الشعب اصطفى الخليفة بعض المصريين لتفتيت قوى الشعب • وبقي الاستعمار التركي في مصر حوالي ٤٠٠ سنة ذاق فيها المصريون العذاب باسم الدين • ولم يكن اسم الدين الا المخدر الذي خدروا به هذا الشعب الامين • ثم دخل الانجليز فوجدوا الخديوى يحكم باسم الخليفة ، فأغرقوا اسماعيل ، ممثل أمير المؤمنين ، بالدين • ثم ثار عرابي ، واعتبره الخديوى والانجليز خارجا على الدين ، « كان كل فرد في هذا الشعب يتمسك بدينه فدأوا دائما يخدعونه باسم الدين ثم بدأ الشعب ينسى القيم الروحية ، وبدأت مرحلة الخداع والتضليل • وكان السلطان يستمد قوته من الانجليز • خدع العثمانيون الأمة العربية تحت اسم الدين وتحت اسم الخلافة وتحت اسم أمير المؤمنين وسيطروا عليها مدة ٥٠٠ سنة وعاشوا في أرجائها فسادا بالتحكم والسيطرة » •

وقد صاغ الميثاق هذا الدافع الثورى في الدين في احدى عباراته وهى « ان رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية

استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته « • ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح رجال الازهر حفظة الايمان دون أى مضمون ثورى • فرجال الازهر هم الذين حافظوا على رسالة محمد « صلى الله عليه وسلم » • كما ان ضباط الشرطة حفظة على الامن • وكانت جامعة الازهر طوال ألف عام مناره للهدى والمعرفة والبحث (٣١) • ان حمل أمانة النضال واحدة سواء كانت من أصل رسالات علوية مقدسة أو كانت آمالا انسانية ، فالرسالات السماوية سواء الاسلام أو غيره من الرسالات والثورات التى غيرت وجه الانسانية واحدة • لقد حافظ شعب مصر على الدعوة الاسلامية عبر التاريخ ، وناضل الازهر للحفاظ على رسالة الاسلام حية وعلى قوة الاسلام ومقوماته • كان الاسلام مستهدفا عبر التاريخ للاستعمار والغزاة • واليوم تواجه الامة الاسلامية أخطر معاركها • اذ يستهدف الغزو القيم التى أرادها الله فى رسالته وهى غزوة صليبية تحت اسم الصليب لابد من مواجهتها ، وهى غزوة الصهيونية مع الاستعمار (٣٢) •

٣ — الجهاد والتضحية •

لما كانت الثورة فى حاجة الى تجنيد الجماهير ، وفى

(٣١) فى المقر الرئيسى لهيئة التحرير مساء ١٩٥٤/٩/٥ فى الاجتماع بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ١٩٧٢/٩/٢٤ س ج ٢ ص ٢٥٩ — ٣٦٢ .

(٣٢) فى عيد المعال ١٩٧٢/٥/١ س ج ٢ ص ١٨١ ، فى اللقاء الكبير الذى انعقد لمناقشة اتفاقية الجلاء ، كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٣٠ ج ٢ ص ٧٩ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ س ج ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى ضباط الشرطة ١٩٧١/٥/٢٧ س ج ١ ص ٣٠٩ ، فى مؤتمر المجتمعات العربية ١٩٧٣/٢/٧ س ج ٣ ص ٥٢ .

حاجة الى البذل والعطاء فان القيادة السياسية أبرزت بعض القيم الدينية مثل الجهاد والتضحية في المناسبات الدينية المختلفة ، وفتحت الطريق أمام الوعظ الدينى السياسى ، وتأويل الموضوعات الدينية من عقائد وقصص ونصوص تأويلا سياسيا • فعيد الاضحى مثلا يعنى الطاعة والتضحية فى سببه الله • كما أن عيد الفطر هو عيد الصوم والصبر والجهاد • فقد ضحى ابراهيم بابنه طاعة لله « قال يا بنى أنى أرى فى المنام أن أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين • فلم أسلم وتله للجبين ، وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ، انا كذلك نجزى المحسنين ، ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم » • كما تدل القصة على الامتحان الذى يضع الله فيه المؤمنين والاختبار الذى يمكنهم اجتيازه لمعرفة مدى ايمانهم ، « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » • كذلك الامة فى السياسة عندما تجتاز الامة محنة قاسية ومعركة عنيفة فى سبيل تحرير البلاد من بطش الاستعمار وقسوته وظلم الاستبداد وهوانه • تهب القيادة السياسية اذن بالناس ، وتدعوهم الى العمل والتضحية والجهاد ، فطريق الله وطريق التضحية واحد ، « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون » (٢٣) •

(٢٣) كلمة ألقيت بمناسبة عيد المضحى المبارك فى ١٩/٨/١٩٥٣ ج ١ ص ٥٠ ، انظر أيضا الرباط فى سبيل الله ، لماذا نقاتل ؟ ، الازهر ، مجمع البحوث الاسلامية ، الادارة العامة للوعظ والارشاد ، المكتب الفنى ، النشرة التوجيهية ١٩٦٩ .

وحياة الرسول نفسها حياة تضحية وجهاد • فقد أتى الاسلام برسالة تحرر للانسانية جميعا من الذل والعبودية والمادية لتعتنق روحانيه السماء • وكان الرسول وحيدا في غار حراء يعبد الله تاركا قومه حتى جاءتته الرساله ، « اقرا باسم ربك الذى خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » • ثم جاء الوحي ، « يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر » ، ثم يقول الرسول لزوجته « انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة فقد أمرنى جبريل أن أنذر الناس وأن أدعوهم الى الله والى عبادته فمن ذا أدعو؟ ومن ذا يستجيب لى ؟ » ثم امتدت يد الغدر الى الرسول وأعلن الباطل الحرب عليه • ولكن الرسول جاهد وجعل الحرب شرعه ، وقاتل المشركين • ثم فتح الله عليه مكة وعفى عن أهله ولكنه انتقم ممن ضلوا الناس • وحال المسلمين اليوم كحالهم بالامس • تحكمت فيهم يد الاستعمار ، « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون » • لقد آن للامة أن تحطم قيود الاستعمار وتدك حصون الظلم والطغيان ، « والله أكبر والعزة ولرسوله وللمؤمنين » ، والله أكبر والعزة لمصر ، والله أكبر وتحيا الجمهورية ! •

وهنا يبدو الوعظ الدينى السياسى خطابى النزعة ، لا يفترق عن الوعظ الدينى التقليدى فى سماته ، مجرد معانى عامة وعواطف شعبية مألوقة سرعان ما تتبدد بعد انتهاء الحفل ودون تغيير فعلى لنفسية الجماهير ودون ايجاد وسائل عملية وقنوات شعبية لمشاركتهم السياسية من أجل الجهاد ومقاومة الاستعمار • وقد بدأت شعارات دينية تأخذ مضمونا سياسيا من « الله أكبر والعزة لله » الى « الله أكبر

وتحيا مصر» • وهو ما سيسبب الغزاع بين الثورة والاخوان فيما بعد وحتى الآن •

وقد ظهرت هذه القيم في فلسفة الثورة في تنبيه عبد الناصر زميله كمال الدين حسين وهما في فلسطين من أن ميدان الجهاد الاكبر هو مصر والتذكير بآيات القرآن مثل ، « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، والدعاء الشعبي الذي يوكل أمر الجهاد الى الله مثل « يا رب يا متجللى ، أهلك العثملى » ، وأن الجهاد هو قدر هؤلاء الضباط الاحرار (٣٤) •

لقد جاء الاسلام وحرر النفوس من الذل والعبودية ، ومنح الانسانية الحرية والعدالة والمساواة ، ووطد بذلك دعائم السلم نظاما للمجتمع العالمى الذى طالما نادى به الثورات فى جميع بقاع العالم حتى اليوم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ، ان الامانة التى عرضها الله على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقنا منها وحملها الانسان هى الحرية والعدالة والعزة والكرامة والسلام • لقد عقد المؤمنون تجارة مع الله ، « بآيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » • وهى تجارة لن تبور ، « ان الله اشترى من المؤمنون أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى

(٣٤) كلمة أقيمت فى هيئة التحرير العامة بمقرها بميدان الجمهورية احتفالا بذكرى المولد النبوى الشريف فى مساء يوم ٢٨/١١/١٩٥٣ ج ١ ص ٦٧ — ٧٠ ، فلسفة الثورة ص ١٢ ، ص ١٥ ، ص ٣٩ — ٤٠ .

التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله » • الاسلام صبر وجهاد وما فرضت العبادات على المسلم الا لاعداده لخوض المعارك دفاعا عن دينه ووطنه وحرية وعزته • ولكن لم يحافظ المسلمون على هذا التراث العظيم واستذلتهم الشهوات ونسوا الله • تفرق المسلمون ، وتفكك العرب ، فتسرب اليهم الضعف ، واستسلموا للذل والطغيان ، وأصبحوا رحماء على العدو أشداء على أنفسهم ، وتركوا طريق الحق والتعاون ، طريق الصبر والجهاد والتنضحية • راح الاستعمار يضرب في كل مكان معتمدا على الخونة والمنافيين من أبناء البلاد مثل يوسف خنفس ورجال الحكم وعلى رأسهم توفيق في مصر ومثل الجلاوى في المغرب ، « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » • ان العالمين العربى والاسلامى يقفان أمام عدو واحد هو الاستعمار ، ويتهاويان أمام مرض واحد هو الفرقة والتخلى عن الجهاد ، « يأبىها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم أنفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل ، ألا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير » • طريق الاستعمار طريق المذل والعبودية ، وطريق التحرر طريق العزة والحرية • ان الكلام لغو أما الايمان فعمل ، « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض مكا استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد بعد خوفهم أمنا » • وجب اذن تطهير القلوب ، وتطهير الصفوف من الخونة ، « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين أينما ثقفوا ، اخذوا وقتلوا

تقتيلا ، دنة الله في الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » •
والتاريخ يشهد على توحد العرب لا فرق بين مسلمين ومسيحيين من
أجل مقاومة الاستعمار الذي أتى تحت شعار الحروب الصليبية • فطريق
الامس هو طريق اليوم ، « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا
لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل ولم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله ، والله
ذو فضل عظيم » • ويختتم ناصر كلمته بدعوة الى الاحرار في كل دولة
عربية وفي كل الشعب العربي وفي كل مكان ، « هبوا وجاهدوا في الله حق
جهاده واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة » (٣٥) • ويستمر ناصر
في بيان أهمية الجهاد في كل الاديان • اذ تتحقق أمانى الشعوب بالجهاد
وليس بالاصلاح والمنى ، وقد أعطت المسيحية درسا في الجهاد ، بجهاد
المسيح واضطهاده وتصدى الحواريين والمؤمنين به للامبراطورية
الرومانية في عنفوانها وانتصارهم عليها • طريق الجهاد هو طريق العمل
والفداء • كما كافح محمد ثلاثة وعشرين عاما بالرغم من أن الله كان
باستطاعته نصر الاسلام في الحال دون تعذيب للنبي ودون اضطهاد
للمسلمين • ولكن الحكمة الالهية أرادت جعل طريق الجهاد وحده
هو الطريق ، والعمل وحده هو الايمان ، والفداء وحده هو الاخلاص •

ويتضح من ذلك أن الاسلام كان مجرد وعظ عام تتداخل فيه
موضوعات الحرية والمساواة والعدالة والكرامة والوطنية دون معانى
محددة ودون تحديد لمواقف معينة أو لنظم اجتماعية محددة ، كما يفعل

(٣٥) كلمة القيت في المقر الرئيسى لهيئة التحرير بمناسبة افتتاح
المؤتمر العربى الاسلامى يوم ٢٦/٨/١٩٥٣ ج ١ ص ٥٥ — ٥٩ •

خطباء المساجد ، كما تظهر موضوعات الوحدة بين المسلمين والعرب قبل أن تبدأ معارك الوحدة العربية في ١٩٥٨ • كما يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية مما يدل على نقص في التأصيل النظري لاستخدام الدين ، يكتفى بالاعتماد على سلطة الكتاب • وكان من الطبيعي أن يعتمد أصحاب السلطة السياسية على حجج السلطة الدينية • كما تظهر بعض قيم عامة مثل الايمان والصبر وهي التي ستتحوّل فيما بعد الى قيم للدفاع عن الذات في فترة الانحسار الثوري بعد الهزيمة في ١٩٦٧ •

ويستعمل ناصر التفرقة المشهورة بين الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر من أجل استمرار الثورة واعتبار ما تحقق منها جهادا أصغر وما لم يتحقق بعد جهادا أكبر ليحمس الناس على العمل بصرف النظر عن الصديق التاريخي للحديث أو الصديق النظري للاولويات • فقد أخبر ناصر الجزائريين في اجتماع الدار البيضاء أن الجهاد الاصغر قد انتهى وهو مقاومة الاستعمار وتحقيق الاستقلال ، وأن الجهاد الاكبر قد بدأ وهو جهاد النفس • الجهاد الاصغر هو ما قام به الجزائريون في الماضي على أرض المعركة ، والجهاد الاكبر هو ما سيقومون به في المستقبل من أجل اعادة بناء البلاد وبدأ عملية التنمية • كان المسلمون الاوائل ينهافتون على الجهاد • اما النصر أو الاستشهاد (٣٦) • ولكن في مرحلة الانحسار الثوري كما هو الحال في

(٣٦) خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بأسبوط ١٩٦٥/٣/٨ ج ص ١٣٨ ، خطاب الى اعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية بشأن الجزائر ١٩٦٢/٧/٢ ج ٣ ، خطاب في عيد العمال ١٩٦٥/٥/١ — ٢٩ ذى الحجة ١٣٨٤ ج ٥ ، المؤتمر الاسلامى في لاجوس ١٩٧٥/٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ •

وأخر الستينات يستعمل ناصر هذه التفرقة من أجل البقاء على الذات • فإذا كان الجهاد الأصغر هو مقاومة الاستعمار والقضاء على الاحتلال فإن الجهاد الأكبر يكون مقاومة النفس والقضاء على شهواتها • فالصيام انتصار على النفس وشهواتها (٣٧) • وبالرغم من ضعف هذا الحديث كما نبه على ذلك علماء الحديث المحدثون والاهوان المسلمون نظرا لخطورته على مقاومة الاستعمار واعتبار ذلك جهادا صغيرا ، وتحويل الجهاد كله الى الداخل الى داخل الفرد دون الخارج في المجتمع والتاريخ ، فان الاعتماد على ذلك الحديث لا يخدم السياسة مما يجعل الوعظ الديني السياسي أقرب الى الوعظ الديني منه الى التوعية السياسية • ويبدو أن هذه التفرقة تظهر في وقت ضعف النظام حتى تحول المعركة من الخارج الى الداخل • فكلما تأزم الموقف في الخارج ظهرت الرغبة في الانتصار السريع في الداخل ، وارجاع كل مشاكل الواقع الخارجى الى شهوات النفس الانسانية •

وبمناسبة عيد العمال الذى اتفق أيضا مع عيد رأس السنة الهجرية • يضع ناصر مضمون الاول في صورة الثانى ، ويصبح العيد حاملا لمعانى الايمان والعمل في سبيل المبدأ والعقيدة • وبعد ١٩٧٠ كادت أن تختفى هذه القيم باستثناء بعض المناسبات مثل المولد النبوى والكلمات العامة بلا موقف سياسى محدد • فاحتفال المسلمين بذكرى مولد النبى عظات من حياة النبى وكتاب الله ، الشجاعة في الذود عن العقيدة والدفاع عن الوطن بالروح والمال والدم •

(٣٧) تهنئة للعالم الاسلامى بحلول شهر الصوم المبارك أذيعت خلال مؤتمر باندونج في ٢٦/٤/١٩٥٥ ج ١ ص ٣٠٨ — ٣٠٩ •

ان كل هذه القيم الدينية الجديدة التى برزت فى الخطب السياسية كانت نوعا من ملاءم الفراغ الايديولوجى لادى الضباط الاحرار ، دون أن تكون معارك فعلية يستخدم فيها الدين • كانت نوعا من الكلام والتعبير من أجل الاتصال بالجماهير • فما أسهل أن يتم ذلك عن طريق الدين كقالب توضع فيه آمال الشعوب فى التحرر من الاستعمار كمضمون • ولم تكن هناك حاجة الى جدال نظرى لان هذه القيم واضحة بذاتها تعبر عن أمانى الجماهير ببساطة ووضوح • ومن ثم اختلفت التاويلات المضادة • ومع ذلك يختلفى هذا المضمون الثورى للاسلام بعد ١٩٧٠ الا من بعض الاشارات العامة مثل : كان الاسلام وما يزال ثورة كما يأمر الدين ، وكما قاسى المسلمون طوال القرون الماضية (٣٨) •

ويستجيب رجال الدين لدعوة الضباط الاحرار ويتبدلون معهم التراثىق بالمزهور • فمثلا أصدر الامام الاكبر الشيخ حسن مأمون فى العيد الرابع عشر للثورة بيانا يبين فيه ان الثورة أعادت الى مصر وجهها العربى الاسلامى • ويستعرض حال مصر قبل الثورة وبعدها ، ويبين التغيير الجذرى الذى شمل الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية • ويبرر الثورة بأنها من مظاهر رحمة الله بعباده • فكلما اشدت الكرب جاء الفرج من عند الله • وقد أحس الجيش بذلك يوم عبر عن ارادة التغيير فى هذا الشعب • فقام بدك معاقل الظلم ، وتقويض أركان الفساد • فكان الله معه ، والشعب من ورائه • وعاد الى مصر وجهها العربى المسلم ، تعلقو جبينها عزة وكرامة وسيادة على أرضها •

ماكنت مصر نفسها ، وقاد زمامها أبر أبنائها وأخلص قادتها • أقاموا الحكم على نظام جمهورى أساسه قول الله : « وأمرهم شورى بينهم » • تسير الثورة بروح وطنية عربية اسلامية ويقدم الخير لها نصره للدين والدنيا • لقد امتدت يد الثورة الاصلاحية ، وردت للبلاد وجهها العربى المسلم ، وشملت الحياة كلها بالخير والصلاح (٣٩) • والحقيقة أن هذا نموذج للتبرير والخطابية والتأييد ، وغياب النقد ، وضياح المبادرة • ففى الوقت الذى كان لا يأمن الانسان على نفسه ، وبعد ما قاسى الاخوان فى ١٩٦٥ ، يمدح شيخ الازهر ديمقراطية الثورة ، وينسبها الى الشورى ! •

٤ - التقدم والشورى •

وتصدر ادارة التوجيه المعنوى (قسم التوعية الدينية) بوزارة الحربية عدة كتيبات عن الدين والجهاد طبقا للآية « وجاهدوا فى الله حرق جهاده هو اجتباكم » ، يتصدرها قول الرئيس « ايمان كل جندى بالدين وبالبادئ والقيم هو أساس توعية الجندى » • كما توضع على الغلاف آية قرآنية توحى بالموضوع مثل : « وأمرهم شورى بينهم » • وتضم السلسلة القرآن والحديث والسيرة • كما تتحدث عن الموضوعات السياسية مثل الحرية وتأصيلها فى التاريخ الاسلامى كما تتحدث عن الدستور والاخلاق وتعطى نماذج مشرقة من التاريخ الاسلامى وتمد الجنود بنماذج من خطب الجمعة (٤٠) •

كما أصدرت أمانة الفكر والدعوة والشئون الدينية بالاتحاد

(٣٩) الاهرام ١٩٦٦/٧/٢٢ •

(٤٠) رسالة التوعية الدينية ص ٤٨ ، ٤٩ •

الاشتراكي العربي عدة دراسات عن الدين والثورة • فكتب الاستاذ أحمد حسن الباقورى « الدين والتقدم » مبينا دعوة الاسلام الى العلم النظرى والتجريبى وقدرة الاسلام على الموفاء بحاجات الامة ، وأن الوحدة الوطنية من وحدة العقيدة والاسلام والاشتراكية وأخيرا الاسلام والمرأة • وقد صدر كتاب من هذه الامانة للحديث عن الدور التقدمى للاسلام فى التاريخ • فيذكر د. طعيمة الجرف فى « ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة » أن بلاد الشرق الاسلامى قد عاشت مع الاسلام وعلى أساسه تجربة ديمقراطية خصبة • فهو دين الله فى اطار مبادئ العدل والمساواة والشورى والتعاون واصلاح المجتمع • السيادة فى الاسلام للامة ، والامة تمارس سيادتها من خلال مؤسسات شرعية ، الخليفة على رأسها ، والبيعة الصحيحة هى السند الشرعى الوحيد لسلطته • وفى محاضرات المرحلة الاولى لمنظمة الشباب الاشتراكي العربى يشار الى « منهج الاسلام فى تربية الفرد وبناء الجماعة » من أجل تصحيح فهم التصور الاسلامى وتخليصه من الشبهات ، وتحديد خصائص المنهج الاسلامى وهى التكامل والواقعية والايجابية بالالتقاء مع الحياة والمنهج والاعتماد على العقل ، والتكامل الاجتماعى كأساس للعلاقات الاجتماعية(٤١) • وقد قام مكتب الشؤون الدينية بأمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي العربى بهذه المهمة • وقد صدرت عدة مؤلفات تشرح وضع الدين فى « الميثاق » وتتمشى

(٤١) أحمد حسن الباقورى : الدين والتقدم ص ٧ — ١٠ ، د. طعيمة الجرف : ديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة ص ٥ — ٦ ، الاتحاد الاشتراكي العربى ، منظمة الشباب الاشتراكي : محاضرات المرحلة الاولى ص ١٦١ — ١٩٠ .

مع العبارات الانشائية العامة التي تجعل الدين حركة تقدمية في التاريخ وتبين كيف كان الازهر حصن الاسلام وكيف دخل الدين في مراحل الكفاح وكيف يواجه الدين مفاتن الحياة . كما صدرت عن أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي العربى سلسلة « الاشتراكي » و « الدين والحياة » مبينا صلة الاسلام بالعلم وبالتطور شارحا فقرات الدين في الميثاق ، ومثيرا لنماذج في التاريخ الاسلامى القديم ، وأخيرا كاشفا عن بعض الانحرافات باسم الدين . كما أصدرت « الاشتراكي » عددا خاصا هو العدد ٣٥ عن « الميثاق » بمناسبة ذكرى صدور ميثاق العمل الوطنى وبها دراسة للدكتور عبد العزيز كامل عن « الدين في الميثاق » . وفى خلال شهر رمضان عقد الاتحاد الاشتراكي عدة ندوات عن الاسلام وتطور المجتمع ، أحكام الصيام ، ليلة القدر وزكاة الفطر وأحكامها(٤٢) .

٥ - حرية المواطن وحرية الوطن .

وتعود القيم الدينية الثورية التي ظهرت في أول الثورة من ١٨٥٢ - ١٩٥٤ ، وتظهر من جديد بمناسبة ثورة اليمن في سبتمبر ١٩٦٢ حتى ١٩٦٤ . فتظهر قيم الحرية والتحرر مضافا اليها النظام الجمهورى الجديد وحكم الشعب بالشعب

(٤٢) أحمد الشرباصى : الدين والميثاق . ، الدار القومية ١٩٦٥ ، الاتحاد الاشتراكي العربى : أمانة الدعوة والفكر - الدين والحياة ، الاتحاد الاشتراكي العربى : ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوى الثالث ص ٨٠ ، المصدر السابق ص ٩ ، أنظر أيضا الاسلام والتقدم للشاعر العراقى معروف الرصافى في مجلة الازهر نوفمبر ١٩٦١ ، محمد فتحي محمود « الميثاق ورسالة الاديان » منبر الاسلام يناير ١٩٦٤ ، محمود شلبى « الحرية في الاسلام » منبر الاسلام يناير ١٩٦٤ .

ومضافا اليها القيم الاشتراكية الجديدة * فقد كانت معركة الاسلام
والاشتراكية في أوجها . لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر وهى
تحمل الشعارات التى خرج بها الاسلام على العالم وأولها الحرية ،
حرية الفرد وحرية الوطن * ولا يمكن للوطن أن يكون حرا اذا لم يكن
الفرد حرا * وكان لابد من تحرير الفرد من سيطرة الاقطاع ورأس
المال وكل أنواع السيطرة حتى يستطيع أن يقول نعم متى يشاء وأن
يقول لا متى يريد * وهذا تثبيت لدعائم الاسلام التى استطاعت
الخلافة فى سنين طويلة أن تنزعها وأن تحجبها عن المسلمين فيتحرر
الفرد والوطن من الاستعمار البريطانى * وهذا هو الجهاد والذى
نادى به القرآن والذى دعا اليه محمد عليه السلام ، الجهاد فى سبيل
الوطن والجهاد فى سبيل الله * كان كل فرد يجاهد لا ابتغاء للشهرة
بل لمرضاة الله ، ولا ابتغاء لثراء أو جاه ولكن ابتغاء حرية الوطن
العربى(٤٢) *

وبالمثل لقد مضت ثورة اليمن بقيادة السلال على الرق والعبودية
وهما مازالا عند فيصل فى السعودية * ثم خشى فيصل من ثورة اليمن *
ولولاها لظل الرق والعبودية لديه حتى الآن * فسعود هو اليهودى
التائه لضرب الثورة العربية * ولكن أتى حكم الائمة فتوقف اليمن عن
التطور ، ضاعت حرিতে ، استبد الائمة الذين اتخذوا من الدين شعارا
وهم فى حقيقة الامر لا يعملون من أجل الدين لان رسالة محمد عليه

(٤٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن
وصنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٨ ، خطاب الرئيس فى عيد النصر
السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ ج ٤ ص ٧١ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر
فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ
١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤٢٧ .

السلام هي رسالة الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية • رسالة محمد أن يكون الامر شورى • لا أئمة ولا ملكية ولكن جمهورية • كل فرد من أبناء هذه الجمهورية يشعر بحقه في الحرية والحياة ، وله الحق في أن يكون رئيسا للجمهورية وأن يتولى أى منصب من المناصب • وفرق كبير بين اليمن التي تلقت دعوة الاسلام لنشرها في ربوع الارض ، واليمن تحت حكم الائمة • لذلك قال الله تعالى ، « ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة » • لقد رفع الاحرار في اليمن راية الحرية والاسلام ويقاومون الظلم والذل حتى تمكنت منه الامامة الفاسدة فاستطاعت أن تعزل اليمن عن العالم وتجعله دولة متأخرة تعيش في الظلام • ثار الاحرار في اليمن بقيادة علمائه ، وكانت السجون مملوءة بالاحرار من العلماء الشرفاء ورجال الجيش والمجاهدين • وكلما تم التوحيد والتكالف بين القلوب كانت الامامة تعمل على زرع البغضاء والفرقة • ويقول الله ، « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » • ان الاسلام دين الحرية ، وعلماء الاسلام رسله في الارض ، واجبههم الجهاد من أجل الحرية ومن أجل المسلمين لان الاسلام دين الحرية • فهو الذى رفع راية الحرية ، وانطلق من الجزيرة العربية حتى عم مشارق الارض ومغاربها ، وحرر الانسان من الرق والعبودية والتفرقة والاقطاع وكل المساوىء التى حلت بالارض • وحين قام محمد برسالته ينادى بالاسلام فانه كان يعنى القضاء على الاقطاع والاستبداد والامامة التى تمكنت في تلك الايام تحت اسم الاسر كأسرة بنى سفيان وأسرة قريش والى تصدى لها محمد العبد الضعيف القوى برسالته التى كانت تهدف الى التكالف بين قلوب العرب والمؤمنين جميعا لان عزة العرب عزة للاسلام • ولكن استطاعت الامامة أن

تبعد اليمن وتعزله عن العالم • ثم تمكنت الخلافة باسم الدين بأن تكبل العالم الاسلامى بجلال الرجعية • فعادت الامامة تحت اسم الحكم العثمانى الذى كان يدعى أنه يحكم باسم الدين ، ولم يكن الدين الا وسيلة وذريعة كما كان الحال فى مصر لان الامبراطورية العثمانية كانت تحمل اسم الدين فقط ولم تكن تعمل من أجل الدين • كانت تعزز الاقطاع ، وتثبت سيطرة الاسر ، وتفرق بين الناس ، وتبيح الرق والعبودية فى حين أن الاسلام ينادى بالمساواة والحرية والقضاء على العبودية(٤٤) •

استغلت بريطانيا فساد حكم الاثمة وارهابهم وقطع الرؤوس والاعتقال ، واستغلت حالة التأخر التى وصل اليها اليمن ، وكل يمنى برىء منها لانها لم تحدث الا بسبب الاثمة الذين أرادوا أن يضعفوا اليمن ويتحكموا فيه ويذلوه • لقد استطاع الاستعمار أن يزحف على اليمن شبرا شبرا من عدن بسبب عزله وتأخره عن العالم ، ولما كان اليمن فى يوم من الايام رافعا راية الاسلام والحرية فقد ثار من جديد ، وكتب الله له النصر فى ١٩٦٢/٩/٢٦ للقضاء على الامامة • لم تبق الثورات السابقة الا عدة أيام لتحالف الامامة والرجعية والاستعمار ضد الاحرار وضد الحرية • ولكن هذه المدة استطاعت الثورة ضرب الاثمة أمام الله وأمام التاريخ ، وأن يستشهد الثوار خير من أن يعيشوا تحت ظل الامامة وعبوديتها ، أى تحت ظل التأخر ،

(٤٤) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى القوات المسلحة عند وصوله الى اليمن بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ ج ٥ ص ٥٦٣ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ، صنعاء فى ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٨ •

تأخر اليمن عن العالم بأكثر من ألف عام • ولما كانت ارادة الله فوق كل ارادة فقد انتصرت ثورة اليمن الاخيرة رغم تحالف الامامة مع الرجعية والاستعمار • وكان الانجليز باستمرار أشد الناس عداوة للمؤمنين وللمسلمين وللإسلام والعرب • فقد تصدت بريطانيا في القرنين الماضيين للمسلمين والإسلام في جميع بقاع العالم حتى تضعفه ونقضى على قوته وعلى راية الحرية والقوة التي يرفعها الإسلام • فالإسلام دين الثورة ولا يمكن للامامة الفاسدة المتحالفة مع الرجعية والاستعمار أن تقف أمامه • وبانتصار الثورة يتحقق الإسلام دين الحرية والمساواة ، دين الرفعة والتقدم ، دين العمل السوى والعمل السليم • لهم تكن الامامة تمثل حكم الشورى بل كانت تمثل مبدأ الحكم الفردى والسيطرة والتحكم ومبدأ السيف وقطع الرقاب • بل لم يكن هناك أساس للشورى • أما اليوم فان ثورة مصر قامت على الإسلام ، الامر شورى بينهم ، هناك مجلس الامة ، وحركات شعبية ، وحق كل فرد في أن يقول رأيه • وبهذا ترسى دعائم الإسلام • كان اليمن رافعا لواء الإسلام ولواء الحرية في مشارق الارض ومغاربها حتى تكفل عليه الائمة وأذاقوه سوط العذاب وحبسوه بين حدوده ومنعوه من أن ينشر رسالة الحرية والإسلام في العالم ولكن أراد الله أن تنتصر ، بقوتها العربية وقوتها الإسلامية الاصيلية(هـ) • لقد أرادت الرجعية والاستعمار عزل اليمن عن الحضارة والتطور ولكن ثورة اليمن حرمت على الاستعمار وعملائه أرض اليمن العربي المسلم • أراد الاستعمار وقف تطور اليمن والإسلام ، دين التقدم والتطور •

(٤٥) خطا بالرئيس جمال عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٩ — ٥٧٣ •

وقد استطاع الاسلام في وقت قصير في أيامه الاولى أن يهزم أقوى الامبراطوريات ، الفرس والروم • وامتد في جميع أنحاء العالم لانه دين الحق والحرية والعدالة والمساواة • وقد أعطى محمد عليه السلام المثل الاعلى في العدالة والحرية والتقدم • يقول البعض ان الاسلام دين رجعي والحقيقة أن الاسلام دين تقدمي • دين التطور والحياة • الاسلام يمثل الدين والدنيا ولا يمثل الدين فقط • بعد الثورة الاسلامية الكبرى الاولى سارت اليمن في هذا الطريق ونشرت الاسلام في ربوع آسيا • فقد تلقف شعب اليمن رسالة محمد ، وسار بها في مشارق الارض ومغاربها ليبشر من أجل الدين وليعمل من أجله ، فنجح في رفع راية الدين وراية الاسلام • لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا راية الاسلام والحرية في كل مكان • واليمن مشهور عنه الذكاء والمعرفة وحب الله • نشر أبناء حضرموت الاسلام في ربوع آسيا كلها • وقد صاغ « الميثاق » هذه الحقيقة في عبارتين : الاولى « لقد كانت جميع الاديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية أرادت أن تحتكر خيرات الارض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكي توقف تيار التقدم » ، والثانية « ان جوهر الرسائل الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج التصادم في بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية

السامية (٤٦) •

٦ - الديمقراطية والنظام الجمهورى •

لم يورث الاسلام بحال من الاحوال أبنا عن أب ، وأبا عن جد ، ولكن نادى بأن يكون الحكم للشعب وألا تكون الولاية وراثية • وقد حكم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب لان المسلمين اختاروهما وبايعوهما • فالاسلام يعنى حرية الفرد وكرامته ، أن يكون له رأى فيمن يحكم ، وأن تكون هناك مساواة بين الجميع • فأى شخص فى الدولة له الحق فى أن يحكم اذا اختاره الناس بغض النظر عن نسبه وحسبه وعائلته وقبيلته • يكفيه أنه مسلم له حق المساواة والحرية • هذا هو الاسلام فى عهد الخلفاء الراشدين ، أن يكون لكل فرد فى وطنه كل الحق • ليس بالاسلام حكم وراثى ، وليس به تمييز مسلم عن مسلم ، فلا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى • وقد صدرت عدة مؤلفات عن شريعة الاسلام فى العمل والعمال مبينة فضل العمل وحقوق المعال ، وان كل انسان بعمله (٤٧) •

والنظام الجمهورى هو الذى تتحقق فيه كل هذه المبادئ

(٤٦) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ - ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى المؤتمر الشعبى بصنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ ج ٥ ص ٥٦٢ ، خطاب الرئيس فى كبار علماء الدين باليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٧ ، الميثاق ص ٨٨ •

(٤٧) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ - ٤١٩ ، جمال الدين عياد : شريعة الاسلام « العمل والعمال » جزءان ، الخاتجى بدون تاريخ •

الاسلامية « الثورى ، والديمقراطية ، والمساواة ، والامر بالمعروف والنهى عن المنكر » . النظام الجمهورى هو الذى يحقق العزة للعرب وللإسلام . فالجمهورية تعنى أن الشعب يختار بإرادته الصرة الحاكم الذى يتولى شئونهم . تعنى الجمهورية أن أى شخص من أبناء اليمن له الحق فى أن يحكم اليمن طالما كانت هذه هى ارادة شعب اليمن . وهذا هو الإسلام فى كل معانيه ، الإسلام فى عهده الأولى . تعنى الجمهورية أن يختار الشعب الحاكم . الإسلام أول من نادى بأن يكون الكل سواء ، أحرارا . ولذلك قامت الجمهورية (٤٨) . ويمكن لكل مسلم أن يتصدى للحاكم . وقد تصدى المسلمون لعمر وقالوا له : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بالسيف » . ليس بالإسلام كهنوت وليس به عادات يريد البعض ادخالها فى عقول الناس . تعنى الجمهورية أن الشعب يستطيع أيضا أن يعزل الحاكم اذا انصرف عن مصلحة الشعب وعن ارادته ، وهذه هى تعاليم الإسلام (٤٩) . والثورة هى الطريق لتوثيق النظام الجمهورى ، الثورة هى الطليعة التى تفتح الطريق . الثورة تقوم للتغيير وتضع الأساس للبناء الجديد . وقد تولت الثورة مسؤولياتها على أساس أن تكون هناك حرية للفرد وللإنسان العربى المسلم ، وأعلنت الجمهورية . فالجمهورية لا تعنى الفرد لان

(٤٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ .

(٤٩) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ — ٤١٩ ، وأيضا خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين باليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٧٢ .

الفرد يمر بحياته ، وحياته محدودة ، ولكن المهم هو الاساس الذي سيستمر في المستقبل •

وقد كثر المنظرون للديمقراطية وتأصيلها في الشورى الاسلامية دون المساس بالواقع أو نقده أو بيان المسافة بين المبادئ السامية المعلنة والواقع الفعلى المرير • ثم جاءت الاشتراكية الديمقراطية أخيرا تنتسب أيضا الى الشورى في الاسلام وان كان الاسلام لم يفرض نظاما تقوم به الشورى وانما تركه للاجتهد الا أنه حرص كل الحرص على روح الشورى أو روح الديمقراطية (٥٠) •

٧ — التضامن بين الشعوب •

وقد كتب الجهاد على جنود مصر من أجل الحق الالهى للانسان العربى فى أن يحيا بالحرية والعدل • لقد تعرضت الجمهورية فى اليمن لعدوان استعمارى رجعى لان الاستعمار والرجعية لا يريدان اليمن القوى الذى يهدد نفوذ الاستعمار والرجعية • وحينما طلبت الثورة فى اليمن معاونة الجمهورية العربية المتحدة لم تتردد لان الثورة فى مصر تؤمن بعزة العرب جميعا كأساس لعزة الاسلام • لم تتردد فى تلبية النداء ، وأرسلت فلذات أكبادها لمعاونة ثورة اليمن وللقتال معها جنبا الى جنب ضد الاستعمار والرجعية • ان جبال اليمن تحمل قبسا من نفس الشعلة المقدسة التى يحج اليها

(٥٠) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٨ ، دكتور سليمان محمد الطماوى : الديمقراطية والدستور الجديد — ثالثا — الديمقراطية فى الفكر السياسى العربى والاسلامى ص ١٦ — ٢٤ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ص ٣٥ ، ص ١٠٥ •

المسلمون في عرفات ، نفس الروح العظيمة التي اختبرت بها العناية
الالهية قدرة البشر على التضحية من أجل العقيدة وفاء للرسالة
الانسانية والتقدم . ويعاهد جيش مصر على هذه الارض المقدسة
على طرد بريطانيا من عدن ومن كل الجنوب العربي . وعلى مصر دين
لله وعلى اليمن دين لله أيضا في مساعدة الاخوة الذين يكافحون
الاستعمار في جنوب اليمن . ان على مصر رسالة نحو الاخوة العرب
والمسلمين وهو شدد الازر والمساعدة على أن يرسوا في بلادهم دعائم
الاسلام الحقيقية التي قامت عليها الحرب والتي قامت عليها المساواة
والتي مكنها الله فانتصرت في فترة قصيرة فجابت ربوع الارض في مشارقتها
ومغاربها . فلا غرابة أن تنتصر الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢
فتحالف الاستعمار والرجعية ضدها كي تنتكس البلاد مرة أخرى .
لذلك جاءت الثورة المصرية للمساعدة تنفيذًا لامر الله . لم تحارب
الثورة المصرية في بلد غريب بل في بلد اسلامي شقيق(٥١) . ان جنود
مصر حضروا الى اليمن واستشهدوا في سبيل الله من أجل رسالة
الله لا من أجل منفعتة بل من أجل مبدأ . فسارعوا للاقاة الله من أجل
رفعة راية الحرية وراية الاسلام وراية الدين . جزاؤهم عند الله وليس
عند الناس ، وهي الجنة . لقد خرج جنود الاسلام الاوائل للقتال

(٥١) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في استقبال القوات العربية
المنتصرة العائدة من اليمن بتاريخ ١٩٦٣/٥/٢٠ ج ٤ ص ٣٥٠ ، كلمة
الرئيس في الوفد اليمني لحضور احتفالات العيد الحادي عشر للثورة بتاريخ
١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في القوات
الاسلحة عند وصوله لليمن بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٣ ج ٥ ص ٥٦١ ، ص ٤٦٣ ،
خطاب الرئيس عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ، صنعاء بتاريخ
١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٦٩ .

في سبيل الله وللاستشهاد في سبيله من أجل رفع راية رسالتهم •
وهؤلاء هم الذين حضروا الى اليمن ليقاتلوا جنبا لجنب من أجل
رفع راية الاسلام والدين والرحية ومن أجل تثبيت دعائم الدين •
فالله وحد بين الاخوة وبين الامة • ان حرية الوطن تعنى حرية الامة
الاسلامية ، وقد ساعدت مصر الثورات التحررية في العالم كله لانها
بذلك ترسى دعائم الدين وترفع راية الاسلام الذى نادى بالحرية (٥٢) •

ولا يظهر الاسلام فقط كعامل مساعد بين الشعبين من أجل نصر
الثورة المصرية للثورة اليمنية بل يظهر أيضا كعامل وحدة بين الشعبين
من أجل الوحدة العربية • فقد رفعت الثورة المصرية شعارات ثلاث :
الحرية والاشتراكية والوحدة ، وهى شعارات اسلامية • فالاسلام
دين الحرية والاشتراكية والوحدة • فقد وحد الاسلام بين العرب
جميعا في حين فرق الاستعمار بينهم ، و ارادة الله فوق ارادة الاستعمار •
لابد أن تعود الوحدة مرة أخرى حتى لا يكون هناك يمنى وسورى
ومصرى وعراقى ، فالكل عرب ، وفي أيام الاسلام الاولى لهم تكن
هناك فواصل بين المواطن اليمنى والمواطن المصرى • فقد هاجر كثير من
أبناء اليمن من الجزيرة العربية واستقروا في مصر وأصبحوا مصريين •
زحفت عائلات بأكملها من اليمن الى مصر مثل بنو محمد وبنو حسين
وبنو على • فالاسلام ينادى بتوحيد الامة العربية بعد أن أقام
الاستعمار بينها الحدود ، وثورة اليمن هى رفع لراية الوحدة الاسلامية

(٥٢) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ،
صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٧٠ — ٥٧١ ، كلمة الرئيس جمال
عبد الناصر في العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص
٤٢١ •

• ولنشر الاسلام شرقا وغربا ، ورفع لراية الحرية وهى راية الاسلام •
• وستنتج الثورة نحو جنوب اليمن لتحرره أيضا تحت راية الاسلام •
• سترفع الثورة راية الوحدة الوطنية حتى لا يتمكن الاستعمار من أن
يفرق بين أبناء الوطن الواحد تحت أسماء الحزبية أو الطائفية • فالكل
عرب لا فرق بينهم لان كل فرد يعرف واجبه ، وهدفه هو الحرية
والاستقلال(٥٢) •

ان الاسلام يقتضى تضامنا واخوة بين الاشقاء والعمل من أجل
عزة العروبة وعزة الاسلام ضد محاولات الاستعمار لتفتيت وحدة
العرب • ينادى الاسلام بالتعاون على البر والتقوى ، وهى تعاليم
الاسلام ، البر بالابناء وبالعائلات ، البر بالامة ، وتقوى الله فى
جميع الامور • تعنى التقوى أيضا التخلص من الانانية والفردية •
تعنى التقوى أيضا رفض كلام الاستعمار واعوانه ونبذ لغة المال
لان من يقبل لغة المال يخون قضيته ووطنه • تعنى التقوى بناء البلاد
من أجل صالح الابناء ومن أجل الحاضر والمستقبل • هذه هى تعاليم
الاسلام البسيطة الواضحة • والعفو من مبادئ الاسلام • وعندما
دخل النبى مكة منتصرا لم ينتقم من أعدائه بل قال اذهبوا فأنتم
الطلقاء • وأعطى مثلا كبيرا كيف تتغلب الحكمة على الرسول القائد
حتى تتحقق الوحدة الوطنية ويجمع شمل العرب • فطريق الحكمة
لا طريق الانتقام ، طريق العروبة وطريق الاسلام هو أن تتبع اليمن
المثل الذى أعطاه محمد ، مثل الوحدة الوطنية وتآلف القلوب والتوحيد

(٥٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى كبار علماء الدين فى اليمن ،
صنعاء بتاريخ ٢٥/٤/١٩٦٤ ج ٥ ص ٥٧٢ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى
فى تعز ٢٦/٤/١٩٦٤ ج ٥ ص ٥٧٦ •

بينها • لقد ألف الله بين قلوب اليمنيين بقيام الثورة لان الاستعمار والرجعية والامامة يههما الافساد بين الناس • فقد كان سلاح الاستعمار دائما هو التفرقة بين المواطنين • مهمة العلماء الاحرار أن يكونوا أحرارا ومهمة العلماء الثوار أن يكونوا دائما ثوارا يعماون من أجل رسالة الله حين ألف بين القلوب فانحصرت الثورة • فالتآلف هزيمة لبريطانيا • هذه هي رسالة الدين ، رسالة الجهاد كما جاهد محمد من قبل • لقد تأمرت بريطانيا على المسلمين في جميع أنحاء العالم ، تأمرت على العرب وأرادت أن تذلهم لانها كانت تعتقد أن ذلة العرب انما تذل الاسلام في جميع أنحاء العالم(٥٤) •

٨ — التعصب والارهاب •

كانت المعركة الحقيقية التي استخدم فيها جمال عبد الناصر الدين هي معركته مع الاخوان المسلمين التي بلغت ذروتها في ١٩٥٤ ثم عادت من جديد في ١٩٦٥ أى في بداية المد الثورى ثم في نهايته وبداية الانكسار • وبالرغم من وجود علاقة وطيدة بين الاخوان والثورة من خلال اتصالات ناصر بحسن البناء ووجود بعض الضباط الاحرار من الاخوان المسلمين مثل عبد المنعم عبد الرؤوف ومساهمة الاخوان ليلية الثورة وبعدها في تأييد الثورة والمدفاع عنها الا أن الصراع ظهر بينهما حتى وصل الى درجة القطيعة في ١٩٥٤ • ولم

(٥٤) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٧ ، ص ٤١٩ — ٤٢١ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ، صنعاء بتاريخ ١٩٦٤/٤/٢٥ ج ٥ ص ٥٧٢ — ٥٧٣ ، خطاب في المؤتمر لشعبى في تعز يوم ١٩٦٤/٤/٢٦ ج ٥ ص ٥٧٦ •

يكن صراعا على مبادئ أو نظم بل كان صراعا من أجل السلطة • وقد بدأ ذلك قبل الثورة عندما طلب عبد المنعم عبد الرؤوف انضمام حركة الضباط الاحرار الى الاخوان المسلمين حتى تؤمن الجماعة حياة الضباط الاحرار ومستقبلهم في حالة فشل الثورة • ولما رفض ناصر لان المسائل الوطنية لا ترهن بموضوعات شخصية استقال عبد المنعم عبد الرؤوف قبل الثورة بسنة أشهر • وكان الضابط أبو المكارم عبد الحى رئيس التنظيم الاخوانى بالجيش وفي أول يوم للثورة قد طلب أسلحة لتوزيعها على الاخوان تأييدا للثورة ولكن رفض عبد الناصر بالرغم من ابدائه استعدادا للتعاون • وعرض عليهم الاشتراك في الوزارة ولكن حدث التصادم بعد ذلك •

ولم تحل الجماعة بالرغم من صدور قانون حل الاحزاب • فقد تقدم الاخوان بثلاثة شروط الاول : أن لا يصدر قانون الا اذا أقره الاخوان ، والثانى : ألا يصدر قرار الا اذا أقره الاخوان ، وهذا يعنى أن يحكم الاخوان من وراء الستار وأن يفرضوا وصايتهم على الثورة • فالصراع بين الثورة والاخوان كان صراعا على السلطة ولم يكن صراعا على المبادئ • أراد الاخوان فرض وصايتهم على الثورة ، والثورة لا تقبل الوصاية بل تقبل التعاون • وفرق بين الوصاية والنعاون (٥٥) • أما الشرط الثالث فقد كان في ظاهره تطبيق الاسلام

(٥٥) في الافتتاح الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء في ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٧ ، في المقر الرئيسى لهيئة التحرير أمام جميع الأعضاء مجلس ادارات الهيئة في أقسام القاهرة وشيخاتها ١٩٥٤/٨/٢١ ج ١ ص ٢٠٤ ، ولزيد من التفصيلات عن الصراع بين الثورة والاخوان انظر احمد حمروش : قضية ثورة ٢٣ يوليو ج ١ مصر والعسكريون ، الفصل الرابع ، حل الاخوان ص ٢٩٧ — ٣٠٥ ، وأيضا عبد العظيم رمضان : عبد الناصر وأزمة مارس • خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد القادة بمنظمة الشباب الاشتراكى العربى بحلول في ١٩٦٥/١١/١٨ ج ٥ ص ٤٤٢ •

ولكن في حقيقته أيضا فرض الوصاية على الثورة • فقد طلب حسن الهضيبي أن يفرض ناصر الحجاب في البلد ، وأن يخلق المسارح ودور السينما • وهذا معناه أن يصبح ناصر الحاكم بأمر الله من جديد ، ولماذا لم يبدأ الهضيبي بعائلته وابنته تذهب الى كلية الطب غير محجبة ؟ كان المطلب من الاخوان يدل على ضيق أفق ، وذلك بتطبيق الشريعة الاسلامية على نحو جنسى ، وكأن الفضيلة ليست الا الجنس والشراب ، وكأن تغيير المجتمع لا يأتي الا بقرارا من السلطة • كان رجال الثورة وقادة الاخوان يشاركان في نفس العقلية وهي البداية بالسلطة • فرجال الثورة هم أصحاب السلطة الجديدة • وعند الاخوان أن الله لا يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(٥٦) •

ومن هنا جاء اتهام الاخوان بالاطماع الشخصية وبالحقود • وبأنهم كانوا ضحية الحزبية البغيضة • حاولوا هدم الثورة من أجل السلطة ، والثورة هي التي أخرجتهم من السجون وحققت العزة القومية • واستغل الاخوان الدين ، وخدعوا الناس باسم الدين • أرادوا محاربة الثورة في كل مكان • اعتقد الهضيبي أن الثورة قد انتهت وأخذ الاخوان يضللون الناس ويبيثون أحقادهم بالاساليب الحزبية القديمة التي هدمت مصر ، ومكنت الاستعمار وأعوانه منها ، فالاخوان جزء من العهد البائد الذي لن يعود بعد الثورة حتى ولو

(٥٦) خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمة الشباب الاشتراكي العربي بطلوان في ١٨/١١/١٩٦٥ ج ٥ ص ٤٤٢ —

كان باسم الدين والاسلام والمسلمين • لقد احتكر الاخوان الدين •
والدين لم يكن احتكارا بل تألفا ومحبة وتسامحا وتعلينا • لم يكن
حقدا أو تعصبا • ولم يعط لفتة محدودة أو لجماعة متعصبة وخارجة
على الدين • هذا هو الكفر والاساءة الى سمعة الدين والاسلام •
ان الهضيبي يتآمر ضد الثورة لانه يعلم ان رجالها يعبرون عن أهداف
الشعب وآماله • وفي الوقت الذي كان يبيت فيه الهضيبي الحقد والبغضاء
في نفوس الاخوان كان قادة الثورة يعملون لصالح الشعب • الدين
محبة وتعاون لا بغضاء ولا كراهية • ان الاخوان لا يمثلون شعب
مصر ، ولكن الثورة هي التي تمثل شعب مصر • ان الثورة لا يمكن أن
تترك الاسلام نهبا للخداع والضلال • فذاك ضد صالح الدعوة
الاسلامية • وان دور أهل الرأي والعلم انقاذ الاسلام من الخادعين
والمضللين وألا يترك الاسلام لفتة من نهازي الفرص • وفي مؤامرة
١٩٦٥ بلغ أحد المواطنين عنهم • والثورة لا تهتم بالمؤامرات والاعتقالات
بل ببناء الجيل الجديد والقيادات المشابة التي لا تخشى الارهاب (٥٧) •
ومن أجل السلطة كون الاخوان المسلمين جهازا سريا مسلحا من

(٥٧) في الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسي لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية
الجملاء في ١٥/٩/١٩٥٤ ج ١ ص ٢١٧ ، كلمة القيت في وفد من أهالي
العزيرية بمديرية الشرقية في دار الرياسة حيث توجهوا اليها لتهنئة
الرئيس باتفاقية الجملاء يوم ٢٠/٩/١٩٥٤ ج ١ ص ٢٢٢ ، كلمة القيت
صباح ٩/١١/١٩٥٤ في أعضاء المؤتمر الذي عقده أئمة المساجد في أنحاء
الجمهورية وزاروا الرياسة لاعلان تأييدهم لبطل الجملاء وتهنئته بهذه المناسبة
ج ١ ص ٢٥٢ ، خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر الشباب بطوان
١/١١/٦٥ ج ٥ •

أجل الانقراض على الحكم بالرغم مما يرفعونه من شعار الديمقراطية •
لقد عمل حسن البنا هذا النظام السرى ليحارب الملك فاروق و ابراهيم
عبد الهادى • ثم جاء الهضيبي وحله • ومنذ ذلك الوقت والاخوان
يسبحون بحمد ولى الامر الآتى من قوله ! ان هذا النظام السرى
لا يستخدم لصالح الشعب ، للقضاء على الملكية والاستعمار بل ضد
الشعب حقدا على حكام مصر الوطنيين باسم الدين • كما أنه ضد
الحرية والديمقراطية • وهذا يدل على انتهازية الاخوان وانتظارهم
الفرصة السانحة للانقراض على الحكم مستغلين طيبة الشعب ومحققين
شهوتهم فى التحكم والسيطرة والحقد والاستغلال • يستغلون الشباب
باسم الدين لتحقيق أغراضهم الخاصة (٥٨) • ينبع الاخوان سياستين
احدهما ظاهرة غرضها التضليل واستغلال البسطاء باسم الدين
والاخرى خفية تهدف الى السيطرة على القوات المسلحة وقوات
البوليس وتكوين جهاز سرى للقيام بعمليات الارهاب • وهم بهذا لا
يبيغون قيام الدين ولكن يبيغون التحكم والاستغلال • وقد استطاعت
الثورة أن تقضى على هذا المخطط فى مصر • فتحولوا الى سوريا
يتبعون هاتين السياستين ، ويبثون بذور الفتنة فى قوات الجيش
والبوليس • وبهذا يقضى الاخوان على الحياة الحرة والديمقراطية
الصحيحة • وتقف الثورة ضد الجمعيات السرية والاستعباد
والاستغلال (٥٩) • ثم خرج الاخوان من المعتقلات وبعد ذلك ظهر التنظيم

(٥٨) كلمة القيت فى وفد من أهالى العزيزية بمديرية الشرقية فى دار
الرياسة حيث توجهوا الى التهنئة باتفاقية الجلاء يوم ٢٠/٩/١٩٥٤ ج ١
ص ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٥٩) خطاب فى الطلبة العرب فى موسكو ٢٩/٨/١٩٦٥ ج ٥ ص

السرى من جديد بأسلحة ومفرقعات • والثورة لا تعامل ذلك بالابن ولا
تستطيع أن تعفو مرة أخرى (٦٠) •

وينتهز عبد الناصر مناسبة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف
فيأخذ من سيرة محمد عليه السلام ما يناسبه في الهجوم على
الاخوان • فقد كان محمدا نقى السر والعلن ، ظاهره كباطنه ، لا فرق
بين حياته الخاصة وحياته العامة • سيرته في نفسه وفي بيته كسيرته
بين الناس • لم يكن هناك تناقض بين سلوكه العام وسلوكه الخاص •
ومثل ذلك لا يبطئه الادعاء أصحاب الشهوات ، وذوو الرجولة
المريضة والاخلاق الملتوية • وقد قال الرسول « ذو الوجهين لا يكون
عند الله وجيها » • كما يقول القرآن الكريم « فلا تطع المكذبين ، ودوا
لو تدهن فيدهنون » • كان الرسول صادقا صريحا ، فعندما ظن
الناس ان الشمس كسفت لوفاة ابنه قال « ان الشمس والقمر آيتان
من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو حياته » • كان الرسول معلما
حكيمًا وهربيا فاضلا ، « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا
من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » •
وكان يفيض رحمة واحسانا (٦١) •

ويقوم الجهاز السرى بعمليات الارهاب • فتحت اسم الدين
يبيح الاخوان دم الكفار أى الذين هم من غير الاخوان المسلمين •

(٦٠) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية
الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٨ •

(٦١) كلمة القيت يوم الاحتفال بذكري المولد النبوى الشريف بتاريخ
١٩٥٤/١١/٨ ج ١ ص ٢٥١ •

فبعد اتفاقية الجلاء مدت الثورة يدها للمهزيبي ولكنه غدر بها • أخذ رجال الثورة حذرهم ، ولم يحضر ناصر واخوانه الاجتماعات العامة لانه كان يعلم ما يدبره الاخوان لهم من اغتياالات • لم يكن هذا الاختفاء حبا في الحياة • ولكن لانجاز الاتفاقية التي تحقق للشعب الجلاء وتخليص الوطن من الاستعمار ، بعدها خرج رجال الثورة ليأخذها المهزيبي ورجاله بعد أن أعطاها رجال الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ • بعث المهزيبي بمحمود عبد اللطيف وقرر به باسم الدين والاسلام من أجل اغتيال ناصر الذي يعمل من أجل ازاحة الفقر عن أمثال محمود عبد اللطيف • كيف يبني صرح الدين بالمسدسات ؟ وكيف يتم الاغتيال باسم الدين وباسم الاسلام ؟ يتبع الاخوان أسلوب التخويف والارهاب والتعذيب والخيانة التي كلف بها الجهاز السرى • وان ترك هذه الاساليب هو تخل عن حق الثورة وأهدافها • وقد أقيمت محاكم الشعب لمحاكمة الجهاز السرى والتنظيمات المسلحة لخطرها على الشعب وتهديدها لحرية المواطنين وليس لقادة النظام • وقد حكمت محاكم الشعب على ٨٦٧ عضوا من الجهاز السرى البالغ عددهم حوالي أربعة أو خمسة آلاف موجودين في شعب وفي خلايا مسلحة ، يمثلون فصائل وجماعات ومناطق أى جيش حر في داخل البلد • وقد اعتقل ٢٩٤٣ أفرج عن معظمهم في ٢٣ يوليو ١٩٥٦ • وحكم على البعض منهم مع ايقاف التنفيذ • وقد حكمت المحاكم العسكرية على ٢٥٤ وهو عدد ضئيل بالنسبة لثورات العالم (٢٢) • ولكن تم اكتشاف مؤامرة ثانية في قضيتين ، قضية المؤامرة وقضية التنظيم

(٦٢) خطاب ومناقشات مع الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمة الشباب الاشتراكي العربي بحلول يوم ١٨/١١/١٩٦٥ ج ٥ ص ٤٤٧ .

السرى المسلح • وهناك تنظيم آخر غير مسلح • وكلهم معتقلون ،
وتصرف ماهيات أعضاء التنظيم غير المسلح ١٠٠٪ وللمسلح ٥٠٪
فقط! (٦٢) • وقد كان من المزمع الافراج عن الاخوان المعتقلين ، ولكن
نكسة ١٩٦٧ أجلت الافراج • وهذا يدل على خوف ناصر من الاخوان
في أوقات الضعف • وبعد امتصاص غضب الناس واستيعاب الهزيمة
بدأ الافراج عنهم وارجاعهم الى وظائفهم • ولكن يظل منهم حوالي
١٠٠٠ في السجون ، أعضاء التنظيم المسلح الذين قاموا بعمليات ارهابية
وبعلم مجلس الشعب • وفي كل مرة تكتشف مؤامرة يعتقل أعضاء
التنظيم السرى القديم كله في حين أن الكشوف القديمة لم تكن تعبر
عن وضع التنظيم الحالى الذى ضم عناصر جديدة من الشباب بالرغم
من سرية (٦٤) •

وكما هادن الاخوان القصر هادنوا الانجليز ، واتصلوا بهم ،
وحادثوهم في شئون البلاد من وراء الثورة • لقد ظل التعاون بين
الاخوان والثورة حتى وزارة نجيب الهلالي في ١٢/٩/١٩٥٢ قبل
المفاوضات • ثم فاوض الاخوان الانجليز ، بين الهضيبي والمستشار
الشرقى ايفانز وهى ما عرفت باسم مفاوضات الهضيبي / ايفانز •
وقد قابل ناصر الهضيبي بعد أن علم بأمر المفاوضات في بيت منير
الدلة فى الدقى وبحضور خميس حميدة وكيل الاخوان وصالح أبو
رقيق وفريد عبد الخالق وحسن عشاوى • وكان مع ناصر كمال

(٦٣) المؤتمر التعاونى الثانى فى ١/٦/١٩٥٦ ج ١ ص ٤٩٠ •

(٦٤) فى افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣/١١/١٩٦٧ ج ٦

ص ٢٨١ — ٢٨٢ ، فى مؤتمر الاتحاد العام للعمال بحلولان ٣/٣/١٩٦٨ ج ٦ •

الدين حسين وصالح سالم وعبد الحكيم عامر • وطالب رجال الثورة أن يعرف الاخوان رأيهم حتى لا يتنازلوا عن شيء • ولكنهم في النهاية قبلوا ما رفضه رجال الثورة • لقد قبل الهضيبي في ابريل ما لم يقبله ناصر • وبالتالي فان معارضة الاخوان للثورة ليست بسبب اتفاقية الجلاء والمبادئ الوطنية بل معارضة تقوم على الحقد والضغينة والتضليل • وهى عبارات تعنى كلها الصراع على السلطة • فقد كان الاخوان يمثلون السلطة الشعبية ، ولم يكونوا بالحكم ، وكان رجال الثورة في الحكم ولكن دون سند شعبي • اختفى الهضيبي ليعلم الجهاد ضد الثورة ورجالها وليس ضد اسرائيل أو الانجليز • من أول الثورة في ١٩٥٤ تكفل الاخوان عندما كانت الثورة تتفاوض مع الانجليز • وقالوا للانجليز انهم مستعدون أن يتفاوضوا معهم • وكانوا في ذلك الوقت يمثلون الثورة المضادة والحزب الرجعي في البلاد (٦٥) •

لهذا السبب تم تجريخ الاخوان مثل تجريخ الوفد وكل الاتجاهات الوطنية قبل الثورة بأنها كانت موالية للقصر ، ومهادنة للملك • فقد ذهب الهضيبي الى عابدين وهو مرشد عام للاخوان المسلمين ليقبل يد الملك ، كما فعل النحاس ، ويقول : زيارة كريمة لملك كريم (٦٦) • ودون اسمه في سجل التشريفات مرات عديدة في جميع المناسبات

(٦٥) في المقر الرئيسى لهيئة التحرير أمام جميع أعضاء مجلس ادارات فروع الهيئة في أقسام القاهرة وشياخاتها ١٩٥٤/٨/٢١ ج ١ ص ٢٠٤ — ٢٠٥ •

(٦٦) خطاب في الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة ٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٥٢ •

لان فاروق من قوله ! لقد خضع الاخوان للقصر ، واهدنوا الحاشية في حين ان الثورة عارضت الملك ، وقضت على الحاشية • ولكن الاخوان يقومون بحملة ضد الثورة باسم الدين والقرآن ، ويقومون بحملة تشكيك مغرضة ومنشورات باسم الدين • ولاول مرة يحكم مصر والمصريون • لقد طالبت الثورة بالألا يدخل الملاهي أقل من ٢١ سنة وطالبت الاخوان ألا يدخلها أيضا من تجاوز ٢١ سنة فلماذا لم يعارضوا الاباحة المطلقة أيام الملك فاروق ويقولون ان الامر لولى الامر ؟ زايد الاخوان على الثورة وساروا في ركاب الملك (٦٧) • ترامى الهضبي على أقدام فاروق ، وقع في دفتر التشريفات ، وكان رجال الثورة قد وهبوا حياتهم جميعا للشعب ، وكان الضباط الاحرار يضعون الخطط لتخليص الوطن • ولكن يبدو ان ناصر كان حريصا على ألا يطلق هذا الاتهام الا في عهد الهضبي • أما في عهد البنا فكان للاخوان مواقفهم ضد القصر والملك ، الامر الذي كلفهم حياة مرشدهم العام • فكان اغتياله هدية عيد ميلاد الملك •

ويتهم ناصر الاخوان بأنهم أعوان الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية وهي التهم الثلاث الرئيسية في الثورة المصرية • والدليل على ذلك اذاعة اسرائيل وباريس ومكة التي تزيع حجج الاخوان ضد الثورة المصرية • فلما فشل الهضبي في معارضة الثورة والقضاء عليها في مصر توجه الى سوريا لبث الحقد فقرأت اذاعات

(٦٧) في الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسي لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية الجلاء في ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٧ ، ٢١٩ •

الاستعمار والصهيونية والرجعية بيانات الاخوان • والدليل على رجعية الاخوان اتصالحهم بالسعودية وتمويل السعودية لهم عن طريق سعيد رمضان المقيم بالسعودية • حزب الاخوان حزب رجعى متحالف مع الرجعية • يأخذ أمواله من الرجعية أى من الاستعمار • يتفق مع السعودية على الانتهاء من الحكم الثورى فى مصر فى غضون أشهر • وقد اعترف زغول عبد الرحمن الذى سلم نفسه بأن السعودية أعطت ٢٥٠ ألف جنيه كدفعة أولى الى سعيد رمضان واخوان أبو الفتح مع أن ينكر فيصل الدفع • والحقيقة أن الاخوان عملاء ، يأخذون الاموال لمؤتمراتهم من حلف بغداد ومن السعودية ومن الرجعية العربية • وكل واحد مقيم منهم فى الخارج باع نفسه لكل من يدعم الثمن • أصبحوا عملاء للاستعمار والرجعية • وقد ثبت من المحاكمات انهم عملاء للسعودية ولحلف بغداد • ويقبضون الثمن ويخدعون الشعب تحت ستار الدين • والثورة تريد أن تبني مجتمعا متحررا من الاستعمار ومن الرجعية • وجد فيصل عملاء له فى الاخوان وهو الحزب الرجعى الموجود فى البلاد وفى العالم العربى ، وقد وجدوا هم الفرصة المناسبة لاختذ الاموال • فتشابكت المصالح ، مصالح الرجعية التى تريد تحقيق أهدافها ، ومصالح الاخوان من أجل الحصول على الاموال • دعى الاخوان لفیصل وقاموا بدعاية له أى دعاية للرجعية وللاستعمار وللحلف المركزى ، حلف بغداد القديم • ولان الاخوان كحزب سياسى يسير فى ركاب الاستعمار والرجعية هربوا فى ١٩٥٤ وذهبوا الى فيصل الذى أعطاهم الاموال • وانتهزوا فرصة موسم الحج وراحوا يهاجمون الثورة وناصر فى المساجد وفى الكعبة وفى

المدينة ، ويوزعون الكتب والمنشورات ضد الثورة • فرد عليهم الحجاج ،
ونشبت مشادات ، وقبض على بعض الحجاج (٦٨) •

لم يتجاوز الاخوان حدود الشعارات الدينية ، ولم يملأوها
بمضمون اجتماعى أو سياسى فى حين أن الثورة حققت المضمون
وبالتالى تحققت الشعارات • يقول الاخوان القرآن دستورنا ، والثورة
تخلع الملك ، وتقضى على الفساد والظلم الاجتماعى ، وتحقق الجلاء •
وهذا كله تحقيق لشعار الاخوان (٦٩) •

والحقيقة أن الثورة نفسها أطلقت شعارات اجتماعية وسياسية
دون مضامينها • فالتجربة المصرية فى نهاية الامر كانت أقرب الى
شعارات الحرية والديمقراطية المتمثلة فى « ارفع رأسك يا أخى فقد مضى
عهد الاستعباد » فى حين أن النظم والمؤسسات الدستورية لم تكن تحقيقا
لهذه الشعارات • كما ان شعارات العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ
الفرص والاشتراكية كانت فى جانب والنظم الاجتماعية والاقتصادية

(٦٨) كلمة القيت فى وفد من أهالى العزيزية بمديرية الشرقية فى دار
الرياسة حيث توجهوا اليها لتهنئة الرئيس باتفاقية الجلاء وم ١٩٥٤/٩/٢٠
ج ١ ص ٢٢٢ ، خطاب فى الطلبة العرب فى موسكو يوم ١٩٦٥/٨/٢٩ ج ٥
ص ٤٠٣ ، خطاب ومناقشات بين الشباب بمعسكر اعداد قادة منظمة
الشباب الاشتراكي العربى بحلوان يوم ١٩٦٥/١١/١٨ ج ٥ ، خطاب فى
عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥٠٣ ، خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكي
العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس يوم ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥
ص ٥٢٥ ، ٥٣٣ ، خطاب فى الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة
١٩٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٩٥٨ •

(٦٩) فى الاجتماع الكبير بالمقر الرئيسى لهيئة التحرير لمناقشة اتفاقية
الجلاء فى ١٩٥٤/٩/٥ ج ١ ص ٢١٩ •

لم تكن تطبيقا جيدا وحاسما لهذه الشعارات • فما تنقد به الثورة
الاخوان هو أيضا نقد ذاتي للثورة قامت به في أوقات انحسارها ،
وقام به نقاد التجربة المصرية ومحللوها السياسيون •

وبعد ١٩٧٠ لم تكن هناك اشارة الى الصراع بين الاخوان والثورة
الامرة واحدة كأول عملية مع الاخوان حدث فيها العدوان على
جمال عبد الناصر في المنشية في ١٩٥٤ والدخول في معركة معهم • وذلك
يدل صراحة على أن الصراع كان على السلطة أساسا وليس صراعا
أيديولوجيا يقوم في محوره على الدين (٧٠) •

٩ - الوحدة العربية •

وقد بدأ استخدام الاسلام في معارك الوحدة العربية في ١٩٥٨
بعد اتحاد مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة • كان
موضوع وحدة المسلمين والعرب والتفكك والفرقة من الموضوعات
العامة التي ظهرت بعد قيام الثورة كنوع من الوعظ الديني السياسي
دون أن يكون له واقع سياسي معين • فلما قامت أولى مظاهر الوحدة
العربية بالفعل دخل الاسلام في المعركة على نحو تاريخي عن طريق
استرجاع الحروب الصليبية ، احدى مظاهر الاستعمار في صورته
القديمة ، وتوحيد المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الايوبي الذي
وحد مصر وسوريا أمام الهتافات مثل « وحدة مصر وسوريا بأب
الوحدة العربية » • وقورن ناصر بصلاح الدين • وقد زادت ثورة
العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨ من عواطف الوحدة العربية • كما زادت

(٧٠) خطاب في اللجنة المركزية يوم ٢٠/١١/١٩٧٥ س ج ٥ ص ١٩ •

الحرب اللبنانية بين القوى الوطنية والقوى اليمينية الحماس للعروبة حتى ظن العرب جميعا انهم على أبواب الوحدة العربية الشاملة !

لقد انتهز الاستعمار الاوربي في ذلك الوقت التفكك الذى كان بين الامة العربية • واستطاع تحت اسم الحملات الصليبية التى لم تكن تعنى الا الاستعمار أن ينفذ الى داخل الوطن العربى • ورعم ضعف الامة العربية وتفككها في ذلك الوقت فقد هب العرب في كل مكان للدفاع عن قوميتهم وأراضيهم • اتحدت الامة العربية واتحد امراؤها ليواجهوا الخطر وليواجهوا الاستعمار الغربى الذى غزا أراضيهم تحت اسم الصليبية • وكان النصر حليف القومية العربية ضد ملاوك أوروبا وفرنسا وانجلترا وبقية الدول الاوربية • واستمرت الحرب ثمانين سنة ، غزوا مستمرا وحملات باسم الدين وهى في الحقيقة لم تكن تهدف الا الى السيطرة • استطاع الصليبيون في أول الامر أن يحتلوا فلسطين ويستولوا عليها ، ويحتلوا بيت المقدس ، وأن يفرقوا الامة العربية في مصر والامة العربية في الشرق العربى • وبعد أن استتب لهم الامر في فلسطين ومكنوا لانفسهم فيها أرادوا أن يتقدموا نحو مصر • واستطاعوا أن يصلوا الى الشرقية وبلبيس والى أبواب القاهرة ، كانت الجيوش المصرية تحارب وحدها ، وكان لابد من انقاذ الامة العربية والوطن العربى من الغزو الاستعمارى تحت اسم الصليبية • كان لابد أن تتحد الامة العربية مرة أخرى لتنتصر • فكان التضامن والاتحاد بين سوريا ومصر هما السبيل الوحيد للقضاء على هذه الحملات الصليبية ، وهما السبيل الوحيد لانقاذ القومية العربية • فأرسل السلطان نور الدين محمود ، السلطان السورى في ذلك الوقت ، جيوشه الى مصر لتعاونها في صد الغزاة

الصلبيين • واستطاعت جيوش مصر وسوريا التي اتحدت أن تهزم الصليبيين وأن تردهم عن أبواب القاهرة ، وأن تردهم الى حدود فلسطين(٧١) •

بعد تلك الحملة الصليبية أى بعد عشرين سنة من طرد الصليبيين من القاهرة هاجم الصليبيون من فلسطين أيضا ، هاجموا سوريا ، فاتحدت سوريا ومصر مرة أخرى تحت قيادة صلاح الدين • خرجت الجيوش لنجدة الشعب العربى فى سوريا ، وانتصر صلاح الدين فى معركة حطين • ولم تكن هذه النجدة لسوريا وحدها ولكن استطاعت الجيوش المصرية السورية أن تحرر فلسطين ، وتحرر القدس ، وتخرج الصليبيين من فلسطين • كانت الوحدة هى الدرع التى انكسرت عليها موجات الغزاة ، وكان التفكك والانقسام هما الوسيلتان اللتان نفذ بهما المستعمر الى الدول العربية كى يخضعها • ولكن بعد اتحادها لم تستطع المملكات الصليبية أن تخضعها(٧٢) • وبعد ١٩٧٠ لا يظهر هذا الموضوع الا مرة أو مرتين مما يدل على غياب الطابع الوجودى لهذه المرحلة • ولقد استمر الغزو الصليبي ثمانين سنة ولكن اتحدت مصر وسوريا تحت قيادة صلاح الدين الذى خلص المنطقة من الغزو

(٧١) كلمة القيت عقب عودة الرئيس جمال عبد الناصر من دمشق فى ١٩٥٨/٣/٢٠ ج ٢ ص ٧٧ .

(٧٢) خطاب فى حفل وضع حجر الاساس للمدينة السكنية لضباط الصف فى دمشق يوم ١٩٥٩/٣/١٤ ج ٢ ص ٣٧١ .

الصليبي (٧٢) • وقبل ذلك الفتار وتوحيد مصر وسوريا لصددهم (٧٤) •
فقد أصبحت المستعمرات على شواطئ فلسطين ثمانين عاما ، وتحررت
بالارادة العربية بفضل صلاح الدين • ويمكن أن يتم نفس الشيء
وتحرير الارض من الصهيونية العالمية (٧٥) • في تاريخ الامة العربية
هجمتان أرادتا القضاء عليها ، التتار والصليبيون • ولم يستطع
العرب مواجهتهم الا بالاتحاد • وما كان ممكنا أن يخرج الاستعمار
الصليبي الاستيطاني بعد ثمانين عاما الا بفضل تعاون الشام ومصر
تحت قيادة واحدة • والماضي مثل اليوم ، والصهيونية مثل الصليبية
لتدمير الشخصية العربية (٧٦) •

وقد هجم الصليبيون منذ ٧٠٠ سنة على دمياط • وكانوا بقيادة
لويس ملك فرنسا • واحتلوا دمياط وسارت الحملة من دمياط الى
المنصورة • وكان الملك الناصر يقيم في دمشق • فحضر من دمشق
وهو مريض • وكانت جيوش سوريا تتجمع هنا مع جيوش مصر لتهاجم
لويس فهزمته ، وألحقت به الهزيمة والعار (٧٧) • وفي مقال في المجلة

(٧٢) خطاب برشيد في الاحتفال بهرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز
من رشيد يوم ١٩٥٩/٧/٢٨ ج ٢ ص ٥٦٨ •

(٧٤) بيان الى الامة ١٩٧١/٥/٢٤ ص ١ ص ٢٦٨ في افتتاح الدورة
الاولى للمؤتمر القومي الثاني للاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٧١/٧/٢٣ ص ١
ص ٤٥٨ •

(٧٥) بيان الى الامة ١٩٧١/٨/٣ ص ١ ص ٤٣٥ •

(٧٦) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق في ٥٨/٣/٢٠ ج ٢
ص ٧٦ — ٧٨ •

(٧٧) حديث الى مجلة روز اليوسف ٥٧/٣/٢٣ ص ٥ ص ١٢١ •

العسكرية الاسرائيلية بعنوان « الى دمشق » يذكر بالحرف الواحد
« اننا اذا أردنا أن نهزم العرب فليس أمامنا الا أن نتجه الى دمشق •
ان الغلطة الكبرى التي ارتكبتها الصليبيون حينما احتلوا البلاد العربية
هي عدم احتلال سوريا كلها واخضاعها بواسطة الصليبيين • كانت
الغلطة الكبرى التي مكنت العرب من أن يتحدوا وأن يتخلصوا من
الاستعمار الصليبي » (٧٨) •

وفي نفس الوقت الذي كانت فيه الحروب الصليبية هاجمت هذه
المنطقة من العالم جيوش من أواسط آسيا ، جيوش التتار الذين
وصلوا الى بغداد فسقطت بغداد في أيدي التتار ، واستولى هولاء
عليها ، وأنهى حكم العباسيين • ثم دخلت جيوش التتار سوريا
لتستمر في الفتح والغزو مشبعة بالنصر • وكانت سوريا مشغولة
بحروب الصليبيين • ومع ذلك قامت سوريا لتحارب وتصد التتار •
وفي نفس الوقت هبت مصر لتحارب مع سوريا في هذه المعركة ضد
المعتدين الذين لم يهزموا في معركة واحدة منذ قيامهم للغزو • وقد
استطاعت جيوش مصر وسوريا أن تهزم التتار في معركة عين جالوت
سنة ١٢٦٠ • ففي كل مرة تتحد فيها سوريا مع مصر يهزمان معا
أعتى الجيوش ، الصليبية التي تمثل الاستعمار الاوربي والتتار •
ولم يقتصر الامر على هزيمة التتار بل انسحبوا من الاراضي العربية

(٧٨) خطاب في يوم انتصار العمال العرب ٧/٥/١٩٦٠ ج ٣ ص
١٧٥ — ١٧٦ ، خطاب في حفل وضع حجر الاساس للمدينة العسكرية لضباط
الصف بدمشق في ١٤/٣/١٩٥٩ ج ٢ ص ٢٧ ، خطاب في يوم الجزائر
١/١١/١٩٦٠ ج ٢ ص ٣٠٤ •

حتى عبروا الفرات وتبعتهم الجيوش المصرية والسورية حتى عبروا خلفهم الفرات • وهذا هو معنى الجمهورية العربية المتحدة (٧٩) •

والتاريخ القديم يعيد نفسه في التاريخ الحديث • فلم تكن مصادفة حينما وصل الجنرال اللنبي ، قائد الجيوش البريطانية الى القدس وقال : اليوم انتهت الحروب الصليبية • ولم تكن مصادفة حينما وصل القائد الفرنسي الجنرال جورو الى دمشق حتى وصل الى قبر صلاح الدين وقال : ها قد عدنا يا صلاح الدين • دخل العرب حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ بسبعة جيوش عربية • ولو كانت جيشا واحدا مثل الجيش الذي قاده صلاح الدين ، الجيش الذي قام من سوريا ليعاون المصريين ضد غزو الصليبيين ، والجيش الذي قام لصد الفتنار بعد أن عبروا الفرات لكانت قد انتصرت • فالصليبية الجديدة هو الانتداب • فوضعت فلسطين تحت الانتداب من أجل القضاء على القومية العربية بطريقة جديدة • لم تنته الحملات الصليبية للقضاء على القومية العربية ، وقامت أساطيل بريطانيا في ١٨٠١ وفي ١٨٠٧ ثم فشلت • ثم عادت الجيوش البريطانية بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في الجزء الاكبر منها الى الصهيونية العميل الاول للاستعمار في الشرق الاوسط • وجاءت سنة ١٩٦٧ فاذا بالامبريالية الامريكية تمكن الصهيونية من الجزء الباقي من القدس ، وتساعد اسرائيل على تنفيذ مؤامرة خطيرة ليست أول ما تعرضت له الامة العربية • فاذا كان الاستعمار الصليبي مكث في القدس ٨٠ عاما

(٧٩) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق في ٢٠/٣/١٩٥٨

فان ذلك لا يعنى انتظار الاستعمار الصهيونى سبعين عاما مماثلة بل
يعنى التصميم والارادة والاصرار على التحرر (٨٠) .

يثبت التاريخ القديم أن التفكك يسبب غزو البلاد وان الوحدة
هى سبب النصر . التفرق تهزمه الجيوش الصغيرة ، والاتحاد يهزم
الجيوش الكبيرة مثل جيوش فرنسا وانجلترا من سنة ١١٨٠ الى سنة
١٩٥٧ . فقيام الجمهورية العربية المتحدة هو طريق الانتصار كما
يثبت التاريخ القديم . فما من مرة تتحد فيها سوريا ومصر الا وتثبت
دعائم القومية العربية . ان أى عربى ينظر فى تاريخه ينادى بالوحدة
ويشعر أن فى الوحدة تحقيق الآمال ، ودرء الاخطار ، وتثبيت دعائم
القومية العربية ، والتغلب على دسائس الاستعمار . يعيد التاريخ
نفسه عندما يلتقى الشعب العربى فى مصر بالشعب العربى فى سوريا ،
ويجتمع الجيش العربى فى مصر مع الجيش العربى فى سوريا .
وتعتقد الامة ارادتها على أن تعيد التاريخ فتحرر أرضها . هذا هو
درس الماضى ودرس الحاضر ودرس المستقبل أيضا (٨١) .

(٨٠) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ٢٠/٣/١٩٥٨
ج ٢ ص ٨٠ — ٨١ ، خطاب برشيد فى الاحتفال بهرور ١٥٠ عاما على
طرد الانجليز من رشيد فى ٢٨/٧/١٩٥٩ ج ٢ ص ٥٦٨ ، خطاب فى يوم
انتصار العمال العرب ٧/٥/١٩٦٠ ج ٣ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، خطاب
فى المؤتمر الشعبى بدمياط ٨/٥/١٩٦١ ج ٣ ص ٤٣٧ ، خطاب فى يوم
الجزائر ١/١١/١٩٦٠ ج د ص ٣٠٤ ، فى المؤتمر الشعبى بالمنصورة
لشرح بيان ٣٠ مارس ١٨/٣/١٩٦٨ ج ٦ ، خطاب فى أعضاء المجلس المركزى
للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ٢٦/٢/١٩٦٧ ج ٦ .

(٨١) كلمة القيت عقب عودة الرئيس من دمشق فى ٢٠/٣/١٩٥٨
ج ٢ ص ٧٧ ، خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ٧/٥/١٩٦٠ ج ٣
ص ١٧٦ .

لقد كشف ناصر عن تستر الحملات الصليبية تحت اسم الدين من أجل الاستعمار والسيطرة واستغلال شعار الصليب الذي كان في حقيقة الامر وسيلة لاختفاء الاستعمار • وبين أن الحملات الصليبية هي في الاصل استعمار اتخذ شعار الصليب • لقد هاجم الاستعمار تحت اسم الحروب الصليبية وكان يلقى بعض النجاح • كان الاستعمار الصليبي يتستر تحت اسم الدين ويقول انه يريد أن يؤمن بيت المقدس • وتعرضت سوريا للعدوان • واحتل الاستعمار الصليبي أجزاء منها • ولكن لم يكتف باحتلال القدس بل اتجه الى مصر واستمر الغزاة في القدس ٨٨ سنة • هذه الغزوات لا تهدف أبدا الى رفع شأن الدين ولكنها استعمار تحت اسم الدين • كان من الواضح أن اسم الدين هو اسم مزيف • وكان من الواضح أيضا من الحملة الصليبية التي وجهت الى المنصورة أن لويس التاسع الذي تستر تحت اسم الحروب الصليبية لا يهتم بأى حال من الاحوال الى الدين ولكنه يتجه الى السيطرة على هذا البلد وخيراته • ففي رد لويس التاسع الى الملك الصالح الذي كان يحكم البلاد قال لويس بالحرف الواحد : « الى الملك الصالح • انه غير خاف عنك أن أهل جزائر الاندلس يحملون الينا الاموال والهدايا ، ونحن نسوقهم سوق البعير ، ونقتل منهم الرجال ، ونرمل النساء ، ونأسر البنات والصبيان ، ونخلى منهم الديار • وقد أبديت لك النصيح • فلو حلفت بكل الايمان ، وحملت قدامى الشمع ساعة للصلبان ما ردنى ذلك عن الوصول اليك وقتالك في أعز البقاع لك » • وقال لويس أيضا : « فاذا أصبحت هذه البلاد لى - أى مصر - فتكون هدية في يدي » أى أنه كان يريد مصر • لقد رفع الصليبيون راية الصليب وكانت نيتهم الحقيقية هي الاستعمار والتعصب • أرادوا احتلال البلاد

والسيطرة على مقدراتها واخضاعها للسيطرة المعتدية من الخارج •
هاجموا دمياط واحتلوها • وكانت قواتهم وأساطيلهم تعبر عن التنبئة
الاستعمارية الصليبية في هذا الوقت لاختراع هذه المنطقة من
العالم • كان الصليبيون يضمرون في أنفسهم أمرا ، القضاء على
القومية العربية ، والسيطرة على بلاد العرب جميعا ، واخضاع هذه
البلاد لتكون لهم مزرعة يتمتعون بخيراتها (٨٢) • منذ ٧٠٠ سنة دارت
في المنصورة معركة فاصلة كانت نقطة تحول في الغارة الاستعمارية
الاولى ضد المشرق العربي • وهى القارة التى تسترت وراء الصليبية ،
وحاولت أن تستخدم رسالة السماء التى حملها عيسى اخاءا وسلاما
بين البشر الى سيطرة وعدوان واغتصاب واحتلال (٨٢) •

ولكن فى مقابل ذلك لم يستعمل ناصر دين الاسلام مثالا ، فى
مواجهة دين المسيحية • ولم يدع الى الجهاد الاسلامى فى مواجهة
الحملة الصليبية الجديدة • ولكنه دعا الى الوحدة العربية وتوحيد
مصر وسوريا بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة لا قبلها كتبرير
سياسى لقيامها • ولم يفسر الاسلام تفسيراً ثوريا بقدر ما واجهه
التستر الدينى الصليبي بقيم علمانية خالصة مثل القومية العربية •
لم يجعل تاريخ الوحدة العربية بين مصر وسوريا وسبيلة لتحقيق

(٨٢) خطاب فى يوم انتصار العمال العرب ٧/٥/٦٠ ج ٣ ص ١٧٢ ،
نفس الخطاب ص ١٧٣ ، خطاب برشيد فى الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على
طرد الانجليز فى ٢٨/٧/١٩٥٩ ج ٣ ص ٥٦٦ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى
بدمياط ٨/٢/١٩٦١ ج ٣ ص ٤٣٧ •

(٨٣) فى المؤتمر الشعبى بالمنصورة لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٣/١٨

الجمهورية العربية المتحدة بل لتبرير قيامها بعد أن قامت بالفعل •
وهنا يسقط ناصر الحاضر على الماضي ، ويؤول الماضي بمفاهيم الحاضر •
فلم تكن الحروب الصليبية ضد القومية العربية بل ضد المسلمين •
ولم يدافع المسلمون بقيادة صلاح الدين عن العرب والعروبة بل عن
الاسلام والمسلمين •

وقد برزت الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين خلال الحروب
الصليبية • فلم ينخدع المسيحيون العرب باسم الحملات الصليبية
لانهم كانوا يؤمنون بالقومية العربية • وكانوا يؤمنون بأراضيهم وبسمائهم
وبالبلاد التي ترعرعوا فيها • وقفوا جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين
يدافعون عن فكرة القومية العربية • كانت الحملات الصليبية في الاصل
استعمار تحت اسم الحملات الصليبية تهدف الى السيطرة والتحكم •
وقد فطن العرب التي تظلمهم فكرة القومية العربية الى ذلك فقام
المسلمون والمسيحيون في جميع أرجاء الامة العربية يحاربون ويقاثلون
وهم بهذا يدافعون عن فكرة واحدة معروفة ، فكرة القومية العربية •
منذ أكثر من سبعمائة عام هاجمت الحملات التعصبية سوريا وفلسطين
ومصر ، وقامت الامة العربية التي اكتشفت نفسها ، قام المسلم فيها
والمسيحي جنبا الى جنب للدفاع عن وطنهم المقدس ضد السيطرة
المعتدية المستعمرة المتعصبة من الخارج • فكانت الوحدة سبيل النجاة
والحرية وطرد العدوان • لقد كان من الواضح للامة العربية كلها
مسلمين ومسيحيين أن هذه الغزوات لا تهدف أبدا الى رفع شأن
الدين ولكنها استعمار تحت اسم الدين • فهب الشعب العربي واستطاع
أن يقضى على الغزاة • كان من الواضح أن اسم الدين هو اسم مزيف •
فان احدى المحلات الصليبية التي وجهت الى الامة العربية غيرت

طريقتها فسارت الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية وكانت في هذا الوقت تحمي المسيحية في الشرق • فهاجموا القسطنطينية ودمروها ونهبوا أموالها واحتلوها وهي في ذلك الوقت عاصمة المسيحية في الشرق ! كان من الواضح لكل فرد مسلم ومسيحي أن هذه الحملات انما هي حملات عدوانية استعمارية (٨٤) • كانت تريد اثاره فتنة طائفية في في البلاد العربية • وقانوا انهم يحاربون الاسلام والمسلمين • فهب الشعب المسلم للدفاع عن وطنه ، وهب معه الشعب العربي المسيحي ليدافع عن وطنه • ولم تنجح محاولات التفريقة بين أبناء الامة • فالشعب المسلم يعيش في نفس الوقت مع أشقائه في العروبة من جميع الاديان في محبة واخاء • لم يستطع الاستعمار أن يفرق بين أفراد الشعب في الماضي • فالشعب يرفع راية الاسلام ، ويرفع راية القومية العربية التي تجمع المسلم والمسيحي تحت راية الوطن الواحد (٨٥) •

١٠ — الوحدة الوطنية •

ويظهر موضوع الوحدة الوطنية أكثر فأكثر كموضوع مستقل عن وحدة المسلمين والمسيحيين ضد الصليبيين كرد فعل على أحداث

(٨٤) كلمة أقيمت عقب عودة الرئيس من دمشق في ٢٠/٣/٥٨ ج ٢ ص ٧٦ — ٧٧ •

(٨٥) خطاب برشيد في الاحتفال بمرور ١٥٠ عاما على طرد الانجليز من رشيد في ٢٨/٧/١٩٥٨ ج ٢ ص ٥٦٨ ، خطاب في يوم انتصار العمال العرب ٧/٥/١٩٦٠ ج ٣ ص ١٧٢ ، خطاب في المؤتمر الشعبي للاتحاد القومي بجامعة القاهرة ترحيبا بالرئيس أيوب خان ٨/١١/١٩٦٠ ج ٢ ص ٣١٣ •

معاصرة سواء داخل مصر أو خارجها في لبنان * وبالرغم من قلّة هذه الاحداث في العهد الناصري الا أنها جعلت موضوع الوحدة الوطنية من الموضوعات البارزة في الفكر السياسي عند القادة * وكانت الطائفية قمة هذه الاحداث * والطائفية في مصر ليس لها أى اعتبار * فكل فرد في هذا المجتمع مواطن له حقوق وعليه واجبات ، وعلى قدر جهده تكون له فرصة في العمل * والاعمال لا توزع على أساس طائفي * ويدخل الطلاب في الجامعات على أساس المجموع وليس على أساس الدين * فأبناء الوطن جميعا متساوون في الحقوق والواجبات والعمل * وان الابواق الاجنبية تزعم أن الاثترابية في الجمهورية العربية المتحدة لا تراعى المساواة بين الطوائف في حين أنها تقوم على الكفاءة والعمل * وبالتالي أمكن القضاء على الطائفية قضاء تاما * فاذا فاز مائة مسيحي للدخول في الوظائف الكثيرة فانهم يوظفون بصرف النظر عن الدين أو الطائفية * لقد حاول البعض تعديل هذا النظام ولكن الثورة لم تقبل * فلا فرق بين مصرى ومصرى ، ومواطن ومواطن * وفي الوظائف الاخيرة التى استحدثت يوجد عدد ضخم من المسيحيين يبلغ أكثر من ٧٥٪ في بعض الاحيان * واذا كانت الثورة تطلق مبادئ الدرس والجهد والعلم ، فليس من المعقول استبعاد مصرى مسيحي ونسبده بمصرى مسلم تحت وطأة تفكير طائفي سخيف * التعيينات في الحكومة وفي القضاء بالاقدمية * وفي كل الوظائف الترقية بالاقدمية لغاية الدرجة الاولى ، وبالتالي منع التعصب والتلاعب * والتعيين في القضاء بالمجموع وليس بالدين * الدولة لا تنتظر الى الدين ، والمجتمع لا ينظر الى الدين ولكن ينظر الى العمل والى الجهد والى الانتاج والى الاخلاق * وبهذا نبني فعلا المجتمع الذى نادى به الاديان السماوية التى نص الميثاق على احترامها * والمادة الرابعة والعشرون في الدستور تنص

على أن المصريين أمام القانون سواء • وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الاصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة(٨٦) •

وقد تعنى الوحدة الوطنية أحيانا وحدة قوى الشعب العامل أو وحدة التيارات الفكرية أو وحدة الاحزاب السياسية وذلك بعد حل الاحزاب في مصر أولا ثم في سوريا ثانيا بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة • ولكن الغالب عليها هو الوحدة الوطنية في مقابل الطائفية • فالثورة السياسية قضاء على الطائفية ونهاية لتجار الطائفية • أرادت فرنسا وهي تحتل سوريا أن تتاجر بالطائفية ، وأن تشجع تجار الطائفية • ولكن الشعب الحر الواعي رفض أن ينقاد وراء تجارة الطائفية • فحارب المسلم والمسيحي الاستعمار ، وأجلوا فرنسا • واستشهد المسلم والمسيحي ، وسفك دم المسلم والمسيحي ، سفك الدم العربي • لقد حاولت فرنسا تقسيم الشعب بالطائفية • ولكن الثورة السياسية قضت على أساليب فرنسا وعملائها ، ووحدت الشعب تحت راية الوحدة الوطنية • لم يستطع الاستعمار بذر بذور الفتنة الطائفية لان هناك أمة عربية واحدة تعمل من أجل تحقيق الاهداف العربية ، وتقوم على الوحدة الوطنية •

(٨٦) خطاب في شباب الاقليم السوري وعماله في الاسكندرية ١٧/٨/٦١ ج ٣ ص ٤٩ ، حديث مع صاحب مجلة كل شيء اللبنانية ١٣/٥/١٩٦٢ ج ٤ ص ٣٤ — ٤٥ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الاحتفال بارساء الحجر الاساسي لكاتدرائية الكنيسة المرقسية ٢٢/٧/٦٥ ج ٥ ص ٣٥١ — ٣٥٢ ، الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ٢٥/٣/١٩٦٤ ص ١٢ •

وفي مصر حاول الاستعمار أن يستخدم الطائفية ليقسم الطبقة العاملة لتكون في خدمة الرجعية لان الطبقة العاملة اذا انقسمت على أساس الدين أو على أساس طائفي وتصارعت على أسس طائفية نسيت أهدافها الاجتماعية في اقامة العدالة والمساواة والرفاهية • وقد وعى الشعب المصرى ذلك • ولم يستطع الاستعمار والرجعية من أن يستغل الطائفية لتقسيمه • لقد حاولت بغض العناصر منذ سنة ونصف استخدام الطائفية ، وحاولوا اسخدام بعض رجال الدين الذين كانوا في خدمة الرجعية • ولكن الشعب الواعى استطاع أن يكشف هذه الحركة ويقضى عليها تماما (٨٧) •

لم يعتمد ناصر كثيرا على الوعظ الدينى السياسى باللجوء الى المحبة والاخاء بل لجأ الى تاريخ الوحدة الوطنية ومقاومة الاستعمار من المسلمين والمسيحيين على السواء ، كما لجأ الى القومية العربية التى تضم المسلمين والمسيحيين • اذ تقوم الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين على مبادئ الثورة ، فالاسلام والمسيحية كلاهما ثورة • والثورة قامت على المحبة ولم تقم على الكراهية والتعصب • قامت تدعو للمساواة وتكافؤ الفرص • وهى المبادئ التى نادى بها الاديان ، كما نادى الاديان بالعمل من أجل الفقراء والمساكين والعاملين • واستنكرت الاستغلال والاستعباد بكل معانيه • كان المسيح ضحية للاستعباد والاحتلال الرومانى • وتقبل المسيحيون العذاب بصبر وايمان • وكانوا بالرغم من ذلك يدعون الى المحبة والاخاء • وكفاح

(٨٧) خطاب فى دمشق ١٧/١٠/٦٠ ج ٢ ص ٢٨٣ ، خطاب فى شباب الاقليم السورى وعمله فى الاسكندرية ٢٧/٨/٦١ ج ٣ ص ٤٩٢ •

محمد مثل كفاح المسيح • وعلى مر العصور كان المسيحيون والمسلمون
اخوة دائما منذ عهد الرسول • وقد أشار القرآن الى ذلك ، اخوة
عرضها الله على الشعب وحرم عليه التعصب • وحين دخل الاسلام
مصر استمرت المحبة بين الاقباط والمسلمين ، ولم يتحول الاقباط عن
دينهم قسرا ولا عنفا لان الاسلام لم يعترف بالقسر والعنف بل
اعترف بأهل الكتاب وبالمسيحيين ، اخوة في الدين واخوة في الله •
هذا هو مفهوم الثورة للدين • بالمحبة والاخاء والمساواة وتكافؤ الفرص
يخلق الوطن القوي الذي لا يعرف الطائفية ولا يحس بها بل يشعر
بالوطنية التي يشعر بها الجندي في ميدان القتال • في فلسطين في
١٩٤٨ كان المسلم يسير جنبا لجنب مع المسيحي ، ولم تكن رصاصة
الاعداء تفرق بين المسلم والمسيحي • وحينما تعرضت مصر للعدوان
في ١٩٥٦ وضربت بورسعيد لم تفرق القنابل بين المسلم والمسيحي ،
فكلاهما أبناء مصر (٨٨) • ولكن في كل مجتمع يوجد الطيب والخبيث ،
السليم وغير السليم • فتنشأ المشاكل والعقبات من فئة المتعصبين
سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين ، فتحدث المشادات في بعض القرى •
فيتعصب مسلم فيثير الناس أو يتعصب مسيحي فيثير الناس ، فيتعادى
الاخوان • ولكنها حوادث قليلة ، والدين الاسلامي بعيد عن التعصب •
هذه الحوادث القليلة ليست ظاهرة عامة • انما الواجب هو دعوة
المتعصبين الى العدائية سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين • اذا تعصب
المسلمون وشذوا فلا يتعصب المسيحيون ، واذا تعصب المسيحيون
وشذوا فلا يتعصب المسلمون • فالمتعصب المسلم لا يمثل اتجاه المسلمين

(٨٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الاحتفال بارساء حجر الاساس
لكاتدرائية الكنيسة المرقسية ٦٥/٧/٢٢ ج ٥ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ •

والتعصب المسيحي لا يمثل اتجاه المسيحيين • انما هي حوادث فردية من شواذ • وقد عرفت مصر بخلوها من الطائفية والتعصب والانقسام • هذه قضية وطنية ، وقضية بناء المجتمع • ويستطيع العقلاء حل هذه المشاكل الصغيرة التي تظهر بين الحين والآخر في مكان ناء أو قرية صغيرة • لقد خلق الله العالم وخلق معه التعصب والمتعصبين وسينتهي العالم ويقل التعصب والمتعصبون • ولكن مهمة العقلاء التخفيف من حدة التعصب وعدد المتعصبين • لقد بنيت الوحدة الوطنية بالدم سنة ١٩١٩ وقبلها ، وكان على كل مواطن أن يشعر بأن هذا البلد بلد المسلم والمسيحي على السواء •

ويبدو أن من عيوب الوعظ السياسي الديني السياسي انه تغيب عنه التحليلات الاجتماعية • يلجأ ناصر الى الطبيعة البشرية ، فيجد فيها الخبيث والطيب ، ويلجأ الى المجتمع البشرى فيجد فيه المتعصب والمتسامح ، وكأن الطبيعة البشرية ثابتة لا تتغير ، بها صفات أزلية أبدية في حين أن التعصب ينشأ من ظروف نفسية واجتماعية معينة ، مثل وجود الاقليات وسط الاغلبية ، والجهل الديني للاغلبية ، وايداء شعور الاقليات بمظاهر النفاق الديني ، والسيطرة الاقتصادية للاقليات تعويضاً عن النقص • كما يعالج ناصر المشكلة عن طريق حكمة العقلاء في مقابل جنون المتعصبين دون تغيير للاوضاع الاجتماعية ذاتها التي نشأ فيها التعصب • لذلك لم تنته مظاهر التعصب حتى الآن وفي كل مرة تتم مواجهة المظاهر بالوعظ الديني السياسي لان الواقع الاجتماعي نفسه لم يتغير •

ويظهر موضوع الوحدة الوطنية بعد ١٩٧٠ بصورة متكررة دون معالجته بطريقة موضوعية ومعرفة أسباب نشوب هذه الحوادث

الطائفية بين الحين والآخر ، وذلك لضعف النظام السياسى ، واحتكاره للقضية . وتلوية الشعب عنها . تذكر مبادئ عامة عن السماحة ، والحرية فى العقيدة ، والمساواة ، والتعاون ، والمحبة ، والانفتاح العاطفى . يجتمع المسلمون على دينهم من غير عدوان على أحد لدراسة الاسلام دون التعريض بالديانات الاخرى لان الاسلام قائم على السماحة وعلى حرية العقل والقلب ولانه يعترف بالاديان السماوية التى سبقته وبكتبها المنزلة . ولا يكمل ايمان المسلم الا بايمانه بما بعث الله من رسل ، وأنزل من شرائع . جاء الاسلام ليوحد البشر لا ليفرقهم ، وليؤاخى بين الناس لا ليعادى بينهم ، ويرفع لواء الحرية فى العقيدة لا ليكره الناس على عقيدة . وقد سوى الاسلام بين الحقوق والمعاملات بين المسلمين والمخائطين لهم من النصارى واليهود حتى ان بعضهم تولى الحكم ونهض بأعباء الوزارة فى فترات شتى من التاريخ . لا يمكن السماح بتمزيق الوحدة المقدسة تحت أى شعار أو ضغوط طائفية بين الجمعيات الاسلامية والمسيحية ، وهذه الوحدة الوطنية سمة أصيلة من سمات المجتمع المصرى وهى التى استطاعت ان تقضى على الفتن على مر العصور . ان تعاليم الاسلام السامية ومثله العالية وتاريخه المجيد وسماحته العظمى هى التى أفاءت ظلالها على المسلمين وغير المسلمين . ان الطائفية غريبة على بلد كان دوره الاسلامى القيادى حقيقة لا تنازع . وكان الوجود المسيحى فيه من قبل الاسلام ومن بعده اخاء ووطنية غير قابلة للاستغلال والتحريض . كان الازهر منارة الاسلام ، والبطريركية القبطية قلعة المسيحية العتيقة فى الشرق . يظل هذا الوطن مؤمنا برسالات السماء مخلصا مؤمنا عارفا بالحق متوسطا بالهدى متوجها الى الله حاملا لكتبه المقدسة .

كان الوطن دائما من القلاع الحصينة في الدفاع عن الدين قبل الاسلام
وبعده * بل ان الدين كان لديه في عصور طويلة دعاء الوطنية ذاتها *
فكل طائفية ردة وشكوك والوحدانية رباط مقدس (٨٩) *

وتفسر حوادث الشعب الطائفية على أنها من فعل المندسين والعملاء
وطلاب السلطة والناصرين والماركسيين من أجل تفتيت الوحدة الوطنية *
يقوم هؤلاء بالتشكيك في الوحدة الوطنية بين المسلمين والاقباط
ويوزعون منشورات تسيء الى المسلمين ومنشورات تسيء الى الاقباط
قادمة من خارج البلاد وبالتحديد من الولايات المتحدة * وهو جزء
من الحرب النفسية باستغلال الغطاء السطحي للتوتر الطائفي العام
واثارته من خارج البلاد * وردا على سؤال أن تكون لاثيوبيا والسودان
ولجهات لبنانية علاقة بالفتنة الطائفية في مصر أجاب الرئيس بأنها
حتما من خارج البلاد * وهناك وثائق شاهدها شيخ الازهر وبابا
الاقباط تؤكد أن مخططها وضع في أمريكا وكندا بالذات ، وان الطائفية
في مصر دائما أمر مفتعل لأنها ليست من أصالة الشعب في شيء (٩٠) *

(٨٩) رسالة الى مؤتمر الجمعيات الاسلامية في الولايات المتحدة وكندا
المنعقد في لوس انجيلوس بالولايات المتحدة ٧٢/٧/٤ ص ١ ص ٣٩٤ ،
في جامعة الاسكندرية ٧٢/٧/٢٧ ص ٢ ص ٣٤٣ ، رسالة الى المؤتمر
الاسلامي بديكار ٧٢/١٢/٧ ص ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ وايضا في يوم العمل
الاجتماعي ٧٢/١١/٣٠ ص ٢ ص ٤٠٦ — ٤٠٧ ، بيان الى الامة ٧٢/١٢/٢٨
ص ٢ ص ٤١٨ — ٤١٩ *

(٩٠) في افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي
العربي ص ٢ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ، بيان الى الامة ٧٢/١٢/٢٨ ص ٢ ص
٤٢٣ ، حديث الى نقيب الصحفيين اللبنانيين ٧٣/١/١٩ ص ٣ ص ١ —
١٣ *

ويأتى الاستشهاد من جديد بالحروب الصليبية على التستر بالدين من جانب الغزاة وعلى الوحدة الوطنية بين عنصرى الامة • فقد شهدت المنطقة ثلاث غزوات عنصرية تعتبر الدين ستارا وواجهة للتمويه والتغطية : التتار ، والصليبيون ، واسرائيل • وفى مصر لا يستطيع أحد أن يعرف ضريح المسلم من ضريح المسيح لانهم متعانقون جميعا فى قبورهم نتيجة شعورهم بوحدة وطنية كاملة • وقد واجه الشعب الغزوتين اللتين ليس فيهما شئ من الدين لمناعة وسلامة التفكير والصفوف المرصوفة • وعندما انتصر الشعب على المستعمرين الذين استغلوا اسم الصليب لاهداف توسعية وتجارية واقتصادية منعوا أقباط مصر من زيارة القدس لانهم لم ينصروهم ضد وطنهم • وقد كتب أحد المؤرخين وقتذاك ما نصه « ولم يكن حزن الاقباط فى مصر بأقل من حزن المسلمين • لهذا قضى مسيحيو أوروبا على أقباط مصر بحرمانهم من الحج الى القدس » • وهذا يبين عمق الوحدة الوطنية ، والترفع عن التفرقة الدينية فى مصر • وسيواجه الشعب الغزوة العنصرية الاسرائيلية الشرسة كما واجهه الغزوتين السابقتين •

ليس هذا هو الوقت المناسب لاثارة الطائفية • لقد دعا النبى محمد كما دعا المسيح ومن سبقهما من الانبياء الى الايمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصالح • واذا كان لاهل كل دين عقائدهم وأساليبيهم فى الايمان فى ظل من الحرية الدينية فان واجب الشعب كمجتمع انسانى كبير أن يكون له أسلوبه المتقارب والموحد فى العمل الصالح من أجل الانسان ومستقبله • وفى مصر والعالم العربى هناك سماحة وأخوة بأمر الدين • تتعانق المآذن وأبراج الكنائس ، ويتعانق الشيخ والقس ،

ويتعاون الاساتذة المسلمون والمسيحيون في وحدة ومحبة ، ويشاركون في مؤتمرات دولية اسلامية ومسيحية بالرغم مما عانت بعض أجزاء العالم المسيحي الاسلامى قرونا من بعض سوء الفهم • ان العدو لا يفرق بين المساجد والكنائس في الهدم ، ولكن الامة بعنصرها قادرة على رد الغزوة الاستعمارية المتسترة بالصليب(٩١) • وقد كانت سنة النبى عدم التعرض للعابدين يهود ونصارى في كنائسهم وصوامعهم • يقوم الاسلام على السماحة والمودة والعلاقات الطيبة والصلوات الانسانية بين المسلمين وغير المسلمين • فلا تعصب في الاسلام لمخالف في الدين • ولا بغضاء في الاسلام لمخاير في العقيدة • ولا اكراه في الاسلام على اعتناق الاسلام • بل الجميع أحرار في عقائدهم وفي عبادتهم لان الاسلام دين الحرية والعقل والعلم • ان الحوادث الطائفية مثل بعض الحوادث الطلابية ليست ظواهر شعبية عامة • فاذا كان الشعب المصرى متدينا بطبيعته فانه أيضا متسامح بطبيعته • آمن دائما بأن الدين لله والوطن للجميع وآمن دائما بوحدة عنصرى الامة • ولكنه كان دائما يرفض التعصب والشعوذة أو استخدام الدين لاغراض سياسية • كانت مصر دائما حصنا للاسلام سواء بالمعنى العسكرى دفاعا عن بلاد المسلمين أو بالمعنى الثقافى باقامتها لمنابر الدين وحفظها لتراثه وتدريبها لكل مذاهبه واتجاهاته • فهى ليست فى حاجة الى من يعلمها شيئا فى هذا المجال ، وهى تلفظ كل دعاة التعصب والشعوذة

(٩١) حديث الى نقيب الصحفيين اللبنانيين ١٩/١/١٩٧٣ من ٣ ص ١٢ - ١٣ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى المسيحى ١١/٩/٧٤ من ٤ ص ٥٨٥ - ٥٨٦ ، فى السويس ٢٤/١٠/٧٤ من ٤ ص ٧٠٤ - ٧٠٥ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى ٣/٢٣/٧٥٣ من ٥ ص ١٣٣ - ١٣٤ •

التي هي ضد جوهر الدين • وسوف تظل وحدة الشعب المصرى دائما أقوى حصونه وأمضى أسلحته • وعلى الامة العربية هبطت الاديان السماوية جميعها ومنها خرجت كل الرسل والانبياء • ان أول ما يتصف به المجتمع هو التسامح والبعد عن التعصب فى شتى صوره سواء أكان دينيا أم مذهبيا ، وتلك خاصية تتجلى فى أقوى مظاهرها فى المجتمع المصرى حيث تعايشت الاجناس والثقافات والعقائد المتنوعة جنبا الى جنب • يفتتح الرئيس مسجدا ثم يمر على كنيسة على بعد خطوات ليثبت وحدة الامة وقوتها ودون تمييز عنصرى أو دينى(٩٢) •

وفى الفن المصرى القديم ثم الفن القبطى ثم الفن الاسلامى تظهر روح الشعب الواحد • وقد اعتنق الاسلام كل العرب فى مصر وسوريا والعراق وصقلية والاندلس والمغرب والجزائر وتونس وايران وتركيا وشعوب أخرى كثيرة لان الاسلام يوحد بين الشعوب(٩٣) •

وتبلغ الفتنة الطائفية الذروة فى لحظات الضعف وعدم قدرة النظام السياسى على حل المشاكل المصيرية التى تمر بها البلاد فى الداخل والخارج • فقد عقد الرئيس اجتماعا فى ١٩٧٧/٢/٨ مع

(٩٢) فى المؤتمر العاشر للطلاب بجامعة الاسكندرية ٧٤/٤/٣ س ٤ ص ١٦٩ ، للمؤتمر الاسلامى فى الهند ٧٥/٤/١٩ ج ٥ ص ٢١٩ - ٢٢٠ ، حديث لجريزة الانوار اللبنانية ٧٥/٦/٢٢ ج ٥ ص ٣٤٣ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ٧٦/٣/١٤ ص ٥٣ ، الى مواطنى الاسماعيلية فى مسجد الشفاء مارس ص ١٩٧٦ ص ٣ وايضا فى عيد العمال ١٩٧٦/٥/١ ص ٣٠ ، فى العيد الثانى للفن ١٩٧٧/١٠/٨ ص ٤ •

(٩٣) فى افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧٥/٧/٢٢ س ٥ ص ٤١ - ٤٢ •

القيادات الدينية من أجل تغطية الموقف السياسى والخطابة فى خطورة الفتنة الطائفية دون اللجوء الى أسبابها الاجتماعية والسياسية بسـل والحديث عن التاريخ القديم • ويحيل الموضوع الى رجال الدين باعتبارهم المسئولون عن الشرائع على هذه الارض ، شرائع السماء ، المسيحية السـمحة والاسلام السـمـح • تعرض الوطن الى فتنة طائفية وهو لم يعرف أبدا الا الايمان • فكان الايمان زاده فى مواجهة مواقف كثيرة عبر تاريخه • اعتدى عليه مستعمرون كثيرون فكان الايمان أول أسلحة الشعب • ان محاولة الوقية بين عنصرى الامة لهو ضد السـمـاحة الدينية للمسيحية والاسلام • لم تظهر فى مصر أبدا طائفية كالتى تظهر أحيانا فى بعض البلاد العربية • ان الايمان الدينى أصيل فى الشعب المصرى بينما الصراع الدينى والتوتر ليس أصيلا أبدا • ذلك لان الوطن من قديم الزمان وطن السـمـاحة والاخاء ، وفى أبنائه هذا الحس العميق الذى يستطيعون به أن يميزوا بدقة بين جوهر الدين فى صفائه وبين التعصب فى جموحه • وهناك نماذج كثيرة على ذلك من دخول المسيحية مصر على الصعيد الشعبى ثم عن طريق الانتشار الهادىء بينما كان العنف من الحكم الرومانى • وقد دخل الاسلام مصر بالصورة نفسها ، انتشارا هادئا وبقيت المسيحية • والى هذا اليوم لا يعرف الريف فى مصر الا التقويمين القبطى والهجرى ، فنضبط عليهما أمور الزراعة وأمور الدين مثل الصيام والحج • أما التقويم الميلادى فلا تعرفه الا المدن • هذه هى صورة التعاون الاسلامى المسيحى الذى يبدو عندما يتعرض الوطن لامتحان رهيب كما حدث فى عهد الحروب الصليبية • فقد أتى الصليبيون تحت ستار الصليب • ولكن أقباط مصر ومسيحيى مصر وقفوا أمام مسيحيى أوروبا يصدون الغزو عن مصر التى تتكون من مسلمين وأقباط • وقد ذكر د • وليم

سليمان في كتابه « الكنيسة المصرية في وجه الاستعمار والصهيونية » ان الصليبيين كانوا صورة جديدة للارتباط بين الدين والسياسة ، والاستعمار هو التجسيد المادى للنظرة الغربية السائدة في عهدهم نحو الدين • لقد اندفع أمراء غرب أوروبا وفرسانها في هذه الحروب طمعا في تحقيق جاه دنيوى أو نفوذ سياسى لا يجدونه في بلادهم لعجزهم عن مواصلة حكم الامارات لامتهم • وفى كتاب ايزيس حبيب عن « قصة الكنيسة القبطية » مقدمة لاستاذ جامعى مسلم • كما اعتمد د • وليم سليمان على كتب اسلامية • هذه هى مصر السمحة التى يتعاون فيها عنصر الامة ، الارض التى تتعاقق عليها مآذن الجوامع وقباب الكنائس ، أرض السماحة والحب والاخاء • لم ينس أبناء مصر قط الدرس الذى تلقوه في الدين والسياسة عن الامبراطورية المسيحية ابتداء من القرن الرابع الميلادى • ولهذا أعرض الاقباط تماما عن النظر الى الغزاة على أنهم مسيحيون يربطهم بهم ارتباط واحد • وقد روى الاقباط أنفسهم في تاريخ الكنيسة المصرية أن الصليبيين حاولوا أخذ مصر ولكنهم فشلوا • ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الاقباط لهم أصدروا قانونا يمنع أقباط مصر من زيارة القبر المقدس • لما احتل الصليبيون القدس منعوا النصارى المصريين من الحج الى هذه المدينة بدعوى انهم ملحدون • فلم يكن حزن الاقباط بأقل من حزن المسلمين جميعا • هذه هى مصر في الازمات والغزوات والهجمات • وقد ذكر د • محمد عبد العزيز مرزوق في كتابه « الناصر قلاوون » وكما يروى د • وليم سليمان أن مسيحي أوروبا اتخذوا من المسيح ستارا في اندفاعهم نحو الشرق لتخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين في هذه الحرب التى كان ظاهرها الدين وباطنها الدنيا والرغبة في السيطرة • لم يتحرك أقباط مصر • وقف المسلمون مع

المسيحيون على طول تاريخ مصر صفا واحدا ، اختلطت دماؤهم ورفاتهم وتجاورت قبورهم في هذا الوادى الطيب الاخضر • هناك ثقة متبادلة ووحدرة وطنية • جذور الايمان والسماحة والمحبة ترى النفوس كما يرويهاماء النيل دون تفرقة بين مسلم ومسيحي • ونجد صورة الوحدة فى الانجيل والقرآن • فقد قال المسيح مخاطبا تلاميذه « هذه هى وصية : انه ليحب بعضكم بعضا كما أنا أحببتكم » (يوحنا) • ويعرض المسيح الاولوية للرسالة والحب على تقديم القربان ويقول « ان قدمت لله قربانا وذكرت أن لاختيك عليك شيئا فضع قربانك عند المذبح وامضى وصالح أخاك ثم ائت وقدم قربانك » (متى) • وفى القرآن « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله أيضا « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (٩٤) • وهكذا نجد ما اعتبره عبد الناصر دليلا على القومية العربية وهى فى حالة المد اعتبره السادات دليلا على الوحدة الوطنية وهى فى حالة الجذر • يستشهد عبد الناصر من تجربة التاريخ التى يعيشها ، ويستشهد السادات بمجموعة من الدراسات تم تجميعها له ليوحى بأنه يعتمد فى ثقافته وممارسته السياسية على الدراسة والبحث •

ويحيل الرئيس الموضوع الى رجال الدين ، وهى الجهة المسئولة عن الفتنة الطائفية • وينصحها بالعناية بالتربية الدينية وجعلها مادة اجبارية فى المدارس للسقوط والنجاح بدءا من العام المقبل ، والاستعداد لذلك بالمدرسين والكتب المكتوبة بأسلوب عصى • فالطريقة

القديمة بالية ولا بد من مواجهة مشاكل العصر لادخال القيم والدين والايمان فى نفوس الاطفال من بدء حياتهم حتى الجامعة • وعلى مجلس الوزراء بحث هذا الموضوع ، والاستعداد بالمدرسين المسلمين مع المسيحيين لتدريس الدين بأسلوب جديد نواجهه به مشاكل العصر • على رجال الدين الواجب الاساسى وهو اعادة الايمان والسماحة والحب ، والقضاء على الحقد الذى يسرى فى بعض النفوس (٩٥) • ان هذه الحوادث المتفرقة التى حدثت فى الفيوم وأسيوط مسئولية رجال الدين الاسلامى والمسيحى لمواجهتها على مستوى المسئولية الوطنية • وهى حوادث قليلة فى أرض الرسالات والانبياء • وقد اجتمع الرئيس بأعضاء مجمع البحوث الاسلامية بزعامة الامام الاكبر شيخ الجامع الازهر • واجتمع فى نفس اليوم بأعضاء المجمع المقدس للاقباط الارثوذكس برئاسة بابا الاقباط • ان واجب كل فرد أن يتعصب من أجل الدين وليس فى ظل الدين • التعصب من أجل الدين هو الايمان والعبادة والالتزام بفضائل السماء • والتعصب فى ظل الدين هو التقويض لما تدعو له كل الاديان من مبادئ وقيم وفضائل • التعصب من أجل الدين هو المزيد من الحب والاخاء والتعاطف والتماسك • والتعصب فى ظل الدين هو الاثارة للحقد والبغضاء واشاعة روح الانقسام • لقد لعبت الاصابع الخفية السوداء دورها للتفرقة والوقية فى المنطقة العربية كلها ، وتعرضت لبوادر فنتة طائفية منذ ١٩٧٢ • وكان من الممكن اتباعا لنصيحة دعاة الفردية الاكتفاء بالتدخل الشخصى من الرئيس مع قيادات الدين الاسلامى والمسيحى للتنبيه والكشف لما يدبر فى الخفاء من أعداء الدين • ولكن عرض الموضوع

كله أمام الشعب المؤمن مسلمين وأقباط في سماحة وصفاء فيه قضاء للفتنة قبل أن تولد • وبعد حوادث ١٩/١٨ يناير تمت دعوة قيادات الدين الاسلامى والمسيحى لأول مرة في تاريخ مصر معا لتأكيد الوحدة الوطنية •

ويرجع الرئيس الطائفية الدينية الى ظهور النعرة الدينية والتعصب والمخالاة في المظاهر ، وهذه رد فعل على سيطرة المادية والالحاد على أجهزة الاعلام • بالتالى يكون السبب الاساسى والاول لكل المآسى والشور المادية والالحاد التى تسبب التعصب الدينى كما ظهر في التكثير والهجرة والذى يسبب بدوره تعصب كل طائفة لدينها فتظهر الطائفية • فالماركسية هى المسئولة عن الطائفية !

وقد بلغت ذروة الفتنة الطائفية في لبنان في الحرب الاهلية التى اندلعت في ١٩٧٥ • وقد وجه الرئيس نداء الى بيار الجميل كى لا تتحول المعركة في لبنان الى معركة طائفية • فلم تعرف المنطقة العربية وفيها لبنان الا التسامح الدينى • وقد كانت مهبطا لكل الاديان • والاقتيال في لبنان اذا كان يبتدىء أحيانا في لون طائفى الا أنه لا يمكن أن يكون في جوهره كذلك • فقد عرفت لبنان تعايش الطوائف وتداخلها وامتزاجها قرنا بعد قرن ، نموذجا للتعايش بين الطوائف والمذاهب (٩٦) • وردا على سؤال عما اذا كانت الخلافات الدينية هى السبب الاساسى في

(٩٦) لقاء مع القيادات الدينية ١٩٧٧/٢/٨ ص ٢٣ - ٢٥ ، كلمة الى الشعب المصرى والامة العربية في افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ١٩٧٥/١٠/١٨ ص ١٠ ، الى نائب رئيس مؤسسة روز اليوسف ١٩٧٦/٧/٢ ص ٤ ، ص ٥ •

الصراع الحالي في لبنان وعن احتمال انفصال المسيحيين في بلدة مثل
جونيه واقامتهم لدولة مستقلة مثل امارة موناكو أجاب الرئيس بأن
ما حدث في لبنان لم يكن على الاطلاق صراعا بين المسلمين والمسيحيين
بل هو صراع بين اللبنانيين أنفسهم ، ثم بينهم وبين الفلسطينيين * لكن
للاسف دعاة التفرقة يصورون الصراع على أنه بين المسيحيين
والمسلمين(٩٧) *

ويستخدم السادات الوحدة الوطنية بمعنى الغاء الصراع الطبقي
وليس بمعنى القضاء على الطائفية أي استغلال مفهوم شرعي من
أجل القضاء على وضع لا شرعي(٩٨) * مما يدل على أن هدفه البعيد
كان في تعميم الصراع الطبقي الذي بدأ في التفاقم بعد وفاة عبد
الناصر * بل انه كثيرا ما قام هو نفسه بتدبير حوادث طائفية (حادثة
الخانكة) من أجل ضرب الوحدة الوطنية ، وانتهاز الفرصة لضرب
الخصوم السياسيين تذرعا بالطائفية كما حدث في مذبحة سبتمبر ١٩٨١ *

(ب) المرحلة الثانية : الدين والتنمية المستقلة ١٩٦١ - ١٩٦٦ :

١ - الاشتراكية والاسلام :

(أ) الاسلام أول دين اشتراكي * ان معركة الاشتراكية والدين
هي أهم المعارك على الاطلاق في سنوات الثورة المصرية التي ظهر
فيها الدين للهجوم على الاشتراكية أو الدفاع عنها * وقد ظهرت

(٩٧) مؤتمر صحفى بدمشق ١٧/١١/١٩٧٧ ، حديث الى مجلة
الحوادث اللبنانية ٧٥/٨/٢١ ص ٢٠ .

(٩٨) حديث الى الامة ١٣/١/١٩٧٢ س ٢ ص ٢٢ .

المعركة بعد قوانين يوليو الاشتراكية في ١٩٦١ ، واستمرت حتى بداية معركة أخرى في سنة ١٩٦٥ هي معركة الحلف الاسلامي ، وبعد استنساب النظام الاشتراكي في مصر •

ولقد بدأت المشكلة من خارج مصر ، بدأت من العقلية الغربية التي ترى في كل ثورة تقدمية خطرا شيوعيا حتى ولو لم تتبن الثورة بعد النظام الاشتراكي • فبعد انتصار الثورة على العدوان الثلاثي في ١٩٥٦ سأل مراسل صحيفة التيمبو الايطالية ناصر : هل هناك تشابه في المبادئ بين الدين الاسلامي الذي تقوم عليه سياسة الدولة العربية وبين المذهب الماركسي ؟ وهل التهجيم على الدين هو السبب في أن العرب لا يعتقدون الشيوعية ؟ ورد ناصر قائلا بأن الدين الاسلامي دين غالبية العرب قد بين بوضوح القواعد التي يقوم عليها التعاون بين البشر • فلا حاجة اذن الى مبادئ جديدة سواء كانت شيوعية أم من أي نوع آخر يعتقدونها المسلمون • لقد شرع الدين الاسلامي لمجتمع مسلم ، ولا يرغب المسلمون في استبدال مبادئ هذا الدين أو تشريعاته بأية مبادئ أو تشريعات أخرى • كان السؤال اذن يدور حول موضوع الانحياز للشرق أو الغرب خشية أن تكون الثورة المصرية بطابعها التقدمي ثورة شيوعية أو متجهة نحو المعسكر الشرقي • وتدل الاجابة على بذور موضوع الافكار المستوردة الذي استعمل فيما بعد للهجوم على الماركسية وموضوع الحياد الايجابي بين الكتلتين الذي سيصبح عصب السياسة الخارجية في الثورة المصرية (٩٩) • ثم

(٩٩) حديث سياسي الى مراسل صحيفة التيمبو الايطالية ١١/١٢/٥٦

يظهر الموضوع من جديد بمناسبة الخلاف بين مصر والعراق في عهد عبد الكريم قاسم واتجاه نظام الحكم في عهده اتجاهها شيوعيا . ففى حديث مع الصحفى الهندى كرانجيا سأل الصحفى ناصر عن خطر الشيوعية على الاسلام والفتاوى الصادرة ضد الملحدين التى ضايقته الرأى العام فى الهند والتى قد تسيء الى حلفاء مصر فى الهند ويوغوسلافيا كما قد يسيء الى القومية العربية التى يتحتم عليها أن تراعى وجود أقليات كثيرة غير اسلامية . فأجاب ناصر بأن هذا الاتهام لا أساس له من الصحة ، وبأنه لم يستغل الاسلام لاغراض الدعاية . ومع ذلك فبنساء على كتبهم فان لهم نظرة الحادية غير اسلامية غريبة على كل مسلم ، ثم حورت هذه الملاحظة لتتمشى مع الدعاية حول الاسلام والالحاد . وليس للقيادة السياسية أية علاقة بما يصدر من فتاوى . كل انسان يعبر عن وجهة نظره ، الاسلامية أو المسيحية . وبالتالي تم الهجوم على الالحاد الشيوعى . ليست مهمة الحكومة الدعاية ولكن كل فرد حر فى أن يعبر عن وجهة نظره من الناحية الدينية . وقد لاحظ نهبو أن الشيوعيين يقومون بما يشبه الحرب الدينية فيسببون رد فعل قوى لدى الشعب ذى المعتقدات الصحيحة . وهناك أنباء من العراق بأن القرآن قد مزق وقطع . وقد تركت هذه الانباء أثرا سيئا فى القاهرة ودمشق . ناصر نفسه رجل متدين يرفض الالحاد . والتدين ليس مقصورا على أداء الصلاة وزيارة المساجد بل يمتد الى السلوك فى الحياة ومبادئ الاخلاق والعلاقات مع الناس (١٠٠) .

(١٠٠) حديث الرئيس مع الصحفى الهندى كرانجيا ١٧/٤/٥٩ ج ٢

تتكر القيادة السياسية أنها استعملت الدين لاغراض الدعائية • وهذا صحيح من حيث الفعل وليس من حيث رد الفعل • فقد هوجمت الثورة من الناحية الدينية خاصة من الرجعية العربية فاضطرت لاستعمال نفس السلاح ، فكان استعمال الثورة للدين نوعا من آليات الدفاع أو الهجوم من حيث أن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع • ولكن تعيين كبار رجال الدين ، ووضعهم كموظفين في الدولة يجعلهم يسارعون في تبرير مواقف السلطة السياسية حتى ولو لم يطلب منهم ذلك مستخدمين الدين أيضا في الدفاع عن مواقف السلطة وقراراتها ومهاجمة أعدائها وخصومها • لذلك اطمئنت السلطة السياسية وتظاهرت بأنها ليست وراء الفتاوى وانتهاج الشيوعية بالكفر والالحاد ، وانها لا تمنع أى انسان من التعبير عن وجهة نظره من الناحية الدينية لأنها بالفعل تطلق العنان في حرية تامة لرجال الدين لتأييد مواقفها السياسية • فظهرت حرية التعبير عن الرأى الواحد المؤيد للسلطة وليس للرأى المعارض المناهض لقراراتها والذي لا يهتم نظام الحكم في العراق بالكفر والالحاد • ويبدو أن السلاح الذى استعملته السلطة السياسية في مصر ضد نظام الحكم في العراق قد استعمله فيصل فيما بعد بعد قرارات يوليو الاشتراكية ضد نظام الحكم في مصر • ولكن السلطة السياسية في مصر هى التى بدأت بالصاق هذه التهم (الكفر والالحاد) مستعملة سلاح الدين • ويظهر موضوع الاسلام والماركسية بعد قرارات يوليو الاشتراكية بعام واحد وذلك في المناقشات الخاصة باقرار الميثاق الوطنى وذلك لتوضيح خصوصية الاشتراكية العربية والفرق بينها وبين الماركسية اللينينية • وأول هذه الفروق هو أن الاشتراكية العربية تؤمن بالدين وبالرسل في حين أن الماركسية تنكر

الدين والرسال • الاشتراكية العربية تؤمن بالله ايماناً لا يتزعزع في حين أن الشيوعية تنتكر للاديان وتعتبرها أفيون الشعب • والاشتراكية هي الاشتراكية العلمية أى التى تقوم على العلم لا على الفوضى أو المادية أو الماركسية • ولانها اشتراكية تقوم على الدين فالدين الإسلامى دين اشتراكى • وان الاسلام فى « القرون الوسطى » حقق أول تجربة اشتراكية فى العالم • الخلاف المبدئى اذن على الشيوعية انها لا تؤمن بالدين • أما الاشتراكية فى مصر فانها تؤمن بالدين وبحرية الاديان (١٠١) • وحين تحدثت الثورة عن الكفاية لم تتجه الى الاساس المادى ونسيت الاساس الروحى الدينى والفكرى بل احترمت الانسان وحق الانسان فى الحياة كإنسان • وبعد ١٩٧٠ يركز النظام على هذا الفرق الجوهرى وهو الدين • فالماركسية ترفض الدين • وبالرغم من ادعائها بأن هذا الكلام قد تغير وتطور الا أنه لم يصدر شىء رسمى من أصحاب النظرية المعنيين بها كلهم اجماعاً حتى يصرحوا للعالم كله بأن الماركسية قد تنازلت عن رأيها فى الاديان ! وكأن الماركسية دولة لها رئيس مسئول تصدر عنه التصريحات ! ويحقق قانون الضرائب الجديد العدالة الاجتماعية كما أرادها الله وكما يقول فى سورة الحديد « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلناكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا وأنفقوا لهم أجر كبير » • المال فى الشريعة مال الله • لذلك تجب الدعوة كما أراد الله لعمران هذه الارض ، أن نكون مستخلفين عنى هذا المال • لابد من وضع الحدود التى تسوى وتوزع ما بين الناس

(١٠١) بيان فى افتتاح الامة فى دورة الانعقاد الثانى ١٢/١١/٦٤ ج ٥ ص ٨٢ ، كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد لاشتراكى العربى ٢٥/٢/١٩٦٥ ج ٥ ص ١٦٦ •

بحق الله * وليكن هذا على أساس فلسفة قانون الضرائب * فعلى
الغنى أن يتحمل أعباء لا يستطيعها الفقير * انها المسئولية وخوف من
الله أن يحاسب كما نصت الشريعة عن عدم أخذ فضول الاغنياء
لمساعدة الفقراء * بل وتذكر آية الاستخلاف « آمنوا بالله ورسوله
وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر
كبير » (١٠٢) *

ولكن المعركة الحقيقية عن الدين والاشتراكية بوجه عام وعن
الاسلام والاشتراكية بوجه خاص بدأت بعد قرارات يوليو الاشتراكية
في سنة ١٩٦١ * وبصرف النظر عن دوافع هذه القرارات مثل الانفصال
الذي وقع في فبراير ١٩٦١ فان دخول الاسلام كأساس للاشتراكية
كان أولا محاولة غير مقصودة لسد النقص النظري عند السلطة
السياسية لانها لم تكن لديها نظرية اشتراكية متكاملة واضحة المعالم
لتطبيقها * صدرت قرارات يوليو الاشتراكية كرد فعل على الانفصال *
وكان لابد من تأجيل هذه القرارات نظريا * لا تكفى حجة المصلحة
العمامة وحقوق الجماهير ، ولكن لابد من سند نظري وجدته السلطة
السياسية في الدين ، وهو البديل التقليدي عند الجماهير عن النظرية
السياسية * ففي هذه المرحلة بدأ الحديث عن الاسلام دين الاشتراكية
قبل هجوم الرجعية العربية على الاشتراكية * وكانت الاشتراكية تعنى
التأميم ، تأميم الشركات الاجنبية ، وتكوين النواة الاولى للقطاع العام *

(١٠٢) الجلسة السابعة ١٩٦٢/٥/٣ ج ٤ ص ٩٢ ، خطاب في عدد
الثورة الثالث عشر ١٩٦٥/٧/٢٢ ج ٥ ص ٣٥٦ ، الى الامة ١٩٧٧/٢/٣ ؛
ص ١٠ ، الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١١ - ١٢ .

فالاسلام في أول أيامه كان أول دولة اشتراكية ، وكان محمد زعيم أول دولة اشتراكية ، وأول من طبق سياسة التأميم في حديث « ان الناس شركاء في ثلاث : الماء والكأ والنار » ، وقد أضاف البعض الآخر الملح ، وهى المقومات الاساسية للمجتمع في ذلك الوقت الذى لا يجوز ملكها لشخص ، وهذا لا يختلف عن التأميم . وبلغه العصر تكون المقومات الاساسية للمجتمع هى الصناعة والزراعة والتعدين وليس تجارة الوسطاء وهو نشاط اقتصادى غير منتج . وعندما مات النبى لم يكن يملك شيئاً ولم يترك أموالاً في سويسرا ولا في فرنسا ولا في الحجاز . مات وهو مديون يحاول سداد دينه كى يؤدى رسالته كاملة . ويقول شوقى في شعره « الاشتراكيون أنت امامهم » يعنى أن أنبى محمد هو أول من طبق الاشتراكية في العالم . الاسلام أول من نادى بالاشتراكية ، وأول من نادى بالعدالة الاجتماعية . أول دين نادى بالاشتراكية هو دين الاسلام . والرسالة التى نادت بها الثورة هى الاشتراكية ، والاشتراكية هى أساس المساواة ، أى ألا يتحكم غرد في فرد . دين الاسلام أول دين يدعو للاشتراكية والمساواة والقضاء على التحكم والسيطرة . كان محمد امام الاشتراكيين . لم يجمع ثروة ولا مالا . ولم يكن يعمل الا لارساء قواعد الاسلام . والاسلام لم يكن ديناً فقط ولكنه كان دينياً ، كان ينظم العدالة على الأرض ويحث على المساواة ، ويثير تكافؤ الفرص ، وهذا كله يمكن التعبير عنه في كلمة واحدة الاشتراكية (١٠٣) . اذا نظرنا الى الاسلام

(١٠٣) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ، صنعاء بتاريخ ٢٥/٤/٦٤ ج ٤ ص ٥٧١ ، خطاب في المؤتمر الشعبى في اسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ٦٣/١/٩ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ٢٨/٧/١٩٦٣ ج ٤ ص ٤١٩ ، خطاب الرئيس جمال عبد الناصر في كبار علماء الدين في اليمن ، صنعاء بتاريخ ٢٥/٤/٦٤ .

في أول أيام محمد ماذا كان يملك ، وننظر اليوم الى ملوك الرجعية ماذا يملكون ! انهم بهذا قد خرجوا عن دين الله يدافعون عن أنفسهم الدفاع الاخير لان الاشتراكية شريعة العدل ، والعدل شريعة الله ، تمنع الاستعباد والاستغلال والاستبداد . لم يجعل محمد نفسه ملكا . لم يأخذ أموالا من المسلمين . أعطانا محمد المثل ، كان قائدا للمسلمين ورسولا للمسلمين ، ولكنه لما توفي لم يكن لديه شيء الا ثوبه ، باعه وتصدق به . لم يكن محمد ملكا . ماذا كان يملك النبي وماذا يملك الآن فيصل ؟ هو لا يمثل الاسلام لان الاسلام يدعو الى تقسيم الرغيف مع الاخوة . وهذا يعنى في العصر الحديث الاشتراكي . وقد أنصف النبي أهل الفقر من أهل الغنى ، وقد تم ذلك أيضا في هذه الايام (١٠٤) .

واستمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية الاولى أيام أبى بكر وعمر . فقد أمم عمر الارض ووزعها على الفلاحين . والاسلام عندما ذهب الى العراق أخذ الارض من الاقطاع وأعطاهم للشعب . الشعب كان عبيدا ولم يكونوا شركاء . هذه هي الاشتراكية . اذا نظرنا الى الاسلام في عهده الاول في عهد عمر ، كان عمر يعمل على ألا تكون

(١٠٤) خطاب في عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ . خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للسويس ج ٥ ص ٣٣ في ١٩٦٦/٣/٢٢ ، حديث الى د. كرانجيا رئيس تحرير مجلة بليز الهندية ١٩٦٦/٥/٨ ج ٥ ص ٥٦٣ ، كلمة الرئيس عبد الناصر في الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ ، تصريحات الوفد الصحفى العراقى ١٩٦٣/٧/٢٠ ج ٥ ص ٤٩٤ ، خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٣٣ .

هناك طبقة ولا يكون هناك فقر • ماذا كان يملك عمر ؟ وماذا كان يملك أبو بكر ؟ أما ملوك الرجعية وزعمائها فانهم يملكون كل شيء • يملكون أموال المسلمين لا أموالهم • تنهب الرجعية أموال المسلمين ثم تتمسح بالدين ! (١٠٥) •

وقد حارب أبو بكر مانعي الزكاة ، وهي حروب الردة في الاسلام ، فالردة عن الزكاة ردة عن الاسلام ، ردة عن النظام الاسلامي كله وعلى الدعوة الاسلامية كلها • وهذا نموذج للثورة الاجتماعية التي لا بد أن تسير في طريقها ويتم تأمينها حتى تنتصر وتزال الفوارق بين الطبقات ، وتقام العدالة الاجتماعية ، وتقام الفرص المتكافئة بين الناس • لقد انتصر النبي ، ورجع الى مكة منتصراً • وحدث خلاف في ذلك الوقت هل يتم العفو عن الذين ناهضوا الدعوة وقاوموها ووقفوا ضدها أم لا ؟ فقال الرسول : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وقال أيضا : « من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن » • وكان هذا سبيل الثورة في بدايتها وهو سبيل الرسول عندما رجع من احدى المعارك التي أصيب فيها « معركة أحد » وقال : « اللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون » • فكل دعوة لها مؤيدون ومعارضون ، والمعارضون يتم العفو عنهم اذا ما تحولوا الى الاسلام كما فعل عمر بن الخطاب عندما تحول من العداوة الى التأييد ، أو قتالهم كقتال أبي بكر مانعي الزكاة • يبدو

(١٠٥) خطاب في عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ ، الكلمات والتعقيبات التي القاها في اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني القومي للقوى الشعبية ، الجلسة الثانية ١٩٦١/١١/٢٧ ج ٣ ص ٦٠٧ ، كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسة الرابعة بتاريخ ١٩٦١/١١/٢٩ ج ٣ ص ٦٢١ — ٦٢٢ •

ان السلطة السياسية هنا تقيم حجة لتأييد العنف الثورى فيما يتعلق بحقوق الفقراء فى أموال الاغنياء بدليل حروب الردة وقتال مانعى الزكاة • هذا فى الوقت الذى كانت تريد فيه الثورة تأمين القرارات الاشتراكية والتنظير لها واضفاء الشرعية على التأميم • ولكن اذا ما أرادت اتجاهات أكثر تقدمية مثل الماركسية مزيدا من التحول الاشتراكى بعد التحقق من المسافة بين القرارات المعلنة والنظم الفعلية ، بين الاهداف المنصوبة وبين الواقع العملى ، بين الشعارات الثورية وبين تطبيقاتها ، اتهمت بالعنف الثورى وبأنها ضد السلام الاجتماعى • فالسلطة السياسية تستعمل العنف الثورى ضد الاقطاع والرجعية ، وتستعمله أيضا ضد المتقدمين عليها ممن يطالبون المتخلفين عنها بمزيد من التحول الاشتراكى •

وتنص جميع الديانات على العدالة الاجتماعية كما تنص جميع الديانات على الزكاة • ففى الاسلام تمثل الزكاة ربع العشر من المال الموجود فى آخر كل سنة • ولما كان الانسان يعيش أربعين أو خمسين سنة تمثل الزكاة ثروة طائلة يمكن استخدامها فى صالح الجماعة • الزكاة أساس من أساس الاشتراكية لذلك لم يكن فى الدولة الاسلامية فى هذه الايام فقراء أو عجرة بل كان هناك تكافل اجتماعى (١٠٦) • وقد نصت اليهودية والمسيحية أيضا على الزكاة التى هى تطبيق الاساس الاشتراكى السليم الصحيح • والدين الذى يأمر بتوزيع ربع العشر من رأس المال هو الدين الاشتراكى الحقيقى • الاسلام

(١٠٦) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ —
٤٦٢ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبدء بناء
السد العالى ١٩٦٣/١/٩ ج ٤ ص ٣١٢ •

دين العدالة الاجتماعية لان الاسلام حين نادى بالزكاة معنى هذا ان الانسان أو الفرد الذى يدفع ٢٥٪ من أمواله يعطى أمواله فى ٥٠ سنة للشعب وللدولة . هذه هى العدالة الاجتماعية ، وهذه هى الاشتراكية . الدين فرض الزكاة ربع العشر على رأس المال . الدين الاسلامى يمكن تفسيره اشتراكيا لانه بالفعل دين اشتراكى (١٠٧) .

ان الاشتراكية التى تنادى بها العدالة الاجتماعية هى ألا يتحكم فرد فى رقاب الناس ، ألا يتحكم فرد بالربا فى اعطاء أمواله للناس . وحينما طبقت الاشتراكية كان أول شىء تم عمله هو القضاء على الربا فى السلفيات الزراعية . هذه هى الاشتراكية . فمصر أول دولة تتمتع الربا وفقا لقواعد الاسلام بالنسبة لقطاع معين وهو السلفيات الزراعية ، تعطى الفلاح سلفيات دون فوائد . هذه هى الاشتراكية (١٠٨) .

ان شريعة العدل هى شريعة الله التى نص عليها الدين الاسلامى . وحين أرادت الثورة تطبيق العدل لم تنتكر بأى حال من الاحوال لشريعة الله لان الثورة تؤمن ايمانا قلبيا بأن شريعة العدل هى شريعة الله (١٠٩) .

ولكن رجال الدين يصدرن فتاوى لصالح الاقطاع بعد أن يقبضوا الثمن ، ويؤيدون الملكية الفردية ، ويحرمون المساس بها . « بعض

(١٠٧) خطاب فى عيد الثورة التاسع ١٩٦١/٧/٢٢ ج ٣ ص ٤٦١ .

(١٠٨) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ ، كلمة فى الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ٢٦٧ .

المشايخ يقوم يروحوا كل واحد يخبط ديك رومى أو خروف عند الاقطاعيين
ويطلع يدى فنوى ، ان الملكية لا يمكن أن تقرب لها أو أن نمسها » •
انهم لا يفكرون الا فى بطونهم ، وهم بذلك أجراء للاقطاع
وللرأسمالية (١١٠) • الدين عمل • كان النبى يعمل بيديه ، وكل فرد كان
يعمل ، ولم يكن الدين تجارة (١١١) • ويتم تطبيق النظام الاشتراكى
بالتدريج • وذلك يسمى مرحلة التحول الاشتراكى • وقد أرشد
القرآن على حكمة التدريج وذلك لانه لم يعط أحكاما قاطعة محددة
من اليوم الاول ، مع أن الله قادر على ذلك ، ولكنه أراد التعليم
والدراية والاسترشاد • لم يحرم الخمر من أول مرة بل قال أولا :
« يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما
أكبر من نفعهما » ثم أشفعها بآية « ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى »
وأخيرا نزلت آية « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من
عمل الشيطان فاجتنبوه » • هذا هو دليل العمل ، وعندما يحكى
القرآن القصص التاريخى عائدا الى الماضى فانه يعطى عظة وعبرة ،
ويذكر لنا درس التاريخ كما فعل فى قصة عاد وثمود لمعرفة أسباب
الطغيان ومصير الطغاة (١١٢) •

وفى خضم معركة الاسلام والاشتراكية قامت ثورة اليمن فى

(١٠٩) خطاب فى عيد الثورة الثالث عشر ٢٢/٧/ ١٩٦٥ ج ٥ ص
٣٥٥ - ٣٥٦ .

(١١٠) خطاب فى عيد الثورة التاسع ٢٢/٧/ ١٩٦١ ج ٣ ص ٤٦١ .

(١١١) خطاب فى عيد الثورة التاسع ٢٢/٧/ ١٩٦١ ج ٣ ص ٤٦١ .

(١١٢) حديث مع صاحب مجلة كل شىء اللبناية ١٣/٥/ ١٩٦٢ هـ ٤

ص ٣٦ .

١٩٦٣ • وأصبحت الاشتراكية تعنى التعاون والتضامن وهو ما يحدث بالفعل بين القبائل اليمنية لان كل قبيلة مشتركة مع بعضها البعض ومتضامنة في كل شيء • فلا يوجد فرد يتحكم في كل شيء ويحرم الآخرين • القبيلة هي مجموعة تتشارك في السراء والضراء ، وتتشارك في الحرب وفي السلم وفي العمل • هذه هي الاشتراكية التي تعنى أن يكون الجميع سواء (١١٢) •

ليست الاشتراكية جوهر الاسلام وحده بل هي جوهر الاديان جميعا • فالدين الاسلامي ينادى بالعدالة الاجتماعية والدين المسيحي ينادى أيضا بالعدالة الاجتماعية (١١٤) • وقد كثر المنظرون للاشتراكية والاسلام وانهمرت الكتب بالعشرات تبين اشتراكية الاسلام ، والاشتراكية الروحية • وتشير الاشتراكية الديمقراطية أيضا الى قول المسيح « لا ينفعك أن تخسر نفسك وتكسب العالم كله » (١١٥) • وقد قام المعهد الاشتراكي بجهد كبير في التعريف باشتراكية الاسلام في صورة محاضرات وندوات وحلقات بحث ونشرات (١١٦) • كما خرجت

(١١٢) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الوجد اليمني لحضور احتفالات العيد الحادي عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ •

(١١٤) كلمة في الاجتماع الذي عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ١٦٦ •

(١١٥) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٥ •

(١١٦) الاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوي الثالث ص ٧٧ •

معظم المجالات الدينية الشهرية بمقالات عن اشتراكية الاسلام (١١٧) .

واختفت المعركة كلية بعد ١٩٧٠ . ولم تعد هناك الا كلمات عامة عن حق ولى الامر فى أخذ أموال الاغنياء وردها الى الفقراء بالحسنى حتى يقضى على حجة الاشتراكيين ومعارضتهم للنظام وكى يهاجم العنف والحق . تعطى الشريعة لولى الامر أن يطلب المال الزائد للدولة بلا حقد أو كراهية أو اذلال ودون امتهان لكرامة الناس كما كان الحال فى لجنة تصفية الاقطاع فى العهد الناصرى (١١٨) .

وفى البحث الذى قدمه المجلس الاعلى للجامعات عن « الاشتراكية الديمقراطية » يظهر الدين كركن أساسى فيها سواء فى رأى الجامعات

(١١٧) د. نظير حسان سعداوى : الاشتراكية العربية والتطور الاشتراكى ، الفصل الثانى : الاشتراكية الاسلامية ص ٢١ — ٣٩ ، د. يحيى هويدى : الفلسفة فى الميثاق ص ١١٩ ، ص ١٣٠ ، الدوى : المنهاج الاشتراكى على ضوء الاسلام ، الخانكى ١٩٦٣ ، ا . فراج : الاسلام دين الاشتراكية ، الدار القومية ١٩٦١ ، عبد المغنى سعيد : الاسلام والاصول الفكرية للاشتراكية العربية ، الانجلو المصرية ٦٢ ، أحمد الشرباصى : مبادئ الاشتراكية فى الاسلام ، الدار القومية ، محسن محمد المدنى : اشتراكية الاسلام ، مجلة الازهر نوفمبر ١٩٦١ ، أحمد الشرباصى : الضرائب فى الاسلام ، مجلة الازهر ، ديسمبر ١٩٦٢ ، يناير ١٩٦٣ ، أحمد الشرباصى : الاسلام دين المساواة ، لواء الاسلام نوفمبر ١٩٦٢ ، على الرفاعى : اشتراكية الاسلام ، نور الاسلام ، ديسمبر — يناير ١٩٦٢ ، عبد السميع المصرى : اقتصاديات الاسلام ، نور الاسلام مارس ١٩٦٩ ، حسن كامل اللطاوى : الاشتراكية فى الاسلام ، منبر الاسلام ، ديسمبر ١٩٦٣ ، محمد على أبو ريان : الاسلام والمذاهب الاشتراكية ، منبر الاسلام ديسمبر ١٩٦٣ .

(١١٨) الى مواطنى الاسماعيلية فى مسجد الشفاء مارس ١٩٧٦ س

ككل أو في رأى كل جامعة على حدة • بل وتتبارى الجامعات ، وتزأيد على بعضها البعض بتملق الحس الدينى عند القادة والجماهير طمعاً فى منصب ، مادام صاحب الرأى عميق الايمان يوثق به فى تربية الجماهير وقيادتها كما يهوى النظام السياسى • وقد كتبت الورقة بحجة الاجتهاد ودون أجر ، فى حين انها كتبت بناء على طلب السلطة السياسية (١١٩) •

(ب) الرد على الرجعية العربية • وقد بدأ هجوم الرجعية العربية بعد الحركة الانفصالية • فقد اعترف الملك سعود وفيصل أن الرجعية ستنتصر ، وان الرشوة والاموال يمكنها أن تكسب المعركة • فبدأوا حملاتهم ضد الثورة متمسحين بالاسلام (١٢٠) • ويبدو أن الهجوم على الاشتراكية من النظم الرجعية العربية فى السعودية واليمن قد بدأ بعد الانفصال فوجدت هذه الانظمة الفرصة مواتية للهجوم على الثورة الاجتماعية فى مصر ، وهى مطعونة فى الظهر • بدأ راديو مكة بعد الانفصال السورى حملة على مصر وعلى الاشتراكية وبعد تطبيق النظام الاشتراكى فى مصر ليخدع الشعوب باسم الدين (١٢١) • أعداء الاسلام والدين والتقدم يحاولون أن يفسروا الاشتراكية بمعان غير

(١١٩) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٠ •

(١٢٠) خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ ج ٤ ص ٣١٢ •

(١٢١) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية فى الوفد اليمنى لحضور احتفالات العيد الحادى عشر للثورة بتاريخ ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٩ •

المعانى التى تطبق بها فعلا • وان الحملة ضد الاشتراكية فى البلاد العربية موجهة من تحالف رأس المال والاقطاع وأيضا من الاستعمار لان الاستعمار فى البلاد لم يتمكن الا بالتحالف مع الاقطاع ورأس المال • واتخذوا من الدين ذريعة ليقولوا ان الاشتراكية ضد الدين (١٢٢) • اذا كانت الاشتراكية هى المساواة بين الناس فقد نادى الدين بالمساواة • واذا كانت الاشتراكية هى تكافؤ الفرص فقد نادى الدين بتكافؤ الفرص • واذا كانت الاشتراكية هى رفع مستوى المعيشة فقد نادى الدين برفع مستوى المعيشة • واذا كانت الاشتراكية تذويب الفوارق بين الطبقات فقد نادى الاسلام بتذويب الفوارق بين الطبقات • من الطبيعى أن تدافع الرجعية عن نفسها وتدافع عما سلبته من الشعب • فى مصر قبل الثورة كان نصف فى المائة يستولى على ٥٠٪ من الدخل القومى • فجاءت الثورة وقضت على هذا التوزيع الطبقي غير العادل ، وأصبح الدخل القومى يوزع على كل الشعب ، وقضت على الطبقة الرأسمالية والطبقة الاقطاعية • بهذا تطبق الثورة الاسلام • أما الذين يستغلون الناس ، ويخترنون أموال الشعب تحت أى اسم من الاسماء ، كيف يقولون ان هذا هو العدل ؟ هذا هو الاستغلال • والاسلام لا يقر الاستغلال • وقد عبر الميثاق عن هذه الحقيقة فى عبارتين : الاولى « ان جوهر الاديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية • بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان • ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الاعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا برضى الدين بطبقية

(١٢٢) تصريحات للوفد الصحفى العراقى بالقاهرة ١٩٦٦/٢/٢٠

تورث عقاب الفقير والجهل والمرضى لغالبية الناس وتحتكر الخير لقلّة منهم » • والثانية « ان الله جلّت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساساً للعمل في الدنيا وللحساب في الآخرة » (١٢٣) •

وتهاجم الرجعية العربية على نحو آخر وذلك باعتبار أن الاشتراكية ضد الاسلام • سعود يقعد يفتك في دقنه وهو متترفض ويقول ان الاشتراكية ضد الاسلام • والدافع على ذلك ان الرجعية السعودية اليمينية نهبت أموال الشعب ، وترفض اعطاء الشعب حقوقه • وذلك لان اقامة العدالة الاجتماعية في السعودية ، وشريعة العدل هي شريعة الله ، بسيمنه من كنز الاموال وصرها على الجوارى • تكيز الرجعية أموال الناس نهبا ولا يكون هذا ضد الدين وضد الاسلام في حين ان الاسلام ينهى عن كنز الاموال ، وأخذ أموال الناس • الاشتراكية عدالة ، الاشتراكية مساواة وقضاء على الظلم الاجتماعي ، واعطاء الحق لاصحاب الحق الذين هم الشعب • فهل الاشتراكية ضد الدين ؟ وشريعة الله والقرآن لم تقل بأن الانسان يكون سيّدا بالوراثة أو عاملا أو فلاحا بالوراثة • لم يقل الدين بذلك أبدا بل قال ان الناس أحرار متساوون • الدين لا يسمح بالاستغلال • والدين لا يسمح بوجود فقراء في مجتمع غنى • فالمليونير الذي يمتلك الاموال الضخمة لا يمكن أن تكون ثروته عن طريق العمل بل نتيجة الاستغلال (١٢٤) •

• (١٢٢) مشروع الميثاق ص ٨٨

(١٢٤) خطاب في يوم الوحدة العربية ١٩٦٢/٢/٢٢ ج ٤ ، خطاب في المؤتمر الشعبى في أسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى في ٦٣/١/٩ ، خطاب في الاحتفال الشعبى الذى أقيم بمناسبة العيد الخامس للوحدة ٦٣/٢/٢١ ج ٤ ص ٣٣١ •

استخدم سعود الاسلام وقال ان الاشتراكية ضد الاسلام ، وابتدأ يعلن حربا عنيفة * ولكنه يجارب معركة يائسة لان ايماننا بالله قد زاد . وايمان الامة العربية قد زاد لانها أمة واعية تعرف من هم الذين يسامون من أجل أهدافها ومن هم الانتهازيون والمرتدون * يقول البعض الاشتراكية ضد الدين ، ويفسرون الدين على انه استغلال للانسان في حين ان الدين لم يكن أبدا استغلال الانسان للانسان * وقد استخدم الدين في الفترة التي سيطر فيها الاقطاع ورأس المال لخدمتهما * أما في الاشتراكية فكل الناس متساوون ، لا توجد طبقة أسياد وطبقة عبيد * لا توجد طبقة أسياد تملك كل شيء وطبقة عبيد تعمل لنا لتأكل وتعيش فقط * لا توجد طبقات ولكن يوجد جهد ، كل فرد حسب جهده ، وكل يكافأ وفقا لعمله * الاشتراكية لا يمكن أن تكون بأى حال من الاحوال ضد الدين بل هو تطور العدالة الاجتماعية التي نص عليها الميثاق (١٢٥) * يقولون الاشتراكية ضد الدين * وهل الغنى الذى ينهب أموال الناس ويأخذ ثروة البلاد كلها سيطبق الاشتراكية ويوزع الاموال على الناس ، وهو من عائلة مميزة ، عائلة الاسياد وبقية الناس عبيد ؟ وهل يقر الاسلام هذا الوضع : هل يجوز أن تكون هناك عائلة تسود والشعب كله عبيد ؟ هل الاسلام أن تحكم عائلة في البلاد حكما اقطاعيا ، وتنهب الاموال كلها ، والشعب جائع لا يجد ما يأكله ؟ هل يقول الاسلام بأن يكون الشعب عبيدا وأن تكون هناك عائلة مميزة تأخذ الدخل كله ؟ هل يأمر الاسلام

(١٢٥) خطاب في بورسعيد بمناسبة عيد النصر ٢٣/١٢/٦١ ج ٢ ص ٦٥٢ — ٦٥٣ ، كلية في الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة التشريعية للاتحاد الاشتراكي العربى ٢٥/٢/١٩٦٥ ج ٥ ص ١٦٧ .

أن تنهب أموال المسلمين وأن تسلب ثرواتهم ؟ يقول صاحب الذقن هذا الكلام وهو يستغل الناس ويخدعهم طالبا منهم أن يصفوه بأمر المؤمنين ، ذى الذقن الطويل ، هو ناهب لاموالهم بأمر الاسلام . واكن الناس على وعى ، وسيقضون على ذوى الذقون الطويلة لان هذه هى سنة الكون ، وليس مجرد قول أو رغبة لفرد . لا يمكن لاحد أن يخدع الناس أن يقول لهم ان الاشتراكية ضد الدين لان الناس تفهم ما يقال لها ، وتسمع من خلال الترانزستور أن الاشتراكية تكافؤ الفرص ومساواة بين الناس ، لا يوجد فيها أمير أو غفير ، أو صاحب سمو أو صاحب جلالة ، أو صاحب ذقن أو من غير ذقن . فاذا كانت الاشتراكية مساواة فكيف تكون ضد الدين . كيف تكون الاشتراكية ضد الدين ، وأصحاب الذقون يتاجرون بالدين ؟ ولا تنطلى على الشعب الواعى التجارة بالدين لان العالم قد تغير . الدين هو المساواة والعدالة وأن تعطى أموال المسلمين للمسلمين لا أن تترك لفرد واحد أو عائلة واحدة مع عدد من المنتفعين المستغلين . الدين هو العدالة الاجتماعية . ومن يريد تطبيق الاسلام عليه توزيع أموال المسلمين على المسلمين . هذا هو الدين . وهذه هى الاشتراكية أى اقامة عدالة اجتماعية ومساواة بين الناس . من يريد تطبيق الدين لا يقسم الشعب الى عائلة من الأسياد وشعب من العبيد . هذا هو الكفر ، كفر الرجعية التى تحاول استغلال الدين حتى تستغل أموال الناس وتأكلها . لفد نعلت الناس واستنارت . وان صبرت عاما فانها لن تصبر عامين . وان صبرت خمسة أعوام فانها لن تصبر عشرة . لابد أن يأخذ كل فرد حقه . وكل انسان يعلم علم اليقين ان الدين هو دين الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية ، دين الاخذ من الاغنياء الى الفقراء ، دين رد أموال المسلمين الى المسلمين . ليس الدين أن تحتكر فئة قليلة

أو عائلة واحدة كل شيء ، أن تأخذ كل الخيرات ونترك الشعب جائعا دون اعطاء أية فرص لهم • الدين هو العمل من أجل حرية البلاد ومن أجل عزة الدين لا العمل من أجل الاستعمار (١٢٦) •

تدافع الرجعية العربية عن نفسها ضد الاشتراكية وضد الكفاية والعدل ، وتدافع تحت اسم الدين ، والدين لا ينادى بالاستغلال وبالاستعباد بل ينادى بالمساواة ، وبأن أموال المسلمين تكون للمسلمين ، وليس للملوك المسلمين ، هذه هي الاشتراكية • تقول الاشتراكية ان أموال المسلمين للمسلمين وتقول الرجعية ان أموال المسلمين للملوك المسلمين • يقول الدين ان أموال المسلمين للشعب وليس للملوك المسلمين وبالتالي تنمشى الاشتراكية مع الدين • ولكن لما كان الاسلام عقيدة يؤمن بها الشعب المسلم العربي تسترت الرجعية بالاسلام ، وتمسحت بالاسلام ، واعتقدت انها وجدت خط دفاع كبير • ولكن العالم العربي عالم واعى ، والشعب العربي شعب ثائر لن يمكن الرجعية من أن تخدعه مهما تمسحت بالدين لأن الناس تفهم الدعوة من قائلها • فاذا كانت الرجعية تطلق دعوة تحت اسم الدين ، يعرف كل انسان أن الرجعية هي التي تنهب أموال الناس ، وهي التي تستغل عمل الناس ، وهي التي تستعبد العمال ، تاركة الشعوب مستغلة ومحرومة من حقها في الحياة وحقها في الكرامة • لم تكن الرجعية أبدا شريعة الله ولكن شريعة الله كانت داما هي شريعة العدل ، وشريعة العدل هي

(١٢٦) خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٤٤ •

الاشتراكية ، والاشتراكية تمنع ملوك المسلمين من أن يمسفوا أموال المسلمين ، ويأخذوا أموال المسلمين • الاشتراكية هي الكفاية والعدل ، والرجعية هي الاستغلال والاستبداد • والاسلام لا يقبل الاستغلال والاستبداد • شريعة الله هي شريعة العدل ، شريعة المساواة • أما شريعة الرجعية فهي شريعة ضد الاسلام وضد الدين • ومهما تمسحت الرجعية بالدين فانها خارجة على دين الله • ويقال ان عبد الناصر ضد الدين وفيصل مع الدين ، ويقوم خبراء الدعاية والضغط النفسى بطبع دعايتهم على ورق مصقول وطباعة فاخرة ، وهي كلها من ألعيب الاستعمار (١٢٧) • ويقال ان الاشتراكية الحاد في حين أن الرجعيين هم المحدون • وما دخل الالحاد في سف أموال المسلمين ؟ وما دخل الدين والالحاد في اغتصاب أموال المسلمين • الالحاد هو اغتصاب أموال المسلمين ، وسف أموال المسلمين ، واستعباد المسلمين ، واستغلال المسلمين كما تفعل الرجعية اليوم • ويخرج الملك حسين يتكلم عن الاسلام والايمان والدين وتأتيه نوبة الكلام على الدين والايمان ، يوهم الناس بأن الاشتراكية كفر ولكن أكل أموال الناس حلال ، وان العدالة الاجتماعية كفر ولكن نهب أموال الناس حلال ، وان حكم الشعب كفر ولكن حكم الامراء حلال ، ويحاول اقناع المسلمين بأنه يعمل من أجل وحدتهم ورفع شأنهم وهو خادم لامريكا والاستعمار (١٢٨) •

(١٢٧) خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربي بمناسبة الاحتفال بالعيد القومي للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ .

(١٢٨) خطاب في مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية ١٩٦٧/٥/٢٢ ج ٦ ص ١٦١ ، خطاب في الاحتفال بعيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ٦ ص ٦٦ .

وقد هاجمت الرجعية العربية الاشتراكية بأنها بديل عن الاسلام •
اذ يقول راديو دمشق بأن جمال عبد الناصر يشبه نفسه بالرسول ،
ويقول ان دعوته مشابهة لدعوة الرسول • في حين أن المقصود هو
الاستشهاد بوذا العهد الاسلامى وبالدعوة الاسلامية لان الله أعطانا
من هذه الدعوة حكمة نتبعها في حياتنا (١٢٩) •

وتدعى الرجعية العربية من راديو مكة بأن العدالة الاجتماعية
التي يقول عنها عبد الناصر لا يمكن لمخلوق أن يفرضها بأى حال من
الاحوال بل هى من وضع الله ومن تدبيره • هل يجب أولا الغاء
المحاكم ووزارة العدل وبتترك القوى وصاحب الملك يسلب ثروات البلد
كيف يشاء ؟ ويقول راديو مكة أن ازالة الفوارق بين الطبقات ضد
الدين ، فالفقراء لهم الجنة • لماذا لا يريد أصحاب راديو مكة نصيبا
من الجنة ولو صغيرا ؟ ولماذا لا يكون للفقراء نصيب في الدنيا ويكون
نصيبهم في الآخرة فقط ؟ ان الفقراء يريدون أن يستبدلوا بنصيبهم في
الآخرة نصيبا في الدنيا ولو صغيرا ! ان منطق راديو مكة يبعث عنى
الضحك ، ويطلق الشعارات ، والناس تعلم ان الدين هو العدالة
والمساواة ، وان الدين ضد الظلم الاجتماعى ، وضد الاستعمار بكل
معانيه • لقد كان الدين الاسلامى أول ثورة وضغت المبادئ الاشتراكية
الخاصة بالعدالة والمساواة (١٣٠) •

(١٢٩) كلمة الرئيس جمال عبد الناصر في الجلسة الرابعة بتاريخ
١٩٦١/١١/٢٩ ج ٣ ص ٦٢١ •
(١٣٠) حديث لصاحب مجلة كل شىء اللبنانية ١٣/٥/١٩٦٢ ج ٤
ص ٢٧ •

وتهاجم الرجعية اليمينية الاشتراكية • وينظم الامام قصيدة شعر
ضد الاشتراكية • والعجيب ان الرجعية العربية تستحسن الاشتراكية
شعرا وغناء وتعاديها عند التطبيق ! فمن المعروف أن الاسلام دين
الاشتراكية ، ولكن لم تحدث معاداة لها الا بعد تطبيقها في مصر •
وعندما يقول شوقى : « الاثتراكيون أنت امامهم » ، وتغنى أم كلثوم
تنبسط أسارير الرجعية ويصفقون بأيديهم • ولكن عند التطبيق
يعادونها ويعتبرونها ضد الاسلام • كما تروج الاذاعات الاستعمارية
والصحف الاجنبية ما تردده النظم الرجعية • تخشى هذه النظم
تطبيق الاشتراكية في مصر حتى لا تسرى عدواها الى أنظمتهم • ولكن
الثورة المصرية ترد على ذلك بأنها لن تطالب بتطبيق النظام الاشتراكي
في السعودية أو في اليمن • لقد هاجمت الرجعية النظام الاشتراكي
في مصر دفاعا عن أوضاعها في بلادها • وهم يعلمون انها منافية للدين
وللعادل ولشريعة الله ولكل الشعوب التي تنادى بالحرية والتي تطالب
بحقوقها (١٣١) •

ويقول راديو مكة أن الدين يطالبنا بالصدقة • في حين ان الدين
لا يطالب بالصدقة فقط ، فالمال مال الله ، ليس ملكا لاحد • المال
مال المسلمين جميعا • المال مال الشعب • عوائد البترول ملك للشعب •

(١٣١) خطاب في بورسعيد بمناسبة عيد النصر ٢٣/١٢/١٩٦١ ج ٣
ص ٦٥٢ ، خطاب في عيد النصر السادس ٢٣/١٢/١٩٦٢ ج ٤ ص ٢٧١ •
خطاب في الاحتفال الشعبى الذى أقيم بمناسبة العيد الخامس للوحدة
٢١/٢/٦٣ ج ٤ ص ٣٣١ ، حديث مع صاحب مجلة كل شيء اللبنايية
١٣/٥/١٩٦٢ ج ٤ ص ٢٧ ، خطاب في يوم الوحدة العربية ٢٢/٢/١٩٦٢
ج ٤ •

والشعب يطالب بحقه فيها • وبدل أن تودع في البنوك الاجنبية في الخارج في بنوك سويسرا بنهر سرية ، تستخدم هذه الاموال وتستثمر في البلاد • واثر ذلك ناقش مؤتمر البحوث الاسلامية رأى الاسلام في التأميم وبيان حدود الملكية في الاسلام اذا ما اصطدمت بحق الغير أو بمصلحة المجتمع • فالاسلام يحرم التصرف في الشيء المملوك ، ويحجر على تصرف السفهه ليحوى المجتمع من تنذير أموال المسرفين • وهو يعطى السلطان حق مصادرة الاقوات والحاجيات الضرورية ، ويبيعه للناس بثمن المثل حفاظا على حق المجتمع • وليس من حق الانسان تجسيد الارض الزراعية بلا استغلال لان ذلك ضد مصلحة الدولة والمجتمع • كما انه لا يجوز تجميع الملكيات الكبيرة وتركيزها في يد قلائك مع حرمان ٩٩٪ من الشعب من ملكية شىء من الارض حتى لا تكون الثروة الارضية في أيدي الاغنياء يتداولونها فيما بينهم دون أن يكون لغيرهم من الفقراء أية حصة فيها أو أمل في تداولها ، وهو مخالف لمصلحة المجتمع (١٢٢) • وقد أصدر المؤتمر عدة قرارات الرابع منها ان من حق أولياء الامر في كل بلد أن يحدد من حرية التمليك بالقدر الذى يكفل درء المفاسد البيئية ، وتحقيق المصالح الراجحة ، وان أموال الظالم وسائر الاموال الخبيثة والاموال التى فيها المشبهه على من فى أيديهم أن يردوها الى أهلها أو يدفعوها الى الدولة • فان لم يفعلوا صادرها أولياء الامر ليجعلوها فى مواضعها • وان لأولياء الامر أن يفرضوا من الضرائب على الاموال الخاصة ما يفى بتحقيق المصالح العامة • وان المال الطيب الذى أدى ما عليه من الحقوق

(١٢٢) خطاب فى يوم الوحدة العربية ٢٢/٢/١٩٦٢ ج ١ ،
الاهرام ١٠/٣/١٩٦٤ .

المشروعة اذا احتاجت المصلحة العامة الى شىء منه أخذ من صاحبه نظير قيمته يوم أخذه • وان تقدير المصلحة وما تقتضيه هو حق أولياء الامر • وعلى المسلمين أن يسدوا اليهم النصيحة ان رأوا في تقديرهم غير ما يرون (١٣٣) •

بل ان « الاشتراكية الديمقراطية » لم تتخلف عن هذه العادة البديهية • فالاسلام كالاشرارية لا يضيق بتقييد الملكية الخاصة للصالح العام ويتدخل الدولة • والفقهاء متفقون على أن يد الملك بد استخلاف ، ومعنى ذلك أن الملكية وظيفة اجتماعية • ولقد قام النظام الاسلامى على مبدأ التكافل والامن من بين جميع أفراد المجتمع بحيث جعل في أموال القادرين حقا معلوما للسائلين والمحرومين • وتزايد جامعة الاسكندرية وتفيض في تحقيق العدالة الاجتماعية واحترام الانسان في الاسلام • فقد قام النظام الاسلامى على التكامل الاجتماعى ، فالمؤمنون رجل واحد ، بل ويمتد مبدأ التكافؤ الى الحيوان • والعمل حق مقدس • والاجر بقدر العمل ، وضرورة التكافل أمام الخطر • وتزايد جامعة طنطا بذكر تقييد الاسلام للملكية ، فقد حمى عمر الحمى • وقد أغنى حديث الرسول : « من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ثوب له ، ومن كان عنده فضل شوب فليعد به على من لا ثوب له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » عن كل الفلسفات الاشرارية الغربية (١٣٤) •

(١٣٣) الاهرام ١٩٦٤/٤/٦ ، العدد السابق ص ٤٣ — ٤٤ •

(١٣٤) المجلس الاعلى للجامعات : الاشرارية الديمقراطية ص ٣٥ ،

المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤ •

قالوا الاشتراكية كفر في حين ان الاشتراكية تمثل شريعة العدل ،
شريعة الله • ولكن الرجعية المتى أصيبت بالذعر لم تجد أمامها من
سبيل لتدافع عن نهب أموال الشعب و ثرواته الا هذا الكلام الذى
لا يصدقه أحد • ان الاشتراكية التى تتمثل فى الكفاية والعدل ،
وفى إعطاء كل فرد من أبناء الشعب نصيبا فى ثروة بلده هى شريعة
العدل • وشريعة العدل هى شريعة الله • أما الكفر فهو نهب أموال
الشعب و ثرواته ، وأخذ أمواله كلها ثم استعباده وحكمه بطريقة
تتمثل فيها حكومات القرون الوسطى • طريق الاشتراكية هو طريق
الكفاية والعدل ، طريق اذابة الفوارق بين الطبقات ، طريق تكافؤ
الفرص لان هذا هو طريق العدل ، طريق شريعة العدل وهى شريعة
الله التى لا تقبل الظلم أو المتحكم أو الاقطاع أو الاستغلال لان شريعة
الله نادى بالعدالة وبالمساواة وبالحرية (١٣٥) •

قالوا الاشتراكية كفر ، فى حين أن الكفر هو تربية الجوارى ،
وجمع الاموال واغتصاب مال الشعب • هذا هو الكفر الذى هو
ضد الدين ، وضد الاسلام ، وضد كتاب الله • أما الاشتراكية فهى
شريعة العدل ، شريعة الله ، شريعة العدالة والمساواة والقضاء على
السيطرة والاستغلال ، واذا بة الفوارق بين الطبقات ، وأن يكون لكل
فرد جهده ، ولكل فرد قدر عمله • والشعب العربى قادر على القضاء
على حكم القرون الوسطى واقامة الحكم الاسلامى الحقيقى الذى

(١٣٥) خطاب الى ضباط الصف فى حفل افتتاح نادى ضباط الصف
بالحمية ١٩٦٢ / ٧ / ٢٤ ج ٤ ص ٢٠٦ ، خطاب فى ملعب بلدية الاسكندرية
بمناسبة عيد الثورة العاشر ١٩٦٢ / ٧ / ٢٦ ج ٤ ص ٢١٧ •

هو العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، والانتقال من حكم القرون الوسطى الى حكم القرن العشرين • الكفر هو أكل أموال الناس ، وأخذ عرق الناس ، واستغلال الناس • الكفر هو تأخر البلاد والسيطرة والاستغلال والاستبداد • فالدين الاسلامى دين العدالة والحرية والمساواة • هل العدالة الاجتماعية كفر ؟ هل تكافؤ الفرص والمساواة كفر ؟ ان الاسلام هو العدالة الاجتماعية ، هو العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص ، والحكم السعودى هو الكفر • ان الاشتراكية هي شريعة العدل ، وشريعة العدل هي شريعة الله ، وشريعة الله تأبى أن يكون الغنى ارثا والفقير ارثا • شريعة الله ترفض هذا وتأباه ، وشريعة العدل هي اقامة العدالة الاجتماعية (١٣٦) •

أطلق الملك سعود اذاعته قائلا للناس الاشتراكية تعنى أن يأخذوا أولادكم ونساءكم وعائلاتكم لايهلام الناس • الاشتراكية هي أخذ المال المغتصب من الشعب لتوزيعه على الشعب • الاشتراكية هي الكفاية والعدل • الاشتراكية تحترم الدين والعائلة وحق الاسرة ، وتحترم حق المواطن فى بلده وفى ثروة بلده ، وتحترم أيضا حق الكفاية وحق العدل ، تحترم انسانية الفرد ، وتؤمن بالألا يكون هناك تمييز بين انسان وآخر • الاشتراكية تقديس للاسرة والدين والكفاية والعدل • الاشتراكية هي العدالة الاجتماعية والقضاء على الاستغلال • وهي

(١٣٦) خطاب فى العيد العاشر للثورة ١٩٦٢/٧/٢٢ ، خطاب فى الكلية الحربية بمناسبة يوم التدريب ١٩٦٢/٦/٢٥ ج ٤ ص ١٠٩ ، خطاب فى عيد النصر السادس ١٩٦٢/١٢/٢٣ ج ٤ ص ٢٧١ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بأسوان بمناسبة العيد الثالث لبناء السد العالى ١٩٦٣/١/٩ ج ٤ ص ٣١٢ •

التحرر السياسى ، والتحرر الاقتصادى ، والتحرر الاجتماعى (١٣٧) •

يجعل الملك سعود نفسه ممثلاً للإسلام فى حين أن الكعبة هى التى تمثل الإسلام ولكن سعود يتمسح فى الكعبة والكعبة منه براء • ويتمسح فى انه حامى الحرمين وهو معتصب الحرمين ، معتصب أموال الشعب ، أما الكعبة فلها رب يحميها • لا يمكن أن يحمى الكعبة حام استغلالى ، ملك الحريم ، وملك الجوارى • فهذه سبة فى الدين الإسلامى • ان العائلة المالكة السعودية سبة فى الدين ، وأكبر دعاية ضد الإسلام فى الخارج عندما تتحدث الصحف الاجنبية عن الرق والعبيد والجوارى والحريم فى السعودية • ان الحرمين من فيصل براء ، ومن سعود براء • ان الحرمين أرض الله • أما العائلة المالكة السعودية فقد أساءت الى الحرمين ، وأساءت الى الارض المقدسة • وهذه سبة فى جبين المسلمين وفى جبين العرب (١٣٨) •

٢ — الحلف الإسلامى :

(أ) الدوائر الثلاث • ان وجود مصر فى دائرة اسلامية هو من السياسات الثابتة للثورة المصرية • فالدائرة الاسلامية هى احدى الدوائر الثلاث فى فلسفة الثورة (١٣٩) • وهو أكبر جزء نظرى فيه • فلا يمكن تجاهل عالم اسلامى تربط مصر به العقيدة الدينية وحقائق التاريخ •

(١٣٧) خطاب فى عيد النصر السادس ٢٣/١٢/١٩٦٢ ج ٤ ص ٢٧١ •

(١٣٨) خطاب فى المؤتمر الشعبى فى أسوان بمناسبة العيد الثالث

لبداء بناء السد العالى ٩/١/١٩٦٣ ج ٤ ص ٣٢١ ، المصدر السابق ص

• ٣١٨

(١٣٩) فلسفة الثورة ص ٦٩ — ٧٠ •

فليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة حفظ في مصر ، وردت مصر الغزو على أعقابها في عين جالوت • بل ان الدائرة العربية نفسها قد امتزجت بالدين • فنقلت مراكز الاشعاع الدينى في حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة •

تشمل الدائرة الثالثة التى تمتد عبر قارات ومحيطات اخوان العقيدة الذين يتجهون أينما كانوا الى قبلة واحدة ويصلون بصلاة واحدة • ويزيد من هذا الايمان الحج بمقدار ما يحققه من ترابط بين جميع المسلمين • فالذهاب الى الكعبة ليس تذكرة دخول الى الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة بل قوة سياسية ضخمة • يجب أن تهرع صحافة العالم لمتابعة أنبائه لا بوصفه مراسيم وتقاليد وصورا طريفة في الصحف به بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأي فيها وعلماؤها في شتى ميادين المعرفة وكتابها ورجال الصناديق فيها وتجارها وشبابها ليصنعوا في هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاوننا معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام • يجتمعون خاشعين لكن أقوياء متجردين مؤمنين أن لهم مكانا يتعين عليهم احتلاله في هذه الحياة • هذه هى الحكمة الحقيقية من الحج • هناك ثمانون مليون مسلم في أندونيسيا ، وخمسون مليونا في الصين ، وبضعة ملايين في الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون في الباكستان ، وأكثر من مائة مليون في الشرق الاوسط ، وأربعون مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم في أرجاء الارض المتباعدة ، والتعاون بين هؤلاء جميعا دون أن يخرجوا

عن حدود الولاء لاوطانهم الاصلية بالطبع يكفل لهم قسوة غير
محدودة(١٤٠) • فهو اذن ترابط روى وليس وحدة سياسية • وتظل
الوطنية أو القومية هي النظرة السياسية للدول الاسلامية وهو ما
ترفضه الاتجاهات الاسلامية الاصلية مثل الاخوان المسلمين • ويظل
هذا التصور قائما على تجربة شخصية وخواطر سائحة أكثر منها
تصورا نظريا لايدولوجية اسلامية • وفي سؤال لروبرت ستيفن
المحرر السياسى لجريدة الاوبزرفر البريطانية عن مصر مركز الدوائر
الثلاث ، العالم العربى وافريقيا والاسلام وهل تغير هذا التصور بعد
أن زاد عدد دول عدم الانحياز وبعد أن تغير الوضع فى أفريقيا كثيرا
وهل مازال الاعتقاد بأن الاسلام يؤدي دورا هاما فى الربط بين
شعوب آسيا وأفريقيا ؟ أجاب الرئيس بأن الدور الذى يؤديه الاسلام
دور قائم وفعال • واذا كانت علاقة مصر مع الهند تبدو أقوى بعلاقتها
بايران المسلمة فان الخلاف بين الحكومة المصرية والحكومة الايرانية
لا يمكن أن يعوق أو يحجب العلاقة بين الشعب المسلم فى مصر والشعب
المسلم فى ايران • ان العلاقات الدولية بظروفها الموضوعية لها أحكامها •
لكن ذلك لا يتناقض ولا يتعارض مع تعاطف الشعوب التى تعتنق
نفس الدين • فلا يوجد تصادم أو احتكاك بين الدور الافريقى لمصر
ودورها الافريقى الاسيوى ودورها فى العالم الاسلامى • صحيح أن
الدائرة الثالثة التى مركزها مصر أوسع وأشمل اذ أنها تمتد عبر
قارات ومحيطات ، وهى دائرة اخوان العقيدة الذين يتجهون معا أينما
كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاههم الخاشعة

بنفس الصلوات ، وصحيح أيضا أنه يجب تغيير النظرة للحج بأن يتحول الى قوة سياسية ضخمة في مؤتمر سياسى ، وأن يجتمع دوريا كل قادة الدول الاسلامية خاشعين أقوياء متجردين عن المطامع عاملين مستضعفين لله لكن أشداء على مشاكلهم وأعدائهم ، حاملين بحياة أخرى ولكن مؤمنين أن لهم مكانا تحت الشمس يتعين عليهم احتلاله في هذه الحياة • لقد دعت الثورة بعد ١٩٥٢ الى هذه الفكرة على أساس سياسى واستمرت في ١٩٥٣ • وردا على سؤال عما اذا كان حدث أى تقدم في تصور الحلقات الثلاث المتشابكة العروبة وأفريقيا والاسلام ؟ أجاب الرئيس بأن هناك تقدما مستمرا • فالعلاقات أفضل مع الدول العربية ، وترسل مصر بعثات الى الدول الاسلامية ، وينظر المسلمون الى القدس كمدينة مقدسة (١٤١) • وكذلك يربط الاسلام بين مصر وموريتانيا ، وبينهما صلات تاريخية واسلامية عريقة ووثيقة جمعت ما بين الامة العربية في المشرق وما بين الارض التي وصل اليها نور الاسلام في المغرب • هي صلات أنتجت طاقات هضارية هائلة وحققت تجانسا فكريا له آثاره البعيدة المدى • فضلا عن ذلك كاله فان البعث الموريتانية الى الازهر الشريف — وقد كانت من أكبر البعث الاسلامية في التاريخ القريب — صنعت خط اتصال مباشر بين التيارات المؤثرة على اتجاه التطور في البلدين • والدولة الاسلامية من نماذجها المشرقة باكستان • وموريتانيا لها مواقفها

(١٤١) خطاب في عيد الوحدة ٢٢/٢/١٩٦٦ ج ٥ ص ٥١٣ ، حديث مع س . ل سولزبرجر رئيس تحرير نيويورك تايمز ٢٦/٢/١٩٦٩ ج ٧ ص ٦٩ — ٧٠ •

• الواضحة الطيبة (١٤٢)

ولمصر صلات مع كل الدول الافريقية التي أيدت العرب عندما احتلت اسرائيل الارض مضافا اليها أرض الدول الاسيوية • عندما نشر كتاب « فلسفة الثورة » لم تكن هناك غير ثلاث دول أفريقية مستقلة والآن هناك أكثر من ثلاثين دولة • وهناك منظمة الموحدة الافريقية • وهناك مؤتمر اسلامى سيعقد فى ماليزيا ، والجامعة العربية أقوى عما كانت عليه ، وتتعقد مؤتمرات القمة (١٤٢) •

وتقل بعد ١٩٧٠ الاشارة الى الدوائر الثلاث • فردا على سؤال عن تقييم المؤتمر الاسلامى المنعقد ببنى غازى والمجتمع الاسلامى عموما أجاب الرئيس بأن التجمع الاسلامى دائرة من الدوائر الثلاث التى تتحرك فيها مصر منذ الثورة • وكما ورد فى فلسفة الثورة تتحرك مصر فى هذه الدوائر الثلاث • وقد تم انتخاب حسن التهامى من مصر سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامى الاخير ببنى غازى ، وهو وزير ومستشار فى رئاسة الجمهورية • وترجو مصر أن ينجح التجمع أو المؤتمر على القضاء على فكرة التعصب أو الفكرة العنيفة كما هو الحال فى بعض التجمعات الاخرى أو كما هو الحال فى دولة مجاورة تقوم على تعصب دينى وعنصرى رهيب • التجمع الاسلامى خال

(١٤٢) كلمة فى حفل تكريم رئيس جمهورية موريتانيا ٢٧/٣/١٩٦٧ ج ٦ ص ١٣٠ ، خطاب فى افتتاح مجلس الامة الجديد ٢٠/١/١٩٦٩ ج ٧ ص ٢٧ •

(١٤٣) حديث الى مستر روبرت ستيفن المحرر السياسى لجريدة الاوبزرفر ٢٥/٧/١٩٦٤ ج ٥ ص ١١ •

من التعصب الدينى والعنصرى لانه يجمع شعوبا من كل أنحاء الارض
ومن كل الجنسيات • ان اجتماع على مسنوى الملوك والرؤساء دعم
للتضامن الاسلامى وسعى الى رضاء العالم الاسلامى ، وهو جزء من
رضاء الانسانية • كما أن وقفة العالم الاسلامى العظيمة وقادته
الحكماء مع اخوانهم العرب فى كفاحهم جديرة بالتقدير والاحترام •
فالتضامن على مستوى الرؤساء وعلى المستوى الرسمى • ولم تنقطع
سلسلة المؤتمرات الاسلامية من أول الثورة حتى الآن • وقد كان السادات
سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامى وسافر فى عديد من المرات على رأس
وفود الى البلاد الاسلامية • وهو منصب غير سياسى ولا أهمية له
ولو أنه ظل احدى شواهد الرئيس على أيمانه العميق منذ بداية الثورة •
وقد كان هناك أحاديث باستمرار عن الروابط الاسلامية التى تربط
مصر بالعالم الاسلامى • فقد جمعت مصر وباكستان مثلا روابط الدين منذ
زمن طويل منذ أول يوم قامت فيه باكستان • ومهما كانت هناك من
محاولات مصطنعة لاقامة الفجوة بين البلدين ولكن الصداقة والاخوة
يربطان بينهما خاصة فى وقت تعرض مصر للعدوان • فلا يمكن لاية
جفوة مصطنعة أن تقضى على الروابط الروحية والدينية والعقلية بين
الشعبين (١٤٤) •

(١٤٤) حديث مع الصحفية اليوغوسلافية العالمية داريا نكوفتش
١٩٧٣/٥/٢٧ س ٣ ص ١٨٦ ، الى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور ١٩٧٤/٦/٢٣
١٩٧٤ ، ص ٤٣٢ — ٤٣٣ ، خطاب أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى
العربى فى دور الانعقاد الخامس ١٩٧٣/٢/١٦ س ٢ ص ٨٨ ، فى الجلسة
الخاصة لمجلس الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٢٠ ، حديث الى الأمة
١٩٧٧/٢/٢٣ ص ٥٣ ، حديث فى الرباط ١٩٧٤/١/٢٣ س ٤ ص ١٧
س ٤ ص ٤٣ — ٤٤ ، كلمة فى مؤتمر القمة الاسلامى بلاهور ١٩٧٤/٢/٢٣
مؤتمر صحفى بنيودلهى ١٩٧٤/٢/٢٥ •

وكانت الدعوة على التعاون بين المسلمين من أوائل دعوات الثورة تنفيذاً لقول الله « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (١٤٥) • ويظهر الطابع التقدمي للإسلام كرابطة بين الشعوب • فرسالة الإسلام دعوة قدسية إلى الحرية نزلت تطلب إلى البشر في كل زمان ومكان أن يرفضوا استغلال شعب لشعب واستغلال طريقة لطريقة ، واستغلال إنسان لإنسان ، وتنادى بالمساواة والعدل بين الناس • وذلك معناه أن رسالة الإسلام بالطبيعة معادية للاستعمار ، وأنها بالطبيعة معادية للامتيازات الاقطاعية ، وأنها بالطبيعة معادية للاستغلال الرأسمالي • أن الأمة العربية تعتز بتراثها الإسلامي وتعتبره من أعظم مصادر طاقاتها النضالية • وهي في تطلعها إلى التقدم ترفض منطق هؤلاء الذين يريدون تصوير روح الإسلام على أنها قيد يشد إلى الماضي • وهي ترى أن روح الإسلام حافز يدفع إلى اقتحام المستقبل على توافق وانسجام كاملين مع مطالب الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية •

وفوق ذلك فهي لا ترى أي تعارض بين قوميتها العربية المحددة وبين تضامنها القلبي والاخوي مع الأمم الإسلامية • أن الأمة العربية بقواها الثورية التقدمية لا ترى في الإسلام عائقاً عن التطور بل تراه بحق وإيمان دافعاً إلى هذا التطور • كما أن الأمة العربية بقواها الثورية والتقدمية لا ترى في القومية العربية عازلاً عن تضامن الأمم الإسلامية

(١٤٥) كلمة سطرت في سجل زيارات نقابة عمال ومستخدمى النقل المشترك بمناسبة افتتاح المستشفى التعاونى ٢٩/٤/١٩٥٤ ج ١ ص ١٢٧ •

بقدر ما ترى ان مواقع النضال من أجل الحرية السياسية والاجتماعية
في كل القارات تعزز بعضها بعضا وتؤزرها وتدعمها .

ولم يؤكد « الميثاق » على الروابط الاسلامية كثيرا وذلك لان
القصد منه كان بناء المجتمع الاشتراكي داخل مصر . ومع ذلك يذكر
الميثاق الدوائر الثلاث في عبارة مقتضبة أقل بكثير من اسهاب فلسفة
الثورة . فمصر دولة عربية في افريقيا تؤمن برباط روحي وثيق يشدها
الى العالم الاسلامي . وقد أنشئ المؤتمر الاسلامي في ١٩٥٥ وعين
السادات سكرتيرا عاما له (١٤٦) .

وبعد ١٩٧٠ يظهر الاسلام كايمان ، كرابطة بين العلماء والشعوب
الاسلامية . فالعلماء أخوة في الاسلام وفي الدين على طول تاريخ
الامة الاسلامية . وهم الحفظة على التاريخ الاسلامي ، يعلمونه للنشئ ،
ويفقهونه فيه من أجل الدفاع عن الاسلام ومقدساته وتراثه . ان
الملتقى الاسلامي لعلماء المسلمين يحملون أقدم رسالة هي رسالة
العلم والدين والحياة بكل ما تحمل للحياة الاسلامية من مسؤوليات :
خلق كريم ، يقظة فكرية ، جهاد وهدف ، خدمة العقيدة للمجتمع . وقد
عقدت كثير من المؤتمرات لتأييد الشعوب العربية في معركة تحرير
الارض والمقدسات الاسلامية . المسلمون أخوة في الاسلام ، والمؤتمر
الاسلامي صوت ٦٠٠ مليون مسلم ، وفيصل يعمل للاسلام ، وأيد
كل قضية اسلامية . ويتم الاستشهاد ببعض الآراء التي تجعل

(١٤٦) كلمة في حفل تكريم مرئيس جمهورية موريتانيا ٢٧/٣/١٩٦٧
ج ٦ ص ١٣٠ ، الجلسة الخامسة ٢٨/٥/١٩٦٢ ج ٤ ص ٥٨ ، مشروع
الميثاق ص ١٢٣ . .

المسلمين أمة واحدة مثل : « وان هذه أمتكم أمة واحدة واياى فاعبدون »
أو « وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فانتقون » دون أى برنامج
عملى لتحقيق هذه الوحدة • كما نذكر آية « كنتم خير أمة أخرجت
للناس » دون ذكر لشرطها وهو « تأمرون بالمعروف ، تنهون عن المنكر » •
كما يدعى المسلمون الى عدم الحزن فى « ولا تحزنوا وأنتم الاعلون »
دون أن يدعو الى القوة فى بداية الآية « ولا تهنوا » (١٤٧) • ثم يظهر
بعض التاريخ الاسلامى كعامل ربط بين الدول الاسلامية فقد أراد
البطل الصحابى عقبة بن نافع فى تونس أن تكون القيروان أول دعامة
للاسلام فى المغرب العربى بل فى الشمال الافريقى • تذكر القيروان
بالورود الزاهرة المنيرة للاسلام وما أنجبتته من أئمة وقادة فكر
وثقافة • لقد كان عقبة بن نافع صادقا حين قال : أريد مدينة تكون عزا
للاسلام الى آخر الدهر • ثم أتى الرئيس بورقيبة ليكمل لتونس عزتها •
وشتان ما بين رأى عبد الناصر فى بورقيبة ورأى خلفه • كما أن فيصل
مات شهيدا « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء
عند ربهم يرزقون » (١٤٨) •

(ب) الرد على الحلف الاسلامى • أن الروابط الروحية تدعو مصر
اليها بكل الوسائل وفى جميع المجتمعات ومع كل الدول الاسلامية •

(١٤٧) خطاب فى مؤتمر البحوث الاسلامية ١٩٧١/٤/٤ س ١ ص
٢١١ — ٢١٣ ، رسالة الى الملتقى السابع للتعارف على الفكر الاسلامى
بالجزائر ١٩٧٣/٧/١٠ س ٣ ص ٣١٤ ، رسالة المؤتمر الاسلامى فى
اندونيسيا ١٩٧٣/١٢/١٠ س ٣ ص ٣٦٩ — ٣٧٢ •

(١٤٨) فى مأدبة العشاء التى أقامها الرئيس التونسى تكريما له ١٩٧٢
س ٢ ص ٢٠٩ ، بمناسبة وفاة الملك فيصل ١٩٧٥/٣/٢٥ •

م ١٠ — الدين والتنمية القومية

ترسل مصر البعثات ، بعثات ومدرسين من الازهر ، وتصرف في هذا مبالغ طائلة • وهذه الروابط الروحية من أجل الاسلام ومن أجل المنفعة الاسلامية • فالتعاون الاسلامى مقبول بل وواجب ولكنه يجب أن يكون فعلا لوجه الله ولوجه الاسلام وليس نتيجة لسياسة أمريكية انجليزية • ولكن بعض الدول الاسلامية دخلت في موثيق ، وانحازت الى الغرب • وبدأ الحديث عن الحلف الاسلامى وعن تحويل حلف بغداد الى حلف اسلامى بعد ما دخلت تركيا وباكستان وايران والعراق في حلف بغداد • ثم خرجت العراق من حلف بغداد وبقيت تركيا وايران وباكستان • وبدأت هناك محاولات لاستغلال الدين الاسلامى من أجل سياسة الانحياز التى تتنافى مع سياسة عدم الانحياز وهى سياسة الثورة المصرية • بدأ الحديث عن حلف اسلامى غير منحاز مباشرة الى الغرب ولكنه منحاز بطريقة غير مباشرة • وقد بدأ ذلك قبل سنة ١٩٥٥ ولم ينقطع • وهناك خطورة كبيرة أن تنتوى مصر تحت اسم الاسلام في انحياز للغرب أو للدخول تحت سيطرة الدول الغربية لان ذلك يتنافى مع الاسلام ، فالاسلام ينادى بالحرية ، وبأن يكون الشعب حرا وسيدا لنفسه ، وألا تكون مصر داخلة في مناطق نفوذ لاية دولة أخرى (١٤٩) •

وكيف يكون هناك حلف اسلامى ويأخذ أوامره من لندن أو واشنطن أو أى دولة أخرى • فالحلف الاسلامى في هذه الحالة يتنافى مع كلمة الاسلام ويكون حلفا غربيا • ترفض الثورة اذن أن يكون العمل

(١٤٩) الجلسة الخامسة - ١٩٦٢/٥/٢٨ ج ٤ ص ٦٥ ، خطاب في عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥١٢ .

تحت اسم الاسلام جارا الى الاحلاف أو الى الانحياز للغرب بطريق الخديعة تحت اسم الحلف الاسلامى أو تحت اسم الرابطة الاسلامية أو تحت أى اسم من الاسماء لان سياسة مصر هى سياسة الجياد الايجابى وعدم الانحياز • سواء كان الحلف الاسلامى أو المؤتمر الاسلامى أو التجمع الاسلامى أو الكتلة الاسلامى أو مؤتمر ذروة اسلامى • فان هذا الحلف مثل حلف بغداد ومصيره مثل مصير حلف بغداد • أخذوا الاسلام حجة ووسيلة ليخدعوا به بسطاء الناس • وليس الحلف الاسلامى الا استكمال حلف بغداد لوضع الامة العربية داخل مناطق النفوذ • وكما تصدت الثورة للرجعية العربية وللحلف الاسلامى وكشف نواياه فان الخديعة لا تنطلى على أحد • ومن لم يستطع الدخول فى حلف بغداد قبل اليوم حاول اليوم عن طريق الاسلام ولكن الشعب العربى يعلم أن طريق الاسلام هو الاسلام الجديد لحلف بغداد والاسم الجديد لمناطق النفوذ (١٥٠) •

وقد اعترفت الديلى تلجراف البريطانية فى ١٨/١/١٩٦٦ بأن الملك فيصل يقود حركة احياء الحلف الاسلامى لضرب القومية العربية • فظالما أن الشرق الاوسط حانوت مغلق من الدول العربية فان القاهرة ستظل بلا جدال عاصمته السياسية • لكن وجود حلف اسلامى تشترك فيه دول مثل تركيا وايران وباكستان يغير الوضع • ويرى كثير من الزعماء المسلمين أن الحلف الاسلامى يمكن أن يكون أقوى نفوذا من القومية العربية فى الشئون العالمية فى الموالاة للغرب لان الحلف

(١٥٠) الجلسة الخامسة ١٩٦٢/٥/٢٨ ج ٤ ص ٨٥ ، خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥١٠ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بمدينة دمنهور ١٩٦٦/٦/١٥ ج ٥ ص ٥٩٨ ، ص ٦٠٠ •

الاسلامى سيكون مواليا للغرب • وقالت التاييمز فى ١٥/٢/١٩٦٦ أن فكرة عقد مؤتمر اسلامى ليست جديدة • وعلى الرغم مما يقال من أن المؤتمر الجديد سيبحث فى مسائل اجتماعية واقتصادية فان من المسلم به أن أهداف هذا المؤتمر سياسية أساسا • اذ ستحضره دول عربية مما يساعد على تخفيف ثقل الدول العربية المتحررة • وتساءلت جريدة لوموند دبلوماتيك فى ١٦/٢/١٩٦٦ هل سيتمكن شعار الاسلام من القضاء على القوى التقدمية فى العالم العربى ؟ وقد قال أنطونى ناتنج وزير الدولة البريطانى السابق بعد فشل حملة السويس أن الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع القومية العربية يجب أن يكون عن طريق تأسيس جماعة اسلامية من الممالك الاسلامية بالمنطقة • وحينئذ تخرج البلاد العربية من حيز القومية العربية الضعيف الذى لا يمكن التفاهم فيه الى حيز العقيدة الاسلامية الواسع الذى يجمع العربى والتركى واليرانى والباكستانى فى مجال واسع • اذ ينسون جنسياتهم ولا يفكرون الا فى الاسلام • وحينئذ يمكن للبلاد العربية التفاهم مع الغرب حتى اسرائيل يمكن التفاهم معها حيث أن العرب لا يقبلون وجود اسرائيل بينهم • ولكن الدولة المسلمة تقبل وجود اسرائيل بدليل اعتراف ايران وتركيا باسرائيل • وقد قال ناتنج ذلك عن الحلف الاسلامى أو الجماعة الاسلامية أو النكتل الاسلامى فى ١٩٥٧ • لقد ظنت الدول الاستعمارية والرجعية أن القوى التقدمية فى العالم العربى مختلفة مع بعضها ، وأنها قد تعبت من النضال • وبهذا أصبح الطريق مفتوحا أمام الاستعمار القديم والجديد لوضع البلاد العربية فى حلف جديد يتخذ من الدين اسم أو ستار لحلف بغداد • وجدوا له اسما عربيا وسموه حلف بغداد ولبسوه عقالا وعباية حتى تختفى انجلترا وأمريكا وراءهما • والحلف الجديد ، ألبسوه عمة ليسموه الحلف أو المؤتمر أو

التجمع الاسلامى ، أى شىء اسمه اسلامى لخداع المسلمين باسم الدين • ولكن الاهداف واحدة وهى القضاء على القومية العربية التى سيطرت على أفكار واتجاهات الشعوب العربية باعتبار أن القومية العربية هو الوسيلة الوحيدة للتخلص من الاستعمار ومناطق النفوذ وتحقيق الوحدة العربية • تتحالف الرجعية مع الاستعمار خشية من المد الثورى العربى الذى يمثل خطرا على مصالحها وعلى احتكارات البترول وخشية من الاشتراكية التى تهدد كيانها وأنظمتها ووجودها فبيدآن معا فكرة جديدة : استغلال الدين كسلاح حتى تتحقق أهداف الرجعية والاستعمار فى المحافظة على نفوذهما ودورهما فى العالم العربى ، وبهذا يمكن التخلص من الحركات التحررية والشعبية فى العالم العربى • الحلف الاسلامى حلف استعمارى هدفه أن يقا تل حركات التحرر وأن يتصدى للتقدم الاجتماعى • هو حلف للتآمر ضد الشعوب العربية ووضعها فى مناطق النفوذ الغربى • وهو حلف للتآمر على البلاد الاسلامية الاخرى غير العربية التى تتبع سياسة عدم الانحياز (١٥١) •

الحقيقة اذن هى أن الحلف الاسلامى عملية تجميع لكل القوى الرجعية المتعاونة مع الاستعمار فى خط دفاعى أخير ضد المد الثورى العربى التقدمى فى البلاد العربية • ان وصف الحلف الاسلامى بالرجعية والتعاون مع الاستعمار ضد العروبة وضد المسلمين وضد فلسطين يسانده أصحاب الدعوة الاصليين فى صحفهم فى لندن

وواشنطنجنطن • فقد قيل في صحف لندن أن الحلف الاسلامى حلف سياسى وليس حلفا اجتماعيا • قال ايزنهاور لسعود فى سنة ١٩٥٧ على فكرة الحلف الاسلامى ، وتحدث سعود فى هذا الامر فى القاهرة •

والدول الداعية للحلف الاسلامى هى جدة وطهران • ووجود طهران يؤكد على أن الحلف ضد العرب وضد المسلمين ولحمية الرجعية • لم يؤيد الحلف الاسلامى الا ايران والسعودية فى العالم العربى • صحف بورقبيية أيدت الحلف ، أعداء العروبة والاسلام فى لبنان أيضا أيدوا الحلف ، وكل من تهلك لحلف بغداد فى ١٩٥٥ ينادى اليوم بالحلف الاسلامى • تقول لندن وواشنطنجنطن المخططتان للحلف أن الحلف كسب وتأييد لقضية فلسطين ، وهو ما قاله نورى السعيد فى ١٩٥٥ • وماذا سنكسب فلسطين من حلف تشرف عليه أمريكا وبريطانيا ويشترك فيه حكام ايران وتونس الذين دعوا للصالح مع اسرائيل • الحلف الاسلامى موجه ضد قوى الثورة فى العالم العربى • صحيح أن الاسلام ثورة ، والتضامن الاسلامى تحتاجه الشعوب ، ولكن الحلف يجب أن يعمل للاسلام وليس للاستغلال السياسى والاجتماعى ، وأن يعمل علماء الاسلام من مراكز الفكر الدينى وليس من السماسرة والارهابيين(١٥٢) •

لقد أزعجت القيادة العربية الموحدة الصهيونية والاستعمار فبدأت الحركات الرجعية فى الحديث عن الحلف الاسلامى ثم بدأت الاتصالات بشاه ايران • والكلام عن الحلف الاسلامى ليس بالسياسة الجديدة •

(١٥٢) خطاب فى عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ج ٥ ص ٥١٢ — ٥١٣ ،
خطاب ١٩٦٦/٧/٢٣ ص ١٣ •

فقد كانت تريد أمريكا حلفا اسلاميا في المنطقة منذ ١٩٥٧ كما ذكر ايزنهاور في مذكراته • ثم دعى الملك سعود الى أمريكا وعاد • ولكن لم ينجح في اقامة الحلف الذى طلبه ايزنهاور من أجل ضرب القوى الثورية التى كانت تتزعمها مصر في هذا الوقت • وحينما يتحرك فيصل وحسين وبورقيبة فهذا يعنى أن الاستعمار قد دفع أصدقائه للعمل وتحقيق عدة أهداف منها أضعاف القيادة العربية الموحدة ، واضعاف الكيان الفلسطينى وجيش تحرير فلسطين • كان الهدف الاساسى من الحلف الهجوم على القوى الثورية العربية • فعندما دعت مصر الى مؤتمرات القمة تصورت أنها بذلك تصل الى تعايش سلمى بين الانظمة الاجتماعية المختلفة • وفجأة بدأ الملك فيصل يعلن عن الحلف الاسلامى ، وبدأت دعاية واسعة جدا ضد النظام الاثتراكى فى مصر • وأعلن فيصل والشاه عن الحلف • ودعا بقية الدول الاسلامية لتتضم اليه • والحقيقة أن الولايات المتحدة وراء الملك فيصل فى سياسته ، وتحاول تحقيق نفس الاهداف وعلى رأسها الدفاع عن الشرق الاوسط بجمع كل الدول العربية فى صف واحد تحت السيطرة الغربية • وكانت هناك فى نفس الوقت مؤامرات ضد سوريا والعراق • وكان الاردن مسئولا عن التنظيم والسعودية عن التمويل • بدأ فيصل يعمل من أجل الحلف الاسلامى لخدمة مصالح أمريكا ومصالح الانجليز وتصور أنه يستطيع أن يقوم بهذا العمل فى حماية مؤتمرات القمة •

ومن السهل استنتاج أن هؤلاء عملاء الامريكيين وأدواتهم تحت ستار الدين مدعين أن الحلف عملية دينية وليس عملية سياسية • ويدعى فيصل أن الامريكيين ليسوا وراء الحلف وأنها فكرته الخاصة ويهدف بها الى خير المسلمين وخير الدين فى حين أن الانجليز والامريكيين

في السعودية مسيطرين عليها وبالتالي مستحيل أن تكون دعوة فيصل لوجه الله • ويشاركة حسين في دعوته بأنه يخدم الاسلام والمسلمين وهما يخدمان أمريكا وانجلترا والاستعمار • لقد قرر الاستعمار بعد جلائه عن المنطقة العودة اليها من جديد عن طريق العملاء فبدأ الكلام عن الحلف الاسلامي والتضامن الاسلامي والمؤتمر الاسلامي • ولكن معظم الدول الاسلامية ردت ردودا غير مشجعة لان معظمها تعمل بالسياسة و متحررة وتعلم الهدف من الدعوة • ومعروف في العالم العربي أن العملية الغرض منها خداع الجماهير والشعوب العربية (١٥٢) •

يقول فيصل أن الغرض من الحلف مقاومة الاحاد • ولكن كيف يقاوم الاحاد بالسياسة ولا يقاوم الاحاد بالدين ؟ الحلف الاسلامي حلف سياسى وليس تكتلا دينيا لان التكتل الدينى يكون من رجال الدين وليس من رجال السياسة • ومن الذى سيقاوم الاحاد في العالم العربى وفي العالم الاسلامي ؟ شاه ايران وبورقيية ؟ وماذا يعرف الشاه عن الاسلام ؟ ومنذ متى يدافع بورقيية عن الاسلام ؟ لقد ألغى بورقيية أجازة العيد كلها وقصرها على يوم واحد ! بورقيية الذى يتكلم عن الاسلام أكبر متنكر للاسلام فى بلده وهو اليوم يدافع عن الاسلام ! لقد أصدر فتوى بالافطار فى رمضان ، ولبس العمة اليوم وجعل نفسه الشيخ بورقيية داخل الحلف الاسلامي • كيف يضم الحلف الاسلامي شاه ايران ليبحث فى الثئون الدينية

(١٥٢) حديث للرئيس مع الصحفيين العرب ١٩٦٧/٢/٤ ج ٦ ص ٣٥ ، حديث صحفى الى جريدة الاوبزرفر البريطانية ١٩٦٧/٢/٥ ج ٦ ص ٤١ ، خطاب فى الاحتفال بعيد الوحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ٦ ص ٦٤ ، خطاب فى الاحتفال بمناسبة عيد العمال بشبرا الخيمة ١٩٦٧/٥/٢ ج ٦ ص ١٥٧ .

وهو لا يعلم شيئاً عن الدين ويعارض كرجل سياسة وليس كرجل دين ؟ وكيف يضم الحلف بورقبيية بفتاويه للافطار في رمضان وبالصلح مع اسرائيل ؟ بورقبيية مهووس • كيف يتحدث أو يناقش في الدين ؟ (١٥٤) • والحقيقة أن بورقبيية في فتاويه قد اعتمد على أصول دينية معروفة ولا يعيب بورقبيية أن يكون مجددا • أخذ برأى دون الرأى السائد • وهذا حق أمام المسلمين في الاجتهاد •

لم تكمل الثورة فكرتها الاولى عن المؤتمر السياسى من خلال الحج • فقد قام حلف بغداد في أوائل سنة ١٩٥٥ ، وأصبح من المستحيل أن يجتمع المؤتمر الاسلامى كمؤتمر سياسى غير مرتبط بالاستعمار ، يعمل لصالح الاسلام والمسلمين ، ويعمل للتخلص من الاستعمار والاحلاف ولاقامة عدالة اجتماعية ، يعمل لانصاف المسلم في كل بلد مسلم • ولكن بعد قيام حلف بغداد وانضمام تركيا وايران وباكستان لهذا الحلف أصبح من العسير أن يجتمع المؤتمر الاسلامى على أساس سياسى • ولذلك سارت الثورة في الفكرة على أساس شعبى • فكل تقارب اسلامى على أساس الذروة يجب أن يبدأ من الذين استطاعوا تحرير بلادهم من الاستعمار والاحلاف ومناطق النفوذ • وقد كانت اتصالات هؤلاء بعضهم ببعض مستمرة • اذا لم تكن دعوة التقارب الاسلامى على هذا الاساس بل على أساس سياسى وعلى اجتماع قادة الدول تكون غايتها بالرغم من رفع اسم

(١٥٤) خطاب في عيد الوحدة ١٩٦٦/٢/٢٢ ص ٥١٣ ، خطاب في مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٣٢ ، خطاب في ١٩٥٦/٧/٢٣ ص ١٣ •

الاسلام ضرب المسلمين وتشتيتهم باسم الدين ، وتفتيت العرب
لحساب الاستعمار أى تزييف الدين من أجل خدمة المبادئ والاهداف
الاستعمارية • لم يأخذ مؤتمر القمة الاخير قرارات بشأن التعاون
الاسلامى والتضامن الاسلامى • فعلى كل دولة أن تعمل ما فى مقدورها
حتى تسير الدول الاسلامية مع مصر من أجل قضايا الحرية ومن
أجل قضية فلسطين • لقد صرح الملك فيصل لاحدى الصحف الكويتية
معلقا على الحلف الاسلامى بأنه قام تعاون بين الطوائف المسيحية ،
وكان هناك اجتماع المجمع المسكونى ، ولم يقل عنه أجد أنه تحالف •
والحقيقة أن اجتماع المجمع المسكونى ليس اجتماعا سياسيا أو عسكريا
بل اجتماع ضم رجال الدين المسيحيين ولم يضم رؤساء الدول
المسيحية • فاذا ضم رؤساء الدول المسيحية فانه ينقلب الى اجتماع
ومؤتمر سياسى • ان التضامن الاسلامى الحقيقى هو تضامن الشعوب
الاسلامية المناضلة ضد الاستعمار لا تضامن الحكومات الرجعية
العميلة للاستعمار والمستغلة للاسلام والمزيفة له ، وليس من عملاء
السياسة والسماسة والارهابين أو شاه ايران وبهرقينية ، مؤتمر لله
وللدين وليس للاستعمار والرجعية • ان الاسلام أقدم من أن يسخر
لخدمة الاستعمار أو الرجعية ، ولكن تظل الثورة المصرية على استعداد
من أن تعمل من أجل التضامن الاسلامى الحق السليم الذى يخدم
الدين ويتكون أساسا من علماء الدين وتظل على استعداد لعقد
اجتماع اسلامى كريم ونزيه داخل الازهر بالقاهرة أو داخل الحرم
النبوى فى مكة أو داخل المسجد الاموى فى دمشق أو داخل المسجد
الاقصى فى القدس ، مؤتمر لله ولدينه وليس للاستعمار والرجعية

وأحلافهما (١٥٥) •

والجماهير العربية قادرة على معرفة من يخدم الدين ومن يستغل الدين • إذ لا تجد الرجعية العربية المتحالفة مع الاستعمار من خط دفاعى سوى تزييف الدين • وستكشف الجماهير العربية هذا التزييف واستخدام الدين لوضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ • ان الشعوب العربية قادرة على اسقاط الحلف الاسلامى المزعوم كما أسقطت حلف بغداد (١٥٦) • وأن الثورة المصرية على استعداد لعقد مؤتمر اسلامى لعلماء الدين • والحقيقة أن حجج ناصر ضعيفة اسلاميا إذ لا يوجد فرق بين رجال الدين ورجال السياسة فى الاسلام • فرجال الدين هم أهل الحل والعقد الذين بيدهم بيعة الحاكم أو عزله ، ورجال السياسة هم أئمة المسلمين • كما أن الاسلام لا يفرق بين الدين والسياسة • كما يريد ناصر أن يجعل رجال الدين يتكلمون فى الدين ، ورجال السياسة يناقشون السياسة ، وهناك موضوعات واحدة تجتمع فيها شئون الدين والدنيا • واذا كان ناصر يريد تسييس الدين ، ويرى أن الدين ثورة اجتماعية ونظاما اشتراكيا فانه من الصعب قصر الدين على العبادات والتعاون الاخرى بين الدول الاسلامية وابعاده عن السياسة ومعاركها • واذا كان ناصر قد وصف رجال الدين من قبل بالتخلف والرشوة وتبعية الحكام فكيف يرجى من هؤلاء أى نفع

(٥٥) خطاب ٢٣/٧/١٩٦٦ ص ٣٠ ، ص ١٠ — ١٣ ، التنديد بالحلف الاسلامى فى توصيات مؤتمر المبعوثين ١١/٨/١٩٦٦ •

(١٥٦) خطاب فى عيد الوحدة ٢٢/٢/١٩٦٦ ج ٥ ص ٥١٣ — ٥١٤ •

أو خير للمسلمين ؟ يبدو أن مقارنة الحلف الاسلامى بالمجمع المسكونى المسيحى يجعل تصور ناصر للاسلام تصورا تقليديا مسيحيا خالصا .

والعجيب أن تدافع اسرائيل عن الحلف الاسلامى . فنذكر فى اذاعتها أن عبد الناصر وقف ضد الحلف الاسلامى لانه يهدد زعامته فى المنطقة . وهذه شهادة من العدو بأن الحلف الذى تدافع عنه اسرائيل يعبر عن أحقاد الصهيونية (١٥٧) . وقد قيل أن الحلف الاسلامى هدفه هو تكتيل المسلمين ضد اسرائيل . والحقيقة أن الحلف من صنع الاستعمار والرجعية واسرائيل ، ممثلا فى السعودية والاردن وايران . يستطيع الحلف أن يخدم قضية فلسطين فى شئ واحد فقط هو منع امداد اسرائيل بالبتروال الذى يأتى من احدى دول الحلف ، ايران الى ايلات . الحلف حلف استعمارى . ومعنى هذا أنه مع الصهيونية لان الصهيونية هى الحليف السياسى للاستعمار . ويعلم العالم العربى ذلك . وهو معبأ ضد عملاء الاستعمار وحلفاء الصهيونية والطابور الخامس . وقد قامت أمانة الدعوة والفكر بعدة محاضرات وندوات عن الحلف الاسلامى مبينا مخاطره وأهدافه (١٥٨) .

ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح الملك فيصل من أخلص الزعماء للقضية العربية والعالم الاسلامى ورمزا للاخوة الاسلامية والتضامن العربى

(١٥٧) خطاب فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكى العربى بمناسبة الاحتفال بالعيد القومى للسويس ١٩٦٦/٣/٢٢ ج ٥ ص ٥٣١ .

(١٥٨) خطاب فى مركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية ١٩٦٧/٥/٢٢ ج ٦ ص ١٤٣ ، الاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٦/٧/٢٣ الكتاب السنوى الثالث ص ٧٥ .

والاخاء الاسلامى • فقد تغير الموقف وأصبح النظام السياسى فى مصر
مواليا للنظام السعودى • فظهرت الاخوة فى الله (١٥٩) !

(ج) المرحلة الثالثة : العودة الى الايمان (١٩٦٧ — ١٩٨١) •

كانت المعركة الاخيرة التى ظهر فيها الدين كسلاح دفاعى هى
معركة الايمان والعودة اليه التى ظهرت بوضوح بعد هزيمة ١٩٦٧ حتى
الآن وكأن الثلاث سنوات الاخيرة فى حكم ناصر كانت مؤشرا للحكم
الحالى • صحيح ان الميثاق قد ذكر ضمانات خمسة للعمل الثورى :
ارادة التغيير ، والطليعة الثورية ، والوعى العميق ، والفكر المفتوح ،
والضمان الخامس هو ايمان لا يتزعزع بالله ورسالاته القدسية التى
بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان ، ولكن تحول
هذا الضمان الخامس بعد الهزيمة أولا وبعد وفاة عبد الناصر ثانيا
الى الضمان الوحيد • وتظهر أيضا عبارة فى خاتمة « الميثاق » ان
شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه من فرض ارادته على الحياة
ليصوغها من جديد وفق أمانيه • ولكن يبدو أن هذه العبارة الاخيرة
هى التى أصبحت فيما بعد فى المرحلة الثالثة والاخيرة الميثاق كله •
ثم تمتد المرحلة حتى الآن (١٦٠) • وليس سببها التريبة الدينية العميقة
للرئيس المؤمن بل عجز النظام السياسى عن أن يحل القضايا الاساسية ،
القضية الوطنية والقضية الاجتماعية ، ومحاولة البحث عن مقومات
للنصر فيما لا يختلف عليه اثنان • وردا على سؤال بخصوص اجادة

(١٥٩) فى وفاة الملك فيصل س ٥ ص ١٣٧ •

(١٦٠) الميثاق ص ١٠ ، ص ١٢٤ ، تحرى بمصلحة الاستعلامات على
وضع التاريخ الهجرى قبل التاريخ الميلادى فى طبع خطب السادات وأحاديثه •

الخطابة والارتجال رد الرئيس بأنه قد تخرج في مدرسة القرآن الكريم وبمبادرة رجل دين يتصدر مجلس القرية بعلمه وقوته • ليس السبب في ذلك تربية الرئيس المؤمن بقدر ما هو النظام السياسى القائم في هذا العهد • لم تحدث معارك فعلية مثل الاسلام والاشتراكية او الحلف الاسلامى بل كلها مزايدات في الايمان • وكثير منها في مناسبات رسمية وفي عبارات قصيرة أو شعارات دون بناء داخلى • وكلما عجز النظام عن حل القضية الوطنية أو الاجتماعية فانه يلجأ الى هذه الشعارات لكسب نصر سريع في ميدان يسهل فيه الانتصار أمام جماهير موالية عاطفيا وأمية حضاريا • فتحويل المعركة من الخارج الى الداخل عجز عن مواجهة الخارج كى يسهل الانتصار فيها • وكلها تدور في الامور النظرية الاعتقادية التى لا ينتج عنها فعل أو نظام باستثناء بعض الاجراءات الشكلية كالتشبث بالشعائر الدينية والدعاوى النظرية عن تطبيق أحكام الشريعة • وبعد ١٩٧٠ يسود موضوعان اثنان الفتنة الطائفية والايمان وهما من موضوعات الضعف والدفاع وليسا من موضوعات القوة والهجوم مثل الاشتراكية والتحرر كما كان الحال في بداية الثورة •

١ — رد فعل على الهزيمة •

(أ) تهمة الكفر والالحاد :

وقد بدأت بوادر هذه الردة عن القيم الثورية الاولى في عنفوان الثورة وشبابها بالسؤال عن مدى حرية العقيدة الدينية وهل تشمل الردة عن الاسلام ، وما هى الوسائل العلمية لبناء الجيل الصاعد على أسس دينية وأخلاقية ، وهل ستمنع الشعوبة الاتجار بالدين وتبرير

خطة دعاة الالحاد والكفر ؟ وهى أسئلة توحى بالردة ، وذلك ان التساؤل عن الاعتقاد الداخلى تفتيش فى ضمائر الناس ، وطرح موضوع الردة حكم على ايمان الناس ، وتأسيس المجتمع على أساس أخلاقى دينى ردة عن بناء المجتمع على القيم الثورية الاولى ، وتكفير دعاة الكفر الالحاد هو بداية للقضاء على الطليعة الثورية فى كل مجتمع •

وكانت الاجابة على هذه التساؤلات مؤشرا على بداية الرده وذلك ان حرية الفكر لا تتمشى مع الاثارة الجنسية ، والا منعت الجرائد والمجلات • وانه لا بد من تربية الابناء ، وأن تكون الصحافة متقدمة ومتطورة • هناك قيود على حرية الفكر تأتى من تصور متخلف للاخلاق وهو التصور الجنسى المثير لها • وبالرغم من تأكيد الدساتير على حرية الاديان ، وهى من المبادئ الاساسية الا أن موضوع الردة مازال مطروحا دون أن يتم التوفيق بينه وبين المبدأ • وقد نص الميثاق صراحة فى عبارتين على حرية العقيدة الدينية ، الاولى : « كذلك فان هذه القيم لا بد وأن تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حرة تفجر ينبوع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان الفرد الحر • ان حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة » • والثانية « ان الاقناع الحر هو القاعدة الصلبة للايمان والايمان بغير الحرية هو التعصب والتعصب هو الحاجز الذى يعوق كل فكر جديد » (١٦١) • ومع ذلك فلم تكن لهاتين العبارتين أى مضمون • وانتهى بهما الحال الى قانون الردة والحكم على المواطنين بالايمان أو الالحاد • فى حين أن المادة ٣٤ من الدستور تنص على أن حرية الاعتقاد مكفولة ، وتحمى الدولة حرمة

القيام بشعائر الأديان والعقائد طبقاً للعادات المرعية على ألا يخل ذلك بالنظام العام أو ينافي الآداب (١٦٢) •

والوعى الدينى يمنع الشعوذة والاتجار بالدين والالحاد والكفر وكان هناك طريقاً واحداً مرسوماً وما سواه انحراف وضلال • ومهمة رجال الدين فى ذلك ليس فقط الخطابة فى المساجد بل الخروج الى القرى والدعوة فى المدن وارجاع الخراف الضالة (١٦٣) • فعلى رجال الدين والوعاظ والمشايخ مسؤولية كبيرة فى الخروج من المساجد والنزول الى الاحياء • وان مهمة رجال الدين ، وهم يأخذون أجراً على ذلك ، هى الوعظ بالطريق السليم الجاد وليس بالهزل لاستجلاب الضحك • فى أول الثورة طلب البعض أشياء كثيرة وقال « من لم يزرع بالقرآن يزرع بالسلطان » ولا بد من عمل كذا وكذا ويستحيل ذلك لان فيه تضيق على الحريات التى تعود عليها الناس فى هذا البلد • لو صدر قانون بمنع المينى جيب فذلك معناه ان البوليس له الحق فى أن يتعرض لكل سيدة فى الطريق ، وهذا شعور يؤذى كل انسان • كل عائلة عليها أن تصدر هذا القانون ، كل رب أسرة وكيف يصدر قرار بفصل كل طالبة تدخل الجامعة بمينى جيب (١٦٤) • وقد أثير هذا الموضوع من قبل فى رفض طلب الهضيبى بمنع المينى جيب فى أول

(١٦٢) الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٦٤/٣/٢٥ ص

• ١٤

(١٦٣) كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام

١٩٦٨/٢/١٣ ج ٦ ص ٥٨٢ •

(١٦٤) بيانات وتعليقات بجلسات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية

فى شرح الميثاق الجلسة الثالثة ١٩٦٢/٥/٢٦ ج ٤ ص ٧٢ — ٧٣ •

الثورة • فكيف تقام تنمية اجتماعية ويترك الدين للمسئولية الفردية الخالصة ولا يكون المجتمع مسئولا عنه في شيء ؟ وهذا يدل على ان الدين كان سلوكا فرديا خالصا لا شأن له بسلوك الجماعة الا في لحظات الدفاع عن النظام الاشتراكي ضد هجوم النظم الرجعية • ولولا هذا الهجوم والدفاع لما ظهر البعد الاجتماعي للدين •

ثم يظهر التأكيد على تمسك هذا الشعب بالدين كرد فعل على هجوم سوريا على النظام في مصر ومدافعة النظام عن نفسه بانه نظام متدين يرفض الحاد النظام السوري ويرفض لا أخلاقية حزب البعث • فالشعب في مصر شعب متدين متمسك بالدين ، وهو شعب طيب يجمع بينهم شيء واحد وهو الدين (١٦٥) • تقول اذاعة دمشق ان كتاب « فلسفة الثورة » ليس به عقيدة لانه مبنى على الافكار الدينية العفنة • وشعب مصر يفخر بأنه يتمسك بالدين ، المسلم والمسيحي على حد سواء لان الدين يمثل الطريق الصحيح والطريق السليم ، الشعب والقادة كلاهما يتمسك بالدين منذ اليوم الاول للثورة وهذا سر نجاح الثورة ، التمسك بالدين ، والعودة الى الدين • الامة العربية كلها متمسكة بالدين ، وطوال تاريخها تمسكت بالدين ، ودافعت عنه ، ولم تمكن أى خارج عن الدين عن أن يكون صاحب سلطة فيها ، الشعب السوري متمسك بالدين • واذا ما خرج القادة عن طريق الدين تكثرت الشعب حتى يزيحهم عن أماكنهم ويفرض ارادته

(١٦٥) خطاب الرئيس في مؤتمر الاتحاد العالم للعمال بطوان ٣/٣

• ١٩٦٨

ومشيئته ويجبر القادة على العودة الى الدين • الافكار المبنية على الدين هي التي تعبر عن ارادة الشعب ، وهي التي تنمو وتترعرع • لقد قابلت الثورة أزمات عدة ولكنها استطاعت التغلب عليها لمسبب أساسى ، سبب أخلاقى ، سبب دينى • وقد سارت الجامعات فى طريق العمل وفى طريق الاخلاق المبنية على الدين وعلى التمسك بالدين • لابد من التمسك بقيم الدين والاعتصام بها مثل التمسك بالتكافؤ فى التضحيات وبالنقاء الثورى وبالطهارة الثورية • الدين بخير فى هذا البلد ، والامة كلها تقوم بتدعيمه • الايمان فى الجيش كله وفى كل واحد ، يملأ النفوس(١٦٦)•

ان الافكار الملحدة هي الافكار العفنة ، ولا يمكن بأى حال أن يتجاوب شعب يتمسك بالدين مع قادة ملحدين يتهمون الافكار الدينية بأنها أفكار عفنة • ولكن بعد ١٩٧٠ يصبح الالحاد التهمة الاساسية ضد الخصوم السياسيين فهذا الشعب المؤمن والذى يكون الايمان فيه جزءا من كيان وتكوين الشعب ولن يسمح لاية قوة مهما كانت أن تزلزل هذا الايمان أو أن تسلك طرقا ملتوية لمحاولة تضليل الاجيال القادمة كما حدث فى بلاد أخرى • وظلت لعبة الايمان والالحاد لعبة المنظم السياسية عندما تكون فى مأزق مع خصومها • فالقذافي الذى كان يرى ان الشيوعيين جماعة ملحدين لا يصلون فان اليسار فى مصر مسموح به • حتى اذا ما أصبح اليسار يهدد النظام ترفع

(١٦٦) خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ١٩٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٣ — ٤١٥ ، كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/١٣ ج ٦ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، فى أبطال الجيش الثانى مارس ١٩٧٦ ص ١٢ ، ص ١٤ .

دعوات الالحاد من جديد • فاذا ما أراد النظام الدفاع عن ناصر دفاعا عن شرعيته فانه يدافع عن ناصر ضد اتهامه بالالحاد • واذا ما أراد النظام التالي على لسان أحد الكتاب أن يشوه عبد الناصر فانه ينتهي الى أنه رجل ملحد في بلد لا تحب الالحاد (١٦٧) • وقد فرضت الاشتراكية الديمقراطية قول الرئيس « لا مكان للملحد في دور الصحف ووسائل الاعلام » لان الاشتراكية الديمقراطية ليست فلسفة المحادية تنكر الاديان وتجحد دورها في توجيه البشرية لان التدين جزء من تكويننا الثقافي في كل العصور • فهي فلسفة تدعم الدين والتدين في النفوس كما رسمته الكتب السماوية (١٦٨) • تصبح كل معارضة سياسية لاسباب اجتماعية خالصة كما حدث في ١٩/١٨ يناير متهمة بالالحاد ، وتلحق بمراكز القوى وبانقلاب مايو ١٩٧١ وازاحة اليسار الناصري أي الماركسي الملحد •

الايمان أقوى عاطفة في الانسان ، والعاطفة أعلى شيء فيه • وهي ما يستطيع الانسان أن يضحى بنفسه في سبيله • والايمان هو ايمان بالاجل وبالكتاب ، ولن يتوفى الله أحدا لم يأت أجله • ومن ثم وجب الفداء والتضحية وبذل الجهد • الايمان اذن هو الطريق الى النصر • وذلك لان الارادة وحدها هي القادرة على تغيير الموقف

(١٦٧) الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١٥ ، في الاتحاد الاشتراكي العربي ، مارس ١٩٧٦ ص ٧٩ ، حديث الى جريدة السياسة الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ ص ٣٠ ، في الجلسة الخامسة لمجلس الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٤٤ •

(١٦٨) المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة طنطا ص ١٠٤ ، ١٢٦ •

وتحويل الهزيمة الى انتصار • لا بد أن يتعمق هذا الايمان فى قلب الجنود • لا بد أن يؤمن كل جندى بالدين والمبادئ وبالقيم • وهذا دور التوجيه المعنوى لتعميق هذه المعانى ، وجعل عامل الايمان بالله أساس توعية الجندى • هذا الايمان القوى يمنع من الشك والتردد فى المعركة ، ويزيد الانسان صلابة وقوة ، قوة المبادئ وصلابة الايمان • ولا بد أن يؤمن الجندى بعد ايمانه بالله بقضية بلاده وتحرير الارض المحتلة • لذلك يقترن الايمان بالله باستمرار بالارادة والثقة بالنفس وبالتدريب وبالجهد وبالعلم • وعلى هذا النحو تستطيع القوات المسلحة فى الوقت المناسب تحويل الهزيمة الى انتصار • الايمان بالله وقوة العقيدة يذهبان بالخوف ، ويجعلانه شيئاً وقتياً لحظياً • لا بد من توجيه الجندى توجيهها سليماً فعليه رسالة كبيرة نحو ربه ونحو وطنه • لا بد من بث روح الايمان فيه • فبدون الايمان وبدون العقيدة لا يستطيع الانسان أن يحارب ولا يرى سبباً لموته • يموت الانسان لانه مؤمن بشيء ويبذل نفسه من أجله • والشعب هنا يؤمن بالله وبوطنه وبحريته وبحق أمته العربية فى الحرية • يموت الانسان من أجل المثل الاعلى الذى أعطاه الله ومن أجل البلاد والارض والامة العربية • تحمل القوات المسلحة المسئولية الكبرى • يثق كل جندى بنفسه وبوطنه • بهذا الايمان وهذه الثقة لن يخذل الله الشعب فى معركته من أجل تحرير البلاد والدفاع عن الشرف واثبات الذات • وكل جندى فى القوات المسلحة مستعد للتضحية فى سبيل الله والعروبة والوطن • ان العمل الانسانى قادر بحقيقة الايمان

والصبر والجهد المستمر وبالامل في نصر الله (١٦٩) . وكان شعار القوات المسلحة النصر أو الشهادة .

وفي النظام التالي في السبعينات نادرا ما يقترن الايمان بالعمل . بل ويقترن الايمان بالصبر ، فبالصبر والايمان بالله وبالنفس يمكن تحقيق الهدف وتحويل الهزيمة الى نصر . ومع أن الصبر هو صبر المؤمن القوى وليس المؤمن الضعيف الا أن ظهور القيمة نفسها يجعل الصبر غير مشروط . كما يدل الواقع الاجتماعى والسياسى أيضا على أنه تبرير للعجز عن الحركة وحل القضية الوطنية أساسا . الصبر صبر المؤمن وهو الصمت ، صمت الواثق حتى تأتى الساعة وقد لا تكون بعيدة باذن الله ، الصبر والصمت في عزم واصرار . ومع أن الصبر يكون مقرونا بالجد الا أن الغالب على هذا النوع من القيم هو السلب مثل سماحة النفس والرحمة التى تسود الوفاء بالمودة اليقظة . فالامة صابرة مؤمنة ، صبرها من ايمانها ، وايمانها يزيد صبرها . ويتم الاستشهاد ببعض آيات الصبر مثل : « وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » . وقد كانت الدعوة للصبر في بداية الثورة مجرد دعوة عامة بدعوة المواطنين الى الصبر

(١٦٩) كلمة في الاجتماع الذى عقده مع أعضاء الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٦٥/٢/٢٥ ج ٥ ص ١٦٣ ، كلمة في القوات الفلسطينية والجزائرية في أحد المواقع الامامية على خط النار ١٩٦٨/٣/١١ ج ٦ ص ٣٥٥ ، خطاب الى ضباط وجنود القوات المسلحة في احدى القواعد العسكرية لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٤/٢٥ ج ٦ ص ٤٥٠ ، كلمة في القوات المرابطة في أحد المواقع الامامية على خط النار ١٩٦٨/٣/١٠ ج ٦ ص ٣٤٨ ، خطاب الرئيس في عيد العمال بطوان ١٩٦٩/٥/١ ج ٧ ص ١٢٧ .

كى يتحقق الاتحاد من أجل القضاء على الماضى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تعلمون » (١٧٠) • ولكن قد تخفى هذه القيم السلبية نزعة فاشية وميلا الى البطش والعدوانية فاذا قيل « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » فان ذلك تواضع فى الظاهر وبطش فى الباطن بالرغم من القول بأن الرحمة هى أساس الدين •

(ب) الدين والايمان :

والدين هو المرشد الصحيح لكل انسان ولكل شخص لانه يعطى الانسان القدرة على التقريب بين الحلال وبين الحرام • وكان الشعب أيضا يشعر بهذا الشعور مثل قادة الثورة وهم من هذا الشعب • الدين يحدد عمل كل انسان يعمل الحلال ولا يعمل الحرام • الدين هو الذى يضع المقاييس السليمة ، ما يقره الدين يعمل وما لا يقره لا يعمل • الدين هو الميزان ، وعدم التمسك بالدين ضياع للميزان واستحالة للتفرقة بين الحلال والحرام بأى حال من الاحوال • الدين هو الذى يهدى الى القيم السليمة والى القيم الحقيقية • واضح هنا وجهة النظر التقليدية فى الحلال والحرام وهى انها ينبعان من الدين ولا يستطيع العقل أن يستقل بادراكهما •

وفى الستينات أيضا كان تصور القيادة السياسية للتدين أى

(١٧٠) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧٢/٤/٢٥ من ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ورقة أكتوبر ص ٥ ، خطاب أمام مجلس الشعب ١٩٧١/٥/٢٠ من ١ ص ٣٣٥ ، للمؤتمر الإسلامى فى لوجومى ١٩٧٥/٣/٢٣ من ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ ، فى أبطال الجيش الثالث مارس ١٩٧٦ من ١٣ ، فى السويس ١٩٥٣/١١/٣ ج ١ ص ٦٢ ، حديث الى جريدة السياسة الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ من ٥ ص ٢٧ •

الدين في لحظة تاريخية معينة يظهر السلوك الدينى وكأنه نابغ من الفطرة البشرية ، والفطرة بها الخير والشرير وبها الصالح والطامع وبها الصحيح والفساد منذ الخليقة حتى الآن . وبالتالي تكون المسئولية فردية . فأولياء الامور والعائلات هى المسئولة أولا ثم المجتمع ثانيا . فمنذ قام المجتمع حتى اليوم فيه الصالح والفساد ، منذ قامت الخليقة من عهد آدم وقصة هابيل هناك الفساد والصالح . والواجب هو العمل على تقويم الفساد وتدعيم الصالح . لا يوجد اذن أساس اجتماعى للسلوك الدينى ، بل هو سلوك فطرى ، الصالح صالح بالطبع والفساد فاسد بالطبع ، وهى النظرة المحافظة التى تود الحفاظ على الوضع القائم وتجد الشرور الاجتماعية ضرورة لا مفر منها تعبر عن طبيعة البشر ، أو كما يقول المسيحيون عن الخطيئة الاولى معصية آدم وقتل هابيل لقابيل (١٧١) . وقد كان التمييز بين النافع وغير النافع من أوائل دعوات الثورة ضد التشكيك والاثارة والهمس الجبان المتوارى للنيل من الثورة .

والايمان ليس صفة فى الشعب وحده بل أيضا صفة للقادة اذا مات زعيم خرج زعيم غيره بالعشرات يؤمنون بالله . فمن يحمل أمانة الايمان فانه يستطيع أن يغير مجرى التاريخ (١٧٢) .

(١٧١) كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام
١٣/١٢/١٩٦٨ ، ج ٦ ص ٥٨٢ - ٥٧٣ .

(١٧٢) خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٤ ، فى عيد العمال ١٩٧٢/٥/١ س ٢ ص ١٩٨ ، بيان الى الامة بمناسبة مرور عام على اعلان دولة الاتحاد و مرور ثلاثة اعدام على الثورة الليبية ١٩٧٢/٩/١ س ٢ ص ٣٥١ ، خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الحادى عشر للثورة ٦٣/٧/٢٨ ج ٤ ص ٤١٣ - ٤١٤ .

(ج) القدرية والتسليم :

وقد بلغت الردة الدينية لدرجة القدرية والايان بقدر الله في الهزائم العسكرية • فلو نظرنا الى التاريخ القديم والحديث لطالعنا صفحته بنماذج عديدة لما يمكن أن تتردى اليه أحوال الامم عندما تصيبها الهزيمة العسكرية وذلك قدر لا تتفرد به الثورة المصرية وحدها وانما هو قدر جرى قبلها على أمم أكبر منها وأقوى وما حدث لكثير غيرها لم يحدث لها • وردا على سؤال عن الموهبة غير العادية التي يتمتع بها الرئيس في تحويل الهزائم الى انتصارات وفي تخطي المآزق يجيب الرئيس بأنه يؤمن بالله وبقضائه وقدره • وتغيير الواقع يحتاج من العمل والصبر والطاقة التي لا يملكها غير المؤمن بقضاء الله والواثقين في عدالته • يقبل الرئيس مشيئة الله وما هو فيه من امتحان وآلام ، ويثق بمشيئة العدل الالهي ويؤمن ايماننا لا يتزعزع بأنه سيكون يد هذه المشيئة في العدل الالهي حينما تجيء اللحظة المناسبة ويرد بيقين الصادقين « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » • ان الاقوياء القادرين على حمل أمانة مشيئة العدل الالهي هم المجاهدون الصابرون الذين يتحملوا مسؤولياتهم بلا خوف ولا جزع ودون تردد أو وهن • ويظهر نفس التسليم أيضا في بيان ٣٠ مارس « ولتعمل ارادة الحق فوق كل ارادة لانها جزء من ارادة الله » • لقد توفي عبد الناصر بقضاء الله وقدره ، ولا يمكن رد مشيئة الله • ترتفع الامة بالايان وتهبط بدونه • كانت الامة في ذروة الايمان وبالتالي في ذروة الارتفاع الى مستوى أقدرارها ، وما شاعت ارادة الله أن تمتحن

بها عزمها فما وهنت ولا ترذدت (١٧٣) * فالإيمان يعنى التسليم بالقضاء والقدر وقبول المصائب والهزائم كامتحان واختبار من الله للمؤمنين * وكل ارادة من ارادة الله وتعلو ارادة الله على كل ارادة لانها جزء من ارادة الله * وكل هزيمة أو نصر بارادة الله * النصر من عند الله والاعتماد والتوكل عليه والعهد لله * وتسيدي الخطى من الله * والله وحده هو الذى يعلم وان العمل ليس أمام الناس بل أمام الرب والشعب هو الشاهد * تقبل الامة على امتحان يريد الله به أن يختبر شجاعته بعد أن اختبر ثباتها * ويتم الاستشهاد بآيات توحى بنفس المعنى مثل : « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » أو « وكتبت عليهم الذلة والمسكنة » وأيضا « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » * أرواح الشهداء الذين سقطوا في ميدان المعركة حسابهم على الله * ان ارادة الشعب و ارادة الامة هي ارادة الله (١٧٤) *

(١٧٣) كلمات في الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٣/١٢/١٩٦٨ ج ٦ ص ٥٨٢ — ٥٨٣ ، حديث مع س . ل . سولزبرجر رئيس تحرير النيويورك تايمز ٢٦/٢/١٩٦٩ نشر في ٢/٣/٦٩ ثم في الاهرام في ٣/٣/١٩٦٩ ج ٧ ص ٧٠ — ٧١ ، خطاب في افتتاح الدورة الخاصة لمجلس الامة ٢٣/١١/٦٧ ج ٦ ص ٢٧ ، خطاب في افتتاح مجلس الامة الجديد ٢٠/١/١٩٦٩ ج ٧ ، خطاب في جلسة العمل الاولى للجنة العاملين للمواطنين من أجل المعركة ١١/٤/٧٠ ج ٧ ص ٣٣٧ ، بيان ٣٠ مارس ص ٣١ ، بيان الى الامة ٢٨/٩/٧٠ ، بيان الى الامة ٧/١٠/٧٠ ، خطاب في افتتاح الدورة الخاصة للمؤتمر القومى العام ١٣/١١/٧٠ س ١ ص ٤٩ .

(١٧٤) حديث للامة يشرح فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ج ٦ ص ٣٨٠ ، في الذكرى الثالثة لجلاء آخر جندي امريكى عن ليبيا ١١/٦/٧٣

وقد ظهر البعد الرأسي في الدين واختفى البعد الافقي ، وأصبحت
المسئولية أمام الله ، والعمل لله ، فيخشى القادة ويخلصون ضمائرهم
أمام الله وأمام التاريخ • المسئولية أمام الله أولا وأمام الشعب
ثانيا ، أمام الله أولا وأمام الضمائر ثانيا • واستمداد القوة من
الشعب بعد الله واردة الشعب هو صوت الله ، والثقة في النفس
بعد الثقة في الله حتى يكون الله هاديا للمسيرة ، وانها منحة كبرى
من السماء أن يقيض الله لشعب أب عائلة واحدة • فالاعتماد
على الله ثم على الناس ووجود الناس بجانب القادة بفضل عون
الله وما منحه الناس من روح الخلق والابداع وما أعطاهم من ارادة
الصبر والتصميم • والمسئولية أمام الله وأمام الشعب وأمام الضمير ،
وارادة الشعوب من ارادة الله • الثقة بالله والعمل من أجل نصر
الله • وجند الله هم الغالبون ، والتضرع الى الله من أجل أن يهب
القوة حتى يحقق النصر الذي يصبو الشعب اليه • « اننا الامناء
والمؤمنون ، اننا الحق والحقيقة ، اننا النار والنور » ! الصراحة أمام
الله وأمام النفس ، والله هو الذي يحقق آمال الوطن ويسدد خطاه

س ٣ ص ١٩٤ ، أمام المؤتمر السابع لدول عدم الانحياز في الجزائر ٦/٦/٦٩
٧٣ س ٣ ص ٢٩٦ ، خطاب في افتتاح الدورة الخامسة للمؤتمر القومي
العام ١٣/١١/٧٠ س ١ ص ٥١ ، في مجلس الشعب ١٩/٣/٧٥ س ٥
ص ١٤٨ ، لرئيس تحرير السياسة الكويتية ١٢/٤/٧٥ س ٥ ص ١٨ ،
في علماء الازهر ١٦/٥/٧١ س ١ ص ٣٠٣ ، بمناسبة وفاة فيصل ٢٥/٣/
٧٥ ، في الذكرى الثالثة لوفاة الزعيم عبد الناصر ٢٨/٩/١٩٧٣ س ٣
ص ٣٢٣ .

ويهيىء من الامر الرشيد ، والبداية على بركة الله في شهر القرآن ،
شهر التضحية والمبدأ والنضال (١٧٥) •

الله مع الشعب بتوفيقه ومع الامة بعونه وتأييده ونصره ، والدعاء
هو أن يوفق الله كل من يتحمل المسؤولية في أى موقع في التعبير عن أمل
الشعب وأن يمكنه من تحقيق أهدافه ، وهو القوى الحكيم القادر ،
توفيقه وهده نصر مؤزر ، ونعتمد عليه جميعا • والمسؤولية أمام
الله وأمام الضمائر وأمام الشعوب • والنصر من عند الله عزيزا كريما
شريفا غالبا ، وينصر الله من ينصره والله قوى عزيز ، والعهد
للناس ولله • والله هو الذى منى بالنصر في حرب أكتوبر • وارتفع
صوت الجنود الله أكبر • والله هو الذى يمنح القوة والعزم بالحق
والله هو الواهب لكل شىء على هذه الارض • السماح
من الله ، والتوفيق من الله ، والهداية سواء السبيل من الله ، والاتجاه
في خشوع الى الله • والثقة بالله وبأصالة هذا الشعب ، والتبليغ
لله والشهادة أمامه • ومع أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة الا أن

(١٧٥) بيان الى الامة ١٩٧٣/٣/٢٦ من ٣ ص ٧٥ ، بيان الى الامة
١٩٧١/٥/١٤ من ١ ص ١٧٣ ، في ضباط الشرطة ١٩٧١/٥/١٧ من ١
ص ٣٠٩ ، بيان الى الامة ١٩٧١/٨/٣٠ من ١ ص ٤٢٥ ، بيان الى الامة
١٩٧١/٩/١٦ من ١ ص ٤٦٠ ، في الذكرى الاولى لجمال عبد الناصر
١٩٧١/٩/٢٨ من ١ ص ٤٨١ — ٤٨٢ ، حديث الى الامة ١٩٧٢/١/١٣
من ٢ ص ٢٢ ، في عيد العمال ١٩٧٢/٥/١ من ٢ ص ١٩٠ ، أمام مجلس
الشعب بمناسبة ذكرى ١٥/٥/٧٢ من ٢ ص ٢٤١ الى المحاربين المصابين
بمركز التأهيل بجمعية المحاربين القدامى ١٩٧٢/٥/٧٢ من ٢ ص ٢٦١ ، في
جامعة الاسكندرية ١٩٧٢/٧/٢٧ من ٢ ص ٣٢٨ ، في عيد العلم أكتوبر
١٩٧٢ من ٢ ص ٣٨٦ ، في افتتاح الدورة العادية الثانية لمجلس الشعب
١٩٧٢/١٠/١٥ من ٢ ص ٤٠١ •

التوجه الكلى الى الله • الثقة بالله ، والرعاية للامة والمباركة لنضالها
وتوثيق الشعب وتحقيق آماله والنصر من الله • الدعاء لله والسجود
لله • ولن تمنع الحصون الاعداء من الله ، ورحمة من فى الارض يتبعها
رحمة من السماء • والعلم لله ، والعبادة لله ، والعصمة لله يفعل الله
ما يشاء (١٧٦) •

ويستعمل كثير من الآيات سواء فى داخل الخطاب أو فى آخره
توحى أيضا بهذا التسليم المطلق بارادة الله ، وأن الامر بيده تعبيرا
عن ايمان البسطاء ، وسيرا فى التقاليد الاشعرية عند رجال الدين مثل
« تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، الذى خلق الموت
والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور » • أو مثل
« ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » • أو الدعاء الى الله
وطلب الرحمة والهداية مثل «ربنا آتنا من لدنك رحمة وهى لنا من أمرنا

(١٧٦) فى عيد العمال ١/٥/١٩٧١ س ١ ص ٢٣٥ ، فى افتتاح
الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى س ٢
ص ٣٣٢ ، خطاب تكليف الى د. حجازى بمناسبة الوزارة الجديدة ٢٥/٩/
١٩٧٤ س ٤ ص ٥٩٩ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٢٨/٩/٧٧
ص ١١ — ١٥ ، فى الذكرى الرابعة لوفاة ناصر ٢٨/٩/١٩٧٤ س ٤ ص
٦١٨ ، الى طلاب أفريقييا ١٢/١١/٧٤ س ٤ ص ٧٢٨ ، الى طلاب
المدارس الثانوية والفنية ١٢/١٢/١٩٧٤ س ٤ ص ٧٤٨ ، خطاب أمام
المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى دور الانعقاد الخاص س ٣ ص
١١٨ ، فى افتتاح الدورة الجديدة للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى
العربى س ٢ ص ٣٣٥ ، الى مجلس الثورة الليبى ٧/٥/١٩٧٤ س ٤
ص ٣١٥ — ٣٢٥ ، فى الجيش الثالث ٤/٦/١٩٧٤ س ٤ ص ٣٦٧ ،
فى الذكر ٢٢ للثورة ٢٣/٧/١٩٧٤ س ٤ ص ٤٩٧ — ٥٢٨ ، الى رئيس
وأعضاء مجلس الثورة الليبى ٣١/٧/١٩٧٤ س ٤ ص ٥٤٣ ، فى الاتحاد
الاشتراكى العربى مارس ٧٦ ص ٦٨ ، خطاب أمام المؤتمر القومى للاتحاد
الاشتراكى العربى فى دورة الانعقاد الخاص س ٢ ص ٨٩

رشدًا » • بل ترد أيضا كل آيات النصر التي تجعل النصر من عند الله مثل « وما النصر الا من عند الله » • كما أن آيات النصر التي تجعل الانسان طرفا في الحصول عليه قد ارتكزت على الطرف الذي يجعل الله الوسيلة للحصول عليه مثل « ولينصرن الله من ينصره » أو « ان تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » أو « ان ينصركم الله فلا غالب لكم » • وأحيانا تأتي الآية كلها طويلة حتى تطفى الجو الدينى العام على الخطبة السياسية مثل « بآيها الذين آمنوا ان تتصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا تفسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم • أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها وذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » • الله هو الذى يجزى وليجزى الله الصادقين بصدقهم ، والله هو الرامى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » (١٧٧) •

(١٧٧) القوات الجوية مارس ١٩٧٦ ، خطاب فى الذكرى الثانية لوفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، أمام المؤتمر المشترك للجنة المركزية ومجلس الشعب ١٩٧٣/٣/٢٦ من ٣ ص ١٠١ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى بكوالالمبور ١٩٧٤/٦/٢٣ من ٤ ص ٤٣٤ ، فى مجلس الشعب بمناسبة الذكرى الاولى ١٤ مايو ، ١٥ مايو ١٩٧٢ ، الى الشباب العربى من أجل اتحاد الشباب ١٩٧٤/١٠/٢٢ ، فى الجلسة الختامية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧٤/١٧/٤/٧١ من ٢ ص ٣٣٢ ، خطاب فى ختام الدورة الخامسة للمؤتمر القومى العام ١٩٧٣/١١/٧٠ ، فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٩٧٣/١٠/١٦ ، رسالة الى مؤتمر الاتحادات المهنية ١٩٧٣/٥/٢ من ٣ ص ١٤٤ ، بيان عن اعلان مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى للاتحاد الاشتراكى العربى ١٩٧١/٧/٢٣ من ١ ص ٣٨٥ ، فى افتتاح الدورة الجديدة لمجلس الشعب ١٩٧٤/١٠/٢٣ للضباط والجنود •

وبتحليل فواتح الخطب السياسية وخواتيمها بعد ١٩٧٠ نجد أيضا نفس العبارات التي توحى باسناد كل شيء الى الله ، مثل : الله الموفق ، وفقكم الله ، الحمد لله ، بمشيئة الله ، بعون الله ، وتوفيقه ومشيئته ، بإرادة الله ، باختيار الله ، تكريم الله ، سؤال الله ، رجاء الله ، رعاية الله ، نصر الله ، رضى الله ، هدى الله ، الحمد لله رباذن الله ... الخ • ويفتح الخطاب باسم الله وينتهي بآية قرآنية • فى حين أنه لم يكن يغلب على الخطب السياسية فى ١٩٥٢ - ١٩٧٠ أية فواتح أو خواتيم دينية كما حدث بعد ١٩٧٠ • كانت البداية دعوة الى المواطنين « أيها الاخوة المواطنين » دون ذكر باسم الله أو باسم الله الرحمن الرحيم الا فيما ندر • ولم يكن هناك اكثر وتركيز على اسناد كل شيء لله مثل : الحمد لله ، وان شاء الله ، وعون الله • وكان الختام دائما السلام عليكم والدعوة بالتوفيق دون الاستشهاد بآية قرآنية (١٧٨) •

والعجيب أن آيات أخرى تدعو الى العمل وتحمل الامانة تظهر أيضا ولكن أيضا جانب العمل الانسانى يخفى أمام التوفيق الالهى • فمثلا ترد آية «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» حوالى سبع مرات من أجل رؤية الله لعمل المؤمنين أكثر من الدعوة للعمل • كما أن آية الامانة التى رضى الانسان أن يحملها ترد ليس كدعوة للعمل بقدر ما هى دليل على الايمان وهى « أنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

(١٧٨) خطب عبد الناصر ج ١ ص ١٣٦ ص ٥٠٥ ، ص ٥٣٣ ، ص ٥٤٦ ، ج ٢ ص ٧٥ ، ص ٤٧١ ، ص ٥٠٣ •

الانسان « • والدعوة للعلم والقراءة وهو الجانب المعرفى فى الرسالة أيضا يتحول الى مصدر المعرفة وهو الخالق أكثر من المعرفة وهو العلم مثل « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم » • وقد كانت الدعوة الى العمل ظاهرة فى أول الثورة « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (١٧٩) •

وقد بدأ العود الى الايمان منذ الهزيمة فى الستينات • فسبب تقبل الهزيمة كقضاء من الله هو ايمان الشعب وصلابته وسلامة خطه فى النضال وثقته فى مبادئه وفى الله • وقد كان موقف جماهير الشعب فى ٩ ، ١٠ يونيو هو التعبير الحى عن هذا الايمان بالنفس وبخط النضال وبالمبادئ وباللله • « قل لمن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » • رسالة الايمان فوق كل شىء ، وهو جزء من التقاليد المتينة عبر آلاف السنين • لو أراد البشر كلهم أن يصيبوا أى أحد بشىء لا يريد له الله ما أصابوه أبدا • هذه هى رسالة الايمان فى الدين • الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك عن من يشاء ، ويعز من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير • فالايان قوة ، قوة

(١٧٩) فى افتتاح الدورة العادية لمجلس الشعب ١٥/١٠/١٩٧٢ س ٢ ص ٤٠١ ، بيان الى الامة ٢٩/٤/١٩٧٤ س ٤ ص ٢٧٦ ، فى الذكرى ٢٢ لثورة يوليو جامعة الاسكندرية ٢٧/٧/١٩٧٤ ، فى عيد العلم ٦/١٠/١٩٧٤ ، بيان الى الامة ١٤/٤/١٩٧٥ س ٥ ص ٢٠٠ ، الى مجلس الشعب ١٤/٥/١٩٧٥ ، فى علماء الازهر ١٦/٥/١٩٧١ س ١ ص ٣٠٣ خطاب لتحديد أهداف الوزارة الجديدة ٢٦/٩/١٩٧٤ س ٤ ص ٦٠٤ ، فى عيد العلم ١/١٠/١٩٧٣ س ٣ ص ٣٢٩ ، رسالة الى بعثات الشباب المصرى فى الخارج ١٩/٢/١٩٥٤ ج ١ ص ٩٨ •

الفرد ، قوة الايمان بالرسالة وبالعقيدة وبالمبدأ ، قوة الفرد وقوة المجتمع • ومع ذلك فقوة الايمان نابعة من ذات العقيدة وليس من مضمونها المادى الاجتماعى (١٨٠) •

(د) القيم الروحية :

ليس هناك تناقض بين القيم الفكرية أو الروحية والقيم المادية • والتناقض بينهما مفتعل من الذين يريدون تغليب العنصر المادى عنى كل شىء ومن الذين يريدون الهاء الناس عن الحقوق التى تكفلها لهم الحياة • وقد جمع القرآن وما جاء فيه من تفصيلات مادية عن الحياة والتنظيم والاقتصاد والعمل بين الناحيتين الفكرية والمادية • ومن بين أهداف كل الثورات التقدمية هو كيف يمكن تحقيق الوحدة والتناسق بين القيم الروحية التى تعتر بها الشعوب وبين أدوات الانتاج المادية التى لا بد لها من السيطرة عليها لتحقيق عملية التغيير الضرورية الواجبة فى المجتمع • وقد ظهر موضوع القيم الروحية من قبل فى احدى عبارات الميثاق وهى : « ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الاديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » • كما يظهر الموضوع من جديد فى بيان ٣٠ مارس ضمن المهام الرئيسية للمرحلة القادمة العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام

(١٨٠) خاطب فى افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة ٢٣/١١/١٩٦٧ ج ٦ ص ٢٧٠ ، فى عيد العمال ١/٥/١٩٧١ س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، خطاب امام مجلس الشعب ٢٠/٥/١٩٧١ س ١ ص ٣٢٤ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٥/٤/١٩٧٢ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ •

بالشباب واثاحة الفرصة أمامه للتجربة • لا يمكن أن تطغى القوة المادية على شعب أعزل من سلطان الروح • ان موضوع « الاسلام والعصر الحديث » وهو موضوع المؤتمر الاسلامى بداكار يكشف عن عبقرية الاسلام وآثاره • فقد دعى الاسلام الى العلم والعمل وحث على التفكير والتدبير منذ خمسة عشر قرنا كما يتضح من مئات الآيات القرآنية والاحاديث النبوية وجهود العلماء المسلمين الاولين فى فروع العلم والمعرفة والثقافة والابتكار حتى أنه من الحق أن للعلماء المسلمين الفضل على نهضة أوروبا وانتشالها من ظلمات العصور • لا بد من التمسك بالقيم الروحية فى مواجهة موجة الاستمتاع المادى التى تعرفها مجتمعات الاستهلاك الغنية لان تلك القيم من السمات الاصلية لحضارتنا ولان المجتمعات التى تجاهلتها تعرف المشقة النفسى وسط الوفرة المادية (١٨١) • ويبرز موضوع القيم الروحية كدفاع عن الذات ضد النقيض وهى القيم المادية المقرونة فى ذهن الناس بالاحاد المقرون أيضا بالماركسية والشيوعية • ففى بيان ٣٠ مارس

(١٨١) كلمة فى موقع مشترك للقوات المصرية والسودانية بالجبهة الحادى عشر للثورة ١٩٦٨/٣/١٠ ج ٦ ص ٣٥١ ، خطاب فى جامعة الاسكندرية بمناسبة العيد الذى أقيم تكريما للرئيس السنغالى ليوبولد سيدار سنجور بمناسبة زيارته للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٧/٢/٢٢ ج ١ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، بيان ٣٠ مارس ص ٢٥ ، خطاب فى عيد العمال لشرح بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨/٥/١ ج ٦ ص ٥١٣ ، رسالة الى المؤتمر الاسلامى بداكار ١٢/٧/١٩٧٢ س ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ ، حديث الى الامة يشرح فيه الرئيس بيان ٣٠ مارس ، ٣٠ مارس ١٩٦٨ ج ٦ ص ٣٧٧ •

توحى احدى نقاطه بالعمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية والاهتمام بالشباب واتاحة الفرصة امامه للتجربة .

ويستمر نفس الموضوع ابتداء من ١٩٧١ والحث على التمسك بالقيم الروحية والاخلاقية في مواجهة الاستمتاع المادى الذى تعرفه مجتمعات الاستهلاك الغنية . وقد كثرت كتابات المنظرين في أهمية القيم الروحية وأصبحت مزادا علنيا يتبارى فيه كل المتطلعين الى السلطة والساعين وراء المناصب . فالاشتراكية الديمقراطية تهدف الى اعادة بناء الانسان المصرى على أسس سليمة قوامها القيم والروح والوعى وفي ضوء منجزات العصر الذى نعيشه . بل ان أول معلم من معالم الاشتراكية الديمقراطية هو التأكيد على القيم الروحية المستمدة من الاديان السماوية ودون انحراف بها عن مضمونها الحقيقى . وتزايد جامعة الاسكندرية بالتأكيد على ارتباط الانسان المصرى بالقيم الخلقية المستمدة من العقيدة الدينية والروحية وعلى رأسها الطيبة والصبر (١٨٢) . ويوضع نفس السؤال بطريقة أخرى وهى : كيف تستطيع الشعوب أن تتطلق الى آفاق التكنولوجيا الحديثة وفى نفس الوقت لا تدوس على التراث المجيد وهو ما أصبح فيما بعد فى العهد الحالى موضوع العلم والايمان . لهذا يجب الانفتاح

(١٨٢) فى عيد العمال ١/٥/١٩٧٥ س ص ٢٤٣ ، ورقة أكتوبر ص ٦٢ ، د. سليمان محمد الطماوى : الديمقراطية والدستور الجديد رابعا : دور القيم الروحية فى المجتمع الجديد ص ٨١ — ٨٣ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية . خطاب أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية فى ٢٦/٥/١٩٧٧ ص ١٠ — ١١ ، ص ١٩ ، فى افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومى للعام للاتحاد الاشتراكى العربى ٢٢/٧/٧٥ س ص ٥ ص ٤١ — ٤٢ .

على التجارب الانسانية المعاصرة والعلوم الحديثة والتمسك من جهة أخرى بالقيم الروحية والمعنوية ، والاخذ بأسباب التقدم المادى والاعتصام فى نفس الوقت بالقيم التى تحمى من أمراض المجتمعات المادية الخالية من الروح • ان من علامات البناء الديمقراطى السليم التأكيد على القيم الدينية (بالاضافة الى تحقيق التوازن بين الفرد والمجتمع والسلام الاجتماعى ، والوحدة العربية) (١٨٣) •

٢ — الهوس الدينى •

ثم تحولت القيم الروحية فى السبعينات الى نوع من الهوس الدينى شيئاً فشيئاً ، وانقلبت من قيم خارجية الى قيم داخلية • كما ظهرت قيم الطمأنينة الداخلية والشكر لله والتى تجعل ايمان القائد السياسى أقرب الى الايمان الصوفى منه الى الايمان العلمى • وكان الخيط من الستينات بعد الهزيمة • فقد ظهرت المعرفة الصوفية الاشتراكية التى يقذفها الله فى القلب ، واستقبال الانسان لهذا الضوء عقلاً وقلباً • وقد تحدث بيان ٣٠ مارس من قبل عن النصر العزيز من الله وأن أهم ما حبا الله مصر من نعم لهُو شعبها (١٨٤) •

(١٨٣) كلمة فى الجلسة الامتاحتية للندوة الدولية عن الفية القاهرة

٦٩/٣/٢٩ ج ٧ ص ٩٧ •

(١٨٤) الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ٧ ، ص ١١ ، فى اللقاء

بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ١٩٧٢/٩/١٤ ص ٢ ص ٣٥٩ —

٣٦٢ ، خطاب الرئيس فى عيد العمال بطوان ١٩٦٩/٥/١ ج ٧ ص ١٢٧ ،

خطاب فى افتتاح دورة الانعقاد العادى الثانى لمجلس الامة ١٩٦٩/١/٦

ج ٧ ص ٢٠٠ ، بيان ٣٠ مارس ص ١٢ •

واستمر في السبعينات • فالله هو الوهاب • وتكثر الدعوات الصوفية مثل « رب اجعل النصر حليفهم والهمنا يا رب الحكمة كما تؤدى لك الامانة عزة لارضنا ، وانتصارا لحقنا وأنت رب العزة ، ورب الحق القاهر فوق عبادك » • كما ينتهي بالدعوات المباركة مثل « بارك الله في ثورتكم وفي قادتكم ، بارك الله في سودانكم عزيزا منيعا قويا شامخا » • أو بالدعاء الدينى مثل « والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعل من هذا الاتحاد بلدا آمنا مطمئنا وأن يلهمنا الحكمة والرشاد انه نعم المولى ونعم النصير » • وسيكون الوطن عائلة واحدة وبأمر الله وبارادة الله وبنصر الله وبعون الله • والنصر من عند الله • وتكثر الدعوات الصوفية في المناسبات الدينية أو في مناسبات الوفاء مثل « ولننتصر بالشهادة والبطولة معا أظهر الارض وأعلى المقدسات • فأضى عقولنا يا رب ونحن نتمسك بحقنا بكل ماضيها من عزة وصلابة » • « ربنا أنك تعلم ما تخفى وتعلن وما يخفى عاينك يا رب شئ في الارض ولا في السماء فاهدنا يا رب سبيلنا ووفقنا وانصرنا انك نعم المولى ونعم النصير » • « رب علمت فقدرت ذلك والقهر وبيدك الخلق والامر فكن معنا يا رب بالقرب » • « ربنا كن لنا عوناً وهدى ، ربنا وبارك لنا في شعبنا وفي أمتنا ، ربنا انك وعدت ووعدك الحق » • « رب طويت من عمرى صفحات ونشرت اليوم صفحة فاجعل صفحتى هذه أدعى للخير وأخلى من الشر وزيبها بالحق وبرئها من الباطل واجعل فاتحتها وخاتمتها الاخلاص لك والعمل لوجهك » • كل هذا اليقين الصوفى من أجل تغطية دينية لموقف سياسى متزعزع ولنظام سياسى هش • كما قد تظهر الدعوات في صورة آيات قرآنية تشير الى سلامة القلب واطمئنان النفس مثل

« يا أينها النفس المطمئنة ، أرجعى الى ربك راضية مرضية ، فادخلى
في عبادى ، وادخلى جنتى » • فالشعب مؤمن له قيمه ، يؤمن بالوفاء
وبكل القيم التى أرادها لهذا الكون • له ايمانه وما ورثه من رسالات
السماء • لقد تم الصمود فى السويس بسلاح الايمان • لقد هدم
العدو المساجد والكنائس ولكنه لم يهدم روح البناء • لم يهدم
عمق الايمان وصدق العقيدة وصلابة الجهاد • لقد تحول ذلك كله الى
هوس دينى بحجة الفتنة الطائفية التى أصبحت ذريعة للقتل والتكفير
وأحكام الردة والاضطهاد لكل فكر أو معارضة (١٨٥) •

(أ) قيم الايمان :

ويقرن الايمان بالامل والاصالة والصلابة والامانة قبل أن
يستقر فى النهاية على شعار العلم والايمان • يقرن الايمان بالامل
النفسى دون دلالة معينة أو نظرية مجردة • بل مجرد تحول من

(١٨٥) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٥/٤/١٩٧٢ س
٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ، ورقة اكتوبر ص ٤٣ ، بيان للامة ٧/٣/١٩٧١ س
١ ص ١٩٨ ، خطاب الى الشعب السودانى الشقيق ٢٨/٣/١٩٧١ س
١ ص ٢٠٤ ، بيان اعلان مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية ١٧/٤/
١٩٧١ س ١ ص ٢٢٥ ، فى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف ٦/٥/١٩٧١
س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى
لاتحاد الاشتراكي العربى ٢٣/٧/١٩٧١ س ١ ص ٤١٦ ص ٤٢٢ ،
خطاب فى افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٦/١٠/٧٣ س ٣
ص ٣٤٥ ، فى الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ١٤/٣/١٩٧٦ ص ٨٢ ،
بيان الى الامة ٢٨/٩/١٩٧٠ ، فى جامعة الاسكندرية ٢٦/٧/١٩٧٣ س
٣ ص ٢٨٨ ، خطاب فى المؤتمر الشعبى بأسسيوط ١١/١/١٩٧١ س ١ ص
١٣٣ — ١٣٤ •

الخارج الى الداخل ، ومن المجتمع الى الفرد • وحدث نفس الانقلاب
في مفهوم الجهاد ، من جهاد الاعداء الى جهاد النفس •

ويعتمد على الحجج الزمنية في الدعوة الى الجهاد بمعناه العام
الذى لا يعنى فقط الجهاد في سبيل الله بالقتال بل يعنى الجهاد في
سبيل العلم وخدمة المجتمع • فالجهاد أعظم عبادة لقول الرسول
« مثل المجاهد في سبيل الله كمثلي الصائم القائم لا يفتر عن صلاة
ولا صيام حتى يرجع » • وطلب العلم جهاد لقول الرسول « الساعى
على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » • فالايمن لا يتناقض
مع العمل أو البحث أو العلم • فقد وضع الله طلب العلم في مستوى
الجهاد في سبيل الله وجعله قرينا للايمان بقوله « يرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » • ويقرن بالايمان الاصله ،
فالايمن هو اتجاه الله ، والاصله اتجاه نحو التراث الحضارى •
فأهم صفات هذا الشعب تمسكه بالايمان واعتزازه بالاصله والايمان
نقى خالص برىء من التعصب والمتنظير من الشوائب التى علق
بجوهره في عصور الاضمحلال البعيد بما ينسب اليه زورا من روح
التواكل التى لا تعرف المسئولية والتعلق بالخرافات ونفى دور ارادة
الانسان والمجتمع في أن يواجه أمور حياته المستمرة مستعينا بما
أودعه الله فيه من عقل ميزه به على سائر المخلوقات • ولكن شتان
ما بين الكلام المعسول والواقع المر ، فقد ازدادت الاضطرابات
الطائفية ، كما عمت الروح الاتكالية ، وسادت الخرافة أكثر فأكثر ،
وقلت نسبة التفكير العقلانى •

والايمن هو الامانة التى يحملها كل الناس نحو المخلوق ، فقد
أوصى الله في كل الاديان بالايمان ، اذ يحتاج الناس في أشد الاوقات

الى شحن نفوسهم بالايمان ، وعندما يرفض الشعب الهزيمة فانه
يعتمد على الايمان • الايمان اذن سلاح سرى رهيب • ونادرا ما يظهر
مضمون الايمان مثل الايمان بالهدف وبالارض • وغالبا ما يكون
ايماننا دينيا خالصا ، ايماننا بالله وبنصره وقوته وتأيينه ، الايمان
هى المسئولية التى ارادها الله أن يحملها للشعب والتى أشغقت منها
السموات والارض والجبال وحملها الانسان • لقد جاء محمد
بالايمان ، وهو أقوى سلاح ليجعل من الامة أمة الايمان • والايمان
يعطى القوة (١٨٦) •

أما الاصلة فانها لا تمنع من التجديد ، فقد كان للمجددين فى
تاريخ الامة شأن رفيع • وللامة حق فى التصرف فى أمور الدنيا •
وظروف العصر ليست بأقل من حق الاسلاف العظام الذين جددوا
وابتكروا وتعرفوا فى أمور دنياهم وظروف عصرهم • والتجديد لا
يعنى بالضرورة قطع الجذور عن التراث القومى والحضارى والروحى
للشعب ولا يعنى ذلك أية رغبة فى التمييز أو الاستعلاء واكن المناطق
ذات التراث الحضارى العميق ، طبقا لاستقراء التاريخ لا يمكن بحكم
الطبيعة أن تنطمس هويتها تحت أى ضغط • ان الانطلاق من هذه
الجذور يحمى التنوع فى الحضارات والشخصيات ويثرى العالم
بتعددده ويعنى بتجاربه • بل ان احياء التراث الايرانى القديم عودة
الى الاصلة فى حين أن هذه الاحياء يقوم على أساس عرقى قومى

(١٨٦) ورقة أكتوبر ص ٥٩ ، وأيضا فى المؤتمر العاشر للطلاب
بجامعة الاسكندرية ١٩٧٤/٤/٣ س ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ •

• ضد الشعور الاسلامى العام وضد العرب بوجه خاص (١٨٧) .

ثم يظهر ثلوث آخر يقترن فيه الصلابة بالايمان والاصالة ،
فيصبح الصلابة والاصالة والايمان • فرسالة محمد رسالة الصلابة
في الحق والتصدي للباطل • وابعاد الشخصية المصرية الاصلية
والصلابة والايمان • فالايمان لا حدود له ، ايمان بالله وبهذه الارض
وبك من عليها ، ايمان بكل القيم التى ارادها الله لصالح هذا الكون،
ايمان بالذات وبالنفس عبر آلاف السنين • وابن البلد أو ابن الشارع
هو الذى تتحقق فيه هذه الصفات الثلاث : الاصلية والصلابة
والايمان (١٨٨) •

(ب) العلم والايمان :

أصبح شعار العلم والايمان شعارا لدولة المؤسسات ابتداء من
مايو ١٩٧١ فتذكر ورقة أكتوبر التى تعتبر بديلا عن « الميثاق » شعار

(١٨٧) ورقة أكتوبر ص ٦٠ ، وايضا في المؤتمر العاشر للطلاب
بجامعة الاسكدرية ١٩٧٤/٤/٣ من ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ ، في الاحتفال
بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ من ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، في
استقبال شاه ايران ١٩٧٥/١/٨ من ٥ ص ١٩ .

(١٨٨) في الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٩٧١/٥/٦ من ١
ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، في الذكرى الثانية لوفاة الزعيم جمال عبد الناصر
١٩٧٢/٩/٢٨ من ٢ ص ٣٧٢ ، بمناسبة عيد الثورة ١٩٧٣/٧/٢٣ من ٣
ص ٢٤٤ ، الى الشعب المصرى والامة العربية في افتتاح الدورة البرلمانية
الجديدة لمجلس الشعب ٧٥/١٠/١٨ من ٥ ص ١٨ — ١٩ ، خطاب في
مؤتمر البحوث الاسلامية ٧١/٤/٤ من ١ ص ٢١١ — ٢١٣ ، في عيد العمال
٧١/٥/١ من ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، في الاحتفال بذكرى المولد النبوى
الشريف ٧١/٥/٦ من ٧١/٥/٦ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، في وفد المحامين ٧١/٥/١٤ من
١ ص ٢٩٩ .

« العلم والايمن » وضرورة تحقيقه ، وانه شرط التقدم الحضارى ، وانه احدى مهام المرحلة الحالية • ان بناء الدولة الاسلامية لابد وأن يقوم على أساس من الدولة العلمية التى لا تتخلى عن الايمان ولكن لابد أن تأخذ بكل أسباب العلم وقد نصح الرسول بهذا • وأقره الدين • وبناء الدولة الجديدة لابد وأن يقوم على هذين المبدأين المتلازمين : العلم والايمن • العلم والايمن طريق ثالث مع البناء العسكرى كطريق أول والعمل السياسى العربى والخارجى كطريق ثانى لبناء المستقبل • اذ لابد من بناء الدولة على العلم والايمن • بناء مصر العربية العظمى بالعلم والايمن • العلم وحده من غير الايمان قد يقى شر الغزو المادى ولكن دون النفوس • والايمن وحده لا يكفى بل العلم والايمن شرطان أساسيان لاجتياز المحنة التى تمر بها الامة الاسلامية التى لم تفرق فى تاريخها بين العلم والايمن • فقد تفوقت فى الرياضة والفلك وعلوم الدين ، ونقل الغرب هذه العلوم عنها • العلم والايمن متلازمان فى الرسالة والعقيدة ، ولا بد من العودة الى ما كانت عليه الامة من علم وايمان ، وبناء دولة العلم والايمن وبناء المجتمع الاسلامى الجديد على أساس العلم والايمن • الايمان اخوة ومحبة ويقين ، ومستقبل المجتمع الاسلامى هو الايمان الكامل برسالات السماء التى تفيض سماحة وصلابة وقوه وأصالة • وردا على سؤال عن تصور الدولة المصرية الحديثة ، أجاب الرئيس بأنها دولة العلم والايمن • العلم يعنى تكنولوجيا العصر والايمن أى عدم تحول الشباب الى هيبيز مثل المجتمع الأمريكى فيكونوا مثلهم ويفقدون الهدف لان الدولة أمامها بناء وعمل وجهد كبير • والعلم هو القدوة فى العلم والايمن وفى العطاء الوطنى • يقوم التقدم الحضارى على العلم والايمن • يعنى شعار العلم والايمن ، وهو شعار النظام

بعد ١٩٧٠ ان العلم هو السلاح الذى لا يستطيع أحد بغيره أن يدخل
الحزر وأن يبني مجتمع الاخاء والعدل ، ويعنى الايمان أنه مصدر
الطاقة الهائلة التى يمتلكها هذا الشعب الاصيل كما أنه مصدر الهداية
له على طريقه الملىء بالصعاب والتحديات • وهو الايمان بالله وكتبه
ورسله ، الايمان الذى يقيم الحق والعدل ، الايمان الذى يرفع
ألوية الحب والاطمئنان لا ألوية الحقد والتزمت والبغضاء • من الواجب
اذن تربية الاجيال الشابة على الايمان وعلى قيمته الحقيقية والحذر من
استغلال هذا الايمان أو الانحراف به الذى يدمر جوهره، ويطمس نوره،
ويشوه جماله وجلاله • هذه المحاولة الصبغانية ، محاولة الاستيلاء
على الكلية الفنية العسكرية مثل لما يمكن أن تنتهى اليه عمليات الانحراف
عن جوهر الدين وعلاقته بالحياة • وهذه هى المسئولية الملقاة على
رجال الدين وأجهزة التربية والاعلام الدينى ووسائل التفتيش العام
وحى تباشر دورها فى تعريف الاجيال بدينها وازاءة حياتها بقيمه
الانسانية الرفيعة • ولا بد من بناء الانسان الجديد فى اطار الاصله
الصحية وعلى أساس من العلم والايمان • ولا بد من بناء المجتمع
العربى المتقدم بالعلم والايمان • بل ان الشعار يتحول الى أسلوب
للتهنئة • ففى ذكرى المولد النبوى الشريف يقول الرئيس كل عام
وأنتم فى أسمى درجات من العلم والايمان! (١٨٩) •

(١٨٩) ورقة أكتوبر ص ٦٢ ، ص ٦٤ ، خطاب امام مجلس الشعب
٧١/٥/٢٠ س ١ ص ٣٣٥ فى افتتاح الدورة الاولى للمؤتمر القومى الثانى
للاتحاد الاشتراكى العربى ٧١/٧/٢٣ س ١ ص ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١٦ ،
٤٤٣ ، فى جامعة الاسكندرية ٧٢/٧/٢٧ س ٢ ص ٣٣٧ — ٣٣٨ ، فى
اللقاء بوفد المؤتمر الاسلامى المنعقد بالقاهرة ٧٢/٩/١٤ س ٢ ص ٣٥٩ —
٣٦٢ ، فى عيد العلم ٧٣/١٠/١ س ٣ ص ٣٢٨ ، الى المبعوثين الحرب
٧٤/٤/٢٦ س ٤ ص ١٩٠ ، الى رئيس تحرير جريدة الحوادث اللبنانية

وتقوم التنمية العقلية على أساس العلم والايمان • فالوطن يحتاج الى أصالة والى كل القدرات على الفكر والعمل المدمج بالايمان واليقين • الهدوء فى أعماق النفس يعطيه الايمان وحده واليقين يعطيه العلم • ويطلب بتحقيق الشعاع من عل ، كتوجيه من السلطة التى تتطلب بالعلم والايمان • فقد أعلن النظام منذ بدايته بأن الدولة دولة العلم والايمان • وقد أصبح ذلك أيضا شعار الاشتراكية الديمقراطية • ويبدو أن شعار العلم والايمان يتركز على طرف الايمان أكثر مما يتركز على طرف العلم • اذ كثيرا ما يذكر الشعار ثم يركز الشرح على الايمان • فالايمان شرط العلم • وان أحدث ما فى العلم من تكنولوجيا ولكن بدون الايمان لن يفيد شيئا • وفى نفس الوقت وعلى نقىض شعار العلم والايمان نادرا ما تنتم الاشارة الى المضمون المادى للايمان مثل القوة والاستعداد والسلاح • والقوة تدل على ان الشهادة لا تكفى بل لابد من أحدث أنواع السلاح • والايمان بالله دائما ونادرا ما يكون بالارض والتراث والتاريخ (١٩٠) •

٧٤/٤/٢٥ س ٤ ص ٢٤٦ ، حديث مع الصحفية اليوغوسلافية العالمية واريبا نكوفيتش ٧٣/٥/٢٧ س ٣ ص ١٨٢ ، فى السويس ١٩٧٤/١٠/٢٤ س ٤ ص ٧٠٤ — ٧٠٥ ، الى الندوة الافريقية والآسيوية ١٩٧٥/٣/٨ ص ٩٦ ، المؤتمر الاسلامى فى لاجوس ١٩٧٥/٣/٢٣ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(١٩٠) فى الاجتماع الدولى فى القاهرة فى ذكرى باندونج ٧٥/٣/١٣ س ٥ ص ١٩١ ، فى الاتحاد الاشتراكى العربى مارس ١٩٧٦ ص ٦٨ ، فى عيد العمال ١٩٧٥/٥/١ س ٥ ص ٢٤٣ ، بيان الى الامة ١٩٧٥/٤/١٤ س ٥ ، لقاء مع القيادات الدينية ١٩٧٧/٢/٨ ص ١٣ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٧٧/٩/٢٨ الى الشعب العربى والامة العربية فى

كما يقترب الايمان بالمعجزات • فقد ظهرت المعجزات التي يعطيها الله للشعب المؤمن • لقد أرسل الله علامات في السنوات الثلاث الماضية • بارك في المحاصيل كما لم يحدث منذ ثلاثين سنة • وبدأ البترول يتفجر وهي كلها علامات تشير الى أن الله مع الشعب ! وردا على سؤال خاص بوقوف جيل الشباب عند رؤية جديدة وهل كان مخاض الرؤية الالم العظيم بعد ١٩٦٧ أم الايمان بعد ١٠ رمضان أجاب الرئيس : كلاهما • فبدون الايمان ما كان بالامكان ما تم انجازه • فالايهان فعل السحر ونداء المعركة الله أكبر فعلت السحر في ٦ أكتوبر • ويعطى لحرب أكتوبر الاسم الهجرى العاشر من رمضان للتأكيد على الحرب الدينية ، وتكثر المعجزات بعد حرب أكتوبر فيعبر الرسول مع الجنود فى القناة والعبور نفسه معجزة (١٩١) •

وقد تم استعمال الدين ضد المعارضة الدستورية أو الاجتماعية أو السياسية أو الدينية حتى يتم تفرغ الدين من مضمونه وابقائه مجرد صورة أو عاطفة • فتظهر مقولة « المقدس » التى تتحول الى « تابو » فى عقول الناس • فالقضاء حرم مقدس • وفى نفس الوقت

افتتاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ١٨/١٠/٧٥ س ٥ ص ١٨ — ١٩ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى جامعة المنوفية ص ١٠٠ ، لقاء مع القيادات الدينية ١٩٧٧/٢/٨ ص ١٣ ، فى عيد العمال ١٩٧١/٥/١ س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ •

(١٩١) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ٧١/٥/٦ س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، الى مدير جريدة عكاظ السعودية ١٩٧٤/٣/٦ ص ٥٨٠ — ٥٨١ •

يتم التدخل في القضاء من أجل القضاء على استقلاله (١٩٢) .

(ج) الدين ضد المعارضة :

ويستعمل موضوع الشورى بعد ١٩٧٠ لمهاجمة دكتاتورية الطبقة ومن أجل الدعوة الى الحب ، ولتشويه المعارضة السياسية . وبالرغم من أن ظهور الجماعات الدينية المتطرفة واستعمالها العنف سواء في حادث الكلية الفنية العسكرية أو في مقتل الشيخ الذهبي ظهور طبيعي في هذا الجو المشحون بالعاطفة الدينية ، وبالنداء الى العودة الى الايمان فان السلطة السياسية قد وقفت في وجهها لانها نازعتها السلطة وحاولت الانقلاب عليها . أو لانها شككت فيها وفي قدرتها على الاحتواء . وردا على سؤال عن سبب تعدد ظهور التنظيمات الدينية السرية وعن احتمال وجود محركين من الخارج أو تعاطف مع مسؤولين سابقين في الداخل أجاب الرئيس بأنه نشأت ظاهرة الهيبيز بعد الحرب العالمية الثانية ، ولكن بسبب عمق التددين ظهرت الموجة هنا في شكل الشعوذة الدينية وهو ليس التددين . بالاضافة الى وجود محركين من الخارج . فالذى قام بعملية الفنية العسكرية هو صالح سرية من الخارج . وينحو بعض الائمة هذا المنحى . وهذا يدفع بعض الشباب للمتطرف أحيانا . ولكنها أمور يمكن تداركها بفهم الدين الفهم الصحيح . فالتعصب الدينى رد فعل على التسبب الغربى مضافا اليه العميل الخارجى . وبالتالي فمرده الى الخارج مرتين ، مرة في نشأته ومرة في تنفيذه . لقد سيطر عملاء الالحاد والمادية على

(١٩٢) خطاب في لقائه مع رجال القضاء ١٢/١/١٩٧١ س ١ ص

أجهزة الاعلام فحدث رد فعل صادق ومخلص و متحمس الى العودة الى رحاب الدين في الجوامع ! كان ذلك أمرا طبيعيا كرد فعل مضاعف للسيطرة السابقة لدعوة المادية والالحاد . فأراد الاعداء استثمار هذه الظاهرة بل تحول فجأة دعاة المادية والالحاد الى متطرفين في الدعوة الى الايمان . ان أحداث ١٨ / ١٩ يناير وما وقع من جماعة دينية اتخذت من الدين سبيلا الى محاولة فرض نظام معين أو فرض آراء أو أفكار معينة على هذا الشعب والاعتداء على عالم جليل من علماء الاسلام ستقابل بمنتهى القمع والشدة . فالنظام يعارض الفكرة بالسيف ولا يعارض الرأي بالرأى . فدعاة المادية والالحاد الذين قاموا بحوادث ١٨ / ١٩ يناير وجماعة التكفير والهجرة يغذيان بعضهما البعض ، الثانية رد فعل على الاولى ، فاليمين المتعصب واليسار الملحد ينتقيان . لقد وضحت أحداث ١٨ / ١٩ يناير والاحداث الاخيرة التي أريد بها استغلال الدين لفرض رأى بالقوة على المجتمع ، ان أية محاولة من هذا النوع لا تعود الا الى الاجرام ، فهو عمل غير مشروع تتصدى له المؤسسات والشعب بكل الحسم والعزم . كلاهما اعداء الحرية . فالارهاب الفكرى الماركسى والشعوذة الدينية كلاهما مرفوض من الشعب ورفض استغلال أحداث يناير الفوضوية ورفض كل من ادعى لنفسه حق تكفير الناس وتوسل الى ذلك بالقتل والنعى والاجرام . ان أبواب التعبير مفتوحة ولكن القتل والارهاب مرفوض . ليس الدين تعصبا وحقدا واستغلالا من أجل الاغتيالات وحكم الارهاب . وكان الموضوع القديم في صراع الثورة مع الاخوان في أول الثورة في ١٩٥٤ قد عاد من جديد هذه المرة في نهايتها مع الجناح الدينى في الاخوان . فقد كان شكري مصدقيا عضوا في جماعة الاخوان ثم فصل منها . وقامت الاشتراكية الديمقراطية

على لسان جامعة طنطا بالتنظير لذلك أيضا بأن التراث الدينى هو العنصر الثابت الحضارى اللازم • ثم جاءت الايديولوجيات الاجنبية برمتها فى هذه البيئة ولن يكتب لها النجاح ، وزادت فى ظاهرة الانفصام ، وفتحت أبواب التعصب الدينى الذى نشهده فى الشباب والذى يذكرنا بفرقة الخوارج المسلمين (٩١٣) •

وقد انتشرت بعد ١٩٧٠ حى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية وكثرت المباريات فيها سواء بين الاتجاهات الدينية والاحزاب السياسية فى الداخل أو بين مصر والانظمة العربية الاخرى فى الخارج • ويهاجم النظام الليبى النظام فى مصر لان ليبيا أخذت نشيد الله أكبر • ولم تأخذ مصر بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فى ليبيا لان مصر ضد الاسلام ولكن لان ليبيا أصدرت بعض قوانين الشريعة • ويدافع النظام فى مصر عن نفسه بأن الدستور المصرى ينص على أن الشريعة الاسلامية مصدر أساسى للتشريع وأنه ليس هناك خلاف على مبدأ الاخذ بالشريعة الاسلامية ولكن القضية عبر أربعة عشر قرنا من تاريخ الاسلام كانت هى اجتهادات المفسرين للشريعة فى كل عصر ، وكان من علامات عصور الاضمحلال رضوخ هذه التفسيرات لمفاهيم أصحاب السلطة السياسية •

(١٩٣) فى الذكر الثانية لوفاة الزعيم جمال عبد الناصر ١٩٧٢/٩/٢٨
س ٢ ص ٣٧٩ ، حديث لجريدة الانوار اللبنانية ٧٥/٦/٢٢ ص ٥ ص ٢٥٥ ،
بمناسبة الذكر السابعة لوفاة ناصر ١٩٧٧/٩/٢٨ ص ١١ — ١٥ ، الى
مجلس الشعب ١٩٧٧/١٢/٩ ص ١٤ ، بمناسبة العيد الفضى للثورة
١٩٧٧/٧/٢٣ ص ٣٣ ، بمناسبة الذكرى السابعة لوفاة ناصر ٧٧/٩/٢٨
ص ١١ — ١٥ ، المجلس الاعلى للجامعات : الاشتراكية الديمقراطية ، رأى
جامعة طنطا ص ١٠٢ •

وفي أغلب الاحيان بعد ١٩٧٠ تبدأ الخطب السياسية بعبارة « باسم الله » أو « بسم الله الرحمن الرحيم » أو « بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين وصاحب الذكر الامين » (١٩٤) في المناسبات الدينية . وغالبا ما تنتهي الخطابة السياسية بعد ١٩٧٠ بآيات قرآنية مميزة على رأسها « ربنا لا تزغ قلوبنا اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » . وهي تشير من الناحية النفسية الى قلق وعدم اطمئنان ونقص في الثقة في المواقف السياسية ، ثم تغطية ذلك بطلب الهداية والرحمة ، أمام النفس وأمام الآخرين ، وايحاء للناس بأن هناك طريق الصواب وهو طريق السلطة ، وطريق للخطأ وهي طرق المعارضة ، وان طريق الحكومة بتوفيق وهداية من الله . ثم تتلوها آية « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، أنت مولانا ، فانصرنا على الكافرين » (١٩٥) .

(١٩٤) في الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف ١٩٧٢/٤/٢٥ من ص ١٧٣ ١٧٦ .

(١٩٥) ذكرت في عشرة خطب سياسية : بيان في الجلسة الافتتاحية لمجلس الأمة ٧٠/١١/١٩ من ص ١ ص ٦٢ ، خطاب الى مجلس الشعب ٧١/٥/٢٠ من ص ١ ص ٣١٣ (في اول الخطاب) ، في لقائه بأعضاء لجنة المائة المكلفة بالاشراف على انتخابات الاتحاد الاشتراكي ٧١/٦/٢ من ص ١ ص ٥٠١ ، في المؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي ٧٢/٧/٢٣ من ص ٢ ص ٣٢٨ ، في تكريم أبطال حرب أكتوبر ٧٤/٢/١٩ من ص ٤ ص ٢٩ ، في الذكرى ٢٢ لثورة ٢٣ يوليو ٧٤/٧/٢٣ ، في افتتاح دورة الانعقاد الاولى للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٧٥/٧/٢٢ ، في عيد العمال ٧٦/٥/١ ، بمناسبة اعادة انتخاب رئيس الجمهورية ٧٦/٥/١٩ ، أمام مجلس الشعب ٧٧/١١/١٦ من ص ٣٤ .

حوالى سبع مرات وهى تدل أيضا على نفس الموقف النفسى الذى يعبر
عن وضع سياسى قلق ، خاطيء ، ولكن الله يغفر الخطأ ، والخطأ ليس
اثما بل نسيان ، والخطأ يعنى العمل فوق الطاقة ، كما يعنى خطأ
السابقين وليس الملاحقين ، كما لا يتطلب حسابا من الناس بل مغفرة
من الله (١٩٦) .

خاتمة :

ويمكن القول أن استخدام ناصر للدين فى المعارك السياسية
خضع لقانون الفعل ورد الفعل • ففى المرحلة من ١٩٥٢ — ١٩٥٤ برزت
القيم الثورية كمضمون للدين مثل التحرر ، الثورة ، القضاء على
الاستعمار ، التضحية ، الجهاد ، العمل ••• الخ • ولكن فى المرحلة
التالية ١٩٥٤ — ١٩٥٦ ظهرت قيم أخرى للرد على الثورة المضادة
مثل الحب ، التسامح ، التعاون ، الالفة ، الرحمة ، الايمان • فالقيم
الثورية الاولى قيم ايجابية فى حين أن القيم الثانية للدفاع
عن الذات قيم سلبية • القيم الاولى هجومية والثانية دفاعية ،
الاولى تقدمية والثانية تراجعية • ثم ظهرت القيم الثورية من جديد
فى ١٩٥٨ بقيام الوحدة بين مصر وسوريا • وأعيد تاريخ العرب

(١٩٦) بيان أمام مجلس الأمة ٧/١٠/٧٠ س ١ ص ١٢ ، بيان أمام
مجلس الأمة ص ١٦٩ ، حديث فى الاجتماع المشترك للجنة المركزية ومجلس
الشعب ٧٥/٩/٤ ، الى الشعب العربى والأمة العربية فى افتتاح الدورة
البرلمانية الجديدة لمجلس الشعب ٧٥/١٠/١٨ ، فى الذكرى السابعة لناصر
٧٧/٩/٢٨ ، لعمال النقل البحرى يوليو ١٩٧٧ ص ٢٢ ، خطاب فى مجلس
الشعب ١٩٧٨/١/٢١ ص ٤٩ .

الماضى الى الازهان ووحدهم في مواجهة الصليبيين والتتار • ولكن في ١٩٦١ بعد الانفصال بدأ الهجوم على الاتحاد السورى ، والدفاع عن قيم الدين والايمان والدفاع عن الوحدة الوطنية ضد مخاطر النعرة الطائفية • ثم صدرت قوانين يوليو الاشتراكية في ١٩٦١ • وبرزت قيم ثورية جديدة عن العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص • ولكن في ١٩٦٥ عندما بدأت الرجعية العربية بتطويق النظام الاشتراكي في مصر بالهلف الاسلامى ظهرت قيم للدفاع هجوما على الهلف وألعيب الاستعمار • وبعد هزيمة ١٩٦٧ ظهر رد الفعل السلبي في العودة الى الايمان حتى الآن ، وأصبح الدين سلاحا مشهرا ضد الناصريين والماركسيين بوجه خاص وضد كل المعارضة السياسية بوجه عام • كان استخدام الدين تابعا لمعارك النظام السياسية ولم يكن بادئا بأية معركة •

ويمكن ملاحظة أمرين : الاول المعارك السياسية التي لم يكن الدين طرفا فيها ، والثانى كيفية استخدام الدين في المعارك السياسييه •

(أ) الدين والمعركة ضد اسرائيل :

لم تستعمل القيادة السياسية الدين في المعركة ضد اسرائيل ، وهى معركة العرب الاولى • وذلك لان اسرائيل لم تكن تمثل تهديدا مباشرا للنظام المصرى كما يفعل الاخوان المسلمون أو الرجعية السعودية اليمينية أو الرجعية السورية بعد الانفصال • كان الدين إذن يستخدم للدفاع عن الذات ولمواجهة أعداء النظام • توجد بعض اشارات عابرة رسمية عن تهديد اسرائيل لشعوب أخرى تقع بين النيل

والفرات حيث تدعى ملكها الموعود ولكن كإشارة عابرة لا أثر لها (١٩٧) *
وقد يرجع السبب في ذلك الى أن إسرائيل ليست مسألة دينية بل
تأخذ الدين كوسيلة لتبرير وضع سياسى * ولكن كان يمكن ، والحال
كذلك ، استخدام الاسلام أيضا بنفس المنهج كوسيلة للدفاع عن
شعب فلسطين * وقد يكون السبب في المحافل العالمية وكره العرب
اللجوء الى الجهاد الدينى حتى لا يوصفوا بالتعصب * ولكن إسرائيل
في حقيقة الامر لا ترى حرجا في استخدام التوراة كأساس شرعى
لإقامة الدولة ولا تتحرج أن تذكر هذه الحجج أيضا في المحافل
الدولية * وقد يكون السبب ، وهو الأرجح ، عدم جدية النظم
العربية كلها بلا استثناء في محاربة إسرائيل تخوفا منها أو حرصا
على كراسى الحكم أو تخليا عن القضية كلها باعتبارها لا تمس مباشرة
كل نظام عربى *

وفي مناقشات الرئيس مع أعضاء المؤتمر القومى طالب محمد
أنور عبد اللطيف وكيل وزارة الخزانة في محافظة الاسكندرية اعتبار
المعركة بين العرب وإسرائيل معركة دينية وذلك لأنها كذلك بالفعل
عند الشعوب العربية الاسلامية * وبذلك يكون الدافع الرئيسى
لدخولها ضد الصهيونية هو القتال في سبيل الله وليس فقط تحرير
الارض خاصة وأن العدو المعتصب يعتبرها معركة دينية ، ويعبىء
لها جميع اليهود في مختلف أنحاء العالم بكامل قدراتهم وامكانياتهم *

(١٩٧) خطاب في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر نصره الشعوب العربية
بالقاهرة ١٩٦٩/١/٢٥ ج ٧ ص ٤٠ ، انظر أيضا فلسطين الامانة الغالية
النشرة التوجيهية (٨) الأزهر مجمع البحوث الاسلامية الادارة العامة للوعظ
والارشاد ، المكتب الفنى ، ١٩٦٩ .

وهم يعتبرون معركة يونيو ١٩٦٧ انتقاما لمعركة خيبر التي هزم فيها الرسول اليهود • ويرد الرئيس على ذلك بأنه كلام يدخل في التعبئة العسكرية وخارج عن الموضوع أى أن سلاح الدين لا يتعدى تقوية الروح المعنوية دون أن يكون سلاحا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا • ومكانه ليس السياسة بل ادارة التوجيه المعنوى بالقوات الحربية • وعندما يريد العضو استئناف حديثه لعدم اقتناعه بوجهة نظر الرئيس يقاطعه الرئيس ولكن يستمر العضو فى تذكره بالقرآن « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم » • ويقترح أن يأخذ المؤتمر العام بتوصية مؤتمر الاسكندرية ومحافظة أسيوط واطافة موضوع الدبابة الدينية الى جدول الاعمال الذى سيتناوله المؤتمر بالمناقشة ، « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » • ولم يتحدث دعاة الدين ورجاله ووعاظه الذين فى خدمة الرئيس مثل أحمد موسى سالم ولكن د • محمود جامع استئناف نفس الموضوع وقال ان اسرائيل حركة دينية صهيونية وجميع مؤلفات اليهود مثل حايم وايزمان « التجربة والخطأ » الذى ألف سنة ١٩٢٨ تدل على أن اسرائيل تسير بمخطط زمنى علمى لاذلال العرب والمسلمين ، وتطالب بكل الاراضى العربية ومن ضمنها خيبر • فالمسألة لا بد من أخذها بجديّة • ولكن الرئيس لا يريد أيضا • ويذكر كمال محمد شتا بأن التعبئة العسكرية أيام الرسول كان الجيش مع الشعب ، وكان الشعب مع الجيش ، ونقطة انطلاق بقول القرآن فيها « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » • وان الجيش الذى لا يؤمن بالله لا يمكنه أن ينتصر لان النصر من عند الله • وبالتانى فلا بد من بناء الجيش على القيم الروحية وعلى الدين حتى يأتى النصر وليس على ما ترجع له الصحافة والتلفزيون • ولكن الرئيس أيضا لا يريد باعتبار أن ذلك خطابة سياسية • ويطالب الطالب أحمد محمود ابراهيم جاد بمعسكرات تربية دينية وخالقية للشباب

ولكن الرئيس أيضا لا يرد (١٩٨) • وردا على سؤال عن احتمال قبول إسرائيل عودة أعداد كبيرة من العرب الى أراضيهم وهى الدولة التى أنشأت نفسها أساسا على أنها دولة يهودية يسودها اليهود يجيب الرئيس بأن ذلك ممكن • فقد عاش اليهود والعرب مسيحيين ومسلمين منذ آلاف السنين • عاش اليهود فى مصر ومازالوا يعيشون وعلى الرغم من الدعاية فى الخارج ضد مصر فان اليهود يعيشون فى سلام • لقد طلب البعض منهم مغادرة البلاد فتمت الموافقة على طلبهم ولكنهم عادوا ورفضوا المغادرة وآثروا البقاء • لقد قبض على حوالى ٨٠ يهوديا بعد الحرب ثم افرج عنهم ولكن قبض أيضا على مسلمين ومسيحيين لدواعى الامن فى البلاد • واسرائيل تعتقل حاليا أكثر من سبعة آلاف عربى من الاراضى المحتلة وغزة • ان الجالية اليهودية فى مصر حوالى خمسة آلاف وتعيش كما كانت تعيش فى سلام منذ آلاف السنين • ويدل على ذلك أيضا جمع العرب واليهود معا تحت ظل الشعوب السامية وبالتالي فالتشابه بينهما أكثر من الخلاف • فاليهود ساميون مثل العرب ، وموسى مولود فى مصر ، فكيف يكون العرب معادون للسامية وهم ساميون • ينظر شعب مصر الى اليهود فى مصر على أنهم مصريون • كما يشعر اليهود فى الدول العربية أن الانسب لهم البقاء فى الدول العربية التى عاش آباؤهم وأجدادهم فيها آلاف السنين دون تفرقة على أن يهاجروا الى دول أخرى (١٩٩) •

(١٩٨) مناقشات دور الانعقاد الاول للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى ١٤ — ١٩٦٨/٩/١٨ ص ٥١٣ — ٥١٤ ، كلمات فى الجلسة الثانية للدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام ١٩٦٨/١٢/٢٣ ج ٦ ص ٥٢٤ — ٥٢٥ •

(١٩٩) حديث الى كليرفتون دانيال مدير تحرير نيويورك تايمز فى ١٩٦٩/٤/٢٩ ج ٧ ص ١١١ — ١١٢ ، حديث مع س . ل سولز برجر رئيس تحرير نيويورك تايمز ١٩٦٩/٢/٢٦ ج ٧ ص ٦٦ — ٦٧ •

ويظهر الاسلام في مواجهة اسرائيل ومن أجل نصره شعب فلسطين مرة واحدة في كلمة لاجتماع مجمع البحوث الاسلامية بالتاهرة في اجتماع لنصرة العروبة والاسلام والحق . فقد حث القرآن على التجمع والاتحاد وعلى التضامن في سبيل رد البغى والعدوان . وان هذا الاجتماع بمثابة خطوة من خطوات التضامن ، فالعدو ليس اسرائيل وحدها بل من وراء اسرائيل الذى يتمثل في الاستعمار العالمى . يقوم المسلمون بجهد أقل مما تقوم به اسرائيل بالنسبة الى جمع الاموال . وعلى الامة العربية والشعوب الاسلامية واجب كبير وهو تعبئة الراى العام فى البلاد الاسلامية وفى جميع أنحاء العالم ، وتعريف المسيحيين وتحذيرهم من الخطر اليهودى الصهيونى لان اسرائيل لم تفرق بين المسلم والمسيحى حينما احتلت أرض فلسطين ولكنها طردت المسلمين والمسيحيين . وهناك أكثر من مليون لاجئ فلسطينى بينهم المسلم والمسيحى . لابد من عمل المسلمين ، كل فى وطنه ، من أجل مناصرة القضية . ففى كل بلد لجنة يهودية أو لجنة صهيونية تعمل بكل الوسائل وتجمع الاموال . والمال القليل فى البداية يكون كثيرا فى النهاية . وبهذا يمكن مساعدة الشعب الفلسطينى ومواجهة اسرائيل والمساعدات التى تأخذها . وسيعز الله العروبة والاسلام ويمكن المسلمين من تخليص الاراضى المحتلة واسترداد حقوق شعب فلسطين . فالشعوب المسلمة شعوب مؤيدة للحرية ، لا فرق فى ذلك بين دين ودين . ويظهر الاسلام أحيانا متفرقة فى مواجهة اسرائيل ، فتحرير الارض واسترداد الحق حتمية مقدسة ، وجزء من الايمان الكلى ابتداء من الايمان بالكرامة والشرف وارتفاعا الى الايمان بالله وبمشيئته . وكما تذكر القدس ويذكر المسجد الاقصى أمام ضم اسرائيل للقدس ويندد بحرق المسجد الاقصى وتوقف حرب الاستنزاف فى العطلة الدينية يومين أو ثلاثة ولكن يظل الدين خارج

المواجهة الشاملة (٢٠٠) *

وفي اجتماع لمؤتمر البحوث الاسلامية أعلن قراراته ، وحث على مناهضة الصهيونية سستار الاستعمار الجديد ، وبين أن التخلف عن هذا الجهاد عصيان واثم كبير . وبعد ١٩٧٠ تستمر الدعوة في التعايش السلمى بين المسلمين والمسيحيين من ناحية واليهود من ناحية أخرى من مركز الضعف وليس من مركز القوة ومع الاعتراف باسرائيل كدولة صهيونية . فالتاريخ يشهد بأن اليهود قد عاشوا تحت سقف واحد مع الفلسطينيين من مسيحيين ومسلمين . ويظهر التاريخ مما لا يدع مجالاً للشك أن اليهود عاشوا قروناً طويلة في ظل الحكم العربى دون أى تفرقة أو تمييز سواء في الشرق الاوسط أو أفريقيا أو أوروبا . لقد شهدت مصر مسيرة المسيح ، واحترمت المبادئ التى كافح من أجلها . وستظل تستقبل بالترحاب هؤلاء الذين يتبعون تعاليمه ويقومون بما دعا اليه احلالاً للسلام في ربوع أرض المسيح (٢٠١) *

ويبرز موضوع القدس خاصة بعد حرق المسجد الاقصى ، فالقدس أولى القبلتين ليست ملكاً لفرد بل ملكاً للجميع . وتساوى القدس

(٢٠٠) خطاب في افتتاح دورة الانعقاد العادية لمجلس الامة ١١/٦ / ١٩٦٩ ج ٧ ص ١٩٩ ، ملخص لحديث الرئيس في الجلسة الخاصة للهيئة البرلمانية لمجلس الامة ١٩٧٠/٣/٢٤ ج ٧ ص ٣٢٦ ، حديث مع جيبس روستون رئيس تحرير نيويورك تايمز ١٩٧٠/٢/١٣ ج ٧ ص ٢٩٦ ، الاهرام في ١٩٦٤/٤/٦ .

(٢٠١) كلمة في أعضاء مؤتمر البحوث الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٠/٣/٥ ج ٧ ص ٣١٨ ، حفل العشاء الذى أقيم للرئيس بيكسون في قصر القبة ١٩٧٤/٦/١٢ ص ٤٠٨ ، الى مؤتمر كنائس الشرق الاوسط وإفريقيا ١٩٦٤/٦/١٩ ص ٤٢٩ — ٤٣٠ .

وقفه لله وللمستقبل ، وتساوى المقدسات والحرمات وغزة أيضا
وقفه لله وللمستقبل • ومن هذا المنطلق فان مجموعة من رجال الدين
الذين يمثلون عدة كنائس مسيحية قد حضرت المؤتمر الاسلامى فى
لاهور ، وأثبتت مما لا يدع مجالا للشك أن القدس قضية مسيحية
بنفس القدر الذى يقصد به قضية اسلامية ، فالكل مسلمين ومسيحيين
ملتزم أمام الله وأمام الاجيال القادمة بتحرير المدينة المقدسة من القوى
التي عبثت بدور العبادة ، وأهدرت كرامة الاخوة المسيحيين والمسلمين،
ومارست التفرقة العنصرية فى الارض التي عاش فيها المسيح معلما ،
وتفانى من أجل كرامة الانسان • ليس هناك عربى واحد مسلما كان
أم مسيخيا ، وليس هناك مسلم واحد فى كل العالم الاسلامى يمكن
أن يقبل سيادة اسرائيلية على القدس العربية • ان مهام الدول
الاسلامية هو الحفاظ على المقدسات الاسلامية وعلى هوية القدس •
ويقال ذلك لشاة ايران الذى له علاقات دبلوماسية مع اسرائيل ويمدها
بالبترول • وتبرز قضية القدس فى مبادرة السلام • فالقرب
الوطنى والقومى فى منزلة الوادى المقدس طوى الذى كلم الله فيه
موسى عليه السلام • وكانت القدس وستظل على الدوام التجسيد
الحى للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث ، مدينة حرة مفتوحة
لجميع المؤمنين • فبدلا من أحقاد الحروب الصليبية لابد أن تحيا
روح عمر بن الخطاب وصالح الدين ، روح التسامح واحترام الحقوق •
ان دور العبادة الاسلامية والمسيحية أماكن لاداء الفرائض والمشاعر
بل أنها تقوم شاهد صدق على وجودنا العربى الذى لم ينقطع لاهمية
القدس عند معشر المسلمين والمسيحيين • بل أن أداء صلاة العيد فى
المسجد الاقصى وزيارة كنيسة القيامة من شأنه أن يحقق أهداف مبادرة
السلام • فما من مسلم أو مسيحي ، وما من مسلم فى العالم العربى
الاسلامى الذى يضم ٧٠٠ مليون نسمة سيوافق على سيادة اسرائيل

على الجزء العربى من القدس • فالقدس مدينة مفتوحة ملتقى الاديان
الثلاث • ولن يكون هناك أحد فى العالم العربى أو الاسلامى يقبل
سيادة اسرائيل على الجزء العربى من القدس • لقد طالب المسيحيون
عندما سلمت القدس الى عمر بن الخطاب أن تبقى القدس عربية •
فعندما وصل عمر الى القدس سلمه البطريرك صفرونيوس مفاتيحها •
وهو تقليد متبع ، وطلب منه ألا يقيم أى يهودى فى المدينة • هذه
واقعة تاريخية تؤكد ضرورة السيادة العربية على الجزء العربى من
القدس • ثم بعد ذلك يمكن حدوث التقاء بين الجزء العربى والجزء
اليهودى فى القدس (٢٠٢) •

ويظهر موضوع السلام لأول مرة فى ١٩٦٩ بالتأكيد على أن
الحرب ليست للحرب كما هو مذكور فى القرآن « يأيها الذين آمنوا
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » •
فالعرب ليسوا طلاب حرب بل طلاب سلام قائم على العدل لان
السلام لا بد وأن يقوم على العدل • لا يريد العرب الا حقوقهم التى
كانت لهم دائماً على مر السنين • وهم يعملون من أجل السلام
ويجنحون له كما طلب الله ذلك فى القرآن • ولكن فى نفس الوقت
يستعدون للقتال لتحرير الاراضى وهى أيضا من الوصايا التى أوصى

(٢٠٢) فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف ١٥/٤/١٩٧٢ س ٢
ص ١٧٣ — ١٧٦ ، خطاب فى ٢٣/٧/١٩٧٢ س ٢ ص ٣٢٨ ، الى المؤتمر
الاسلامى بكوالالمبور ٢٣/٦/١٩٧٤ س ٤ ص ٤٣٣ — ٤٣٤ ، حديث الى
سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية س ٤ ص ١٠٦ ،
استقبال شاه ايران ٨/١/١٩٧٥ س ٥ ص ١٩ ، حديث للتلفزيون الامريكى
سى بى اس فى برنامج واجه الامة ٢٨/١١/١٩٧٧ •

الله بها في القرآن • تهدف المبادرة الى بناء السلام على الارض ،
على كل أرض الله • والدعوة للسلام ليست التماسا للامان خوف الهزيمة
بل أداء للرسالة القومية ولتعاليم الدين وكل الاديان • وقد تمت رحلة
السلام في يوم العيد الاسلامي الكبير عيد الاضحى المبارك والفداء
حين أسلم ابراهيم جد العرب واليهود وحين أمر الله وتوجه اليه
بكل جوارحه لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر
للتضحية بقلده بدافع من ايمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل
عليا تعطى مغزى عميقا • ولا يعنى الرئيس ابن ابراهيم هل هو
اسحق كما تقول التوراة أو اسماعيل كما يقول القرآن حتى يثحاشي
الخلاف الدينى وهو يمهد للوفاق السياسى ويقدم رسالة السلام من
شعب لا يعرف التعصب والذي يعيش أبناءه مسلمين ومسيحيين
ويهود بروح المودة والحب والتسامح • ويستشهد بآيات السلام في
العهد القديم مثل قول سليمان الحكيم « الغش في قلب الذين يفكرون
في الشر أما المبشرون بالسلام فلهم فرح » • ويقول داود في المزامير
« اليك يا رب أصرخ ، اسمع صوت تضرعى اذا استغثت بك ، وارفع
يدي الى محراب قدسك • لا تجذبني مع الاشرار ومع فعلة الاثم
المخاطبين أصحابهم بالسلام والشر في قلوبهم • أعطهم حسب فعلهم
وحسب شر أعمالهم • أطلب السلامة وأسعى وراءها » • وكذلك قول
زكريا « لقمة يابسة ومعها سلامة خير من مبيت مليء بالذبائح مع
الخصام » (٢٠٣) •

(٢٠٣) خطاب أمام مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٢٦ ص ٨ ، الى
مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ٤١ - ٥٩ ، خطاب الرئيس في الجلسة
الختامية للدورة الثانية للمؤتمر القومى ١٩٦٩/٣/٣٠ ج ٧ ص ١٠٤ ،
كلمة في أعضاء مؤتمر البحوث الاسلامية بالقاهرة ١٩٧٠/٣/٥ ج ٧ ص
٣١٨ •

وبالرغم من هجوم الانظمة العربية المعروفة باسم جبهة الرفض لمبادرة السلام فان الاسلام لم يستخدم من أى من الجانبين لتبرير موقفهما كما كان الحال في معركة الاسلام والاشتراكية . مع أن اتهام النظام العربى بالعمالة والخيانة والاستسلام والتصفية يحتاج الى دفاع بجميع أنواع الاسلحة المتاحة وعلى رأسها الدين . فلمواجهة الخصوم تستعمل نفس أسلحة الخصوم . ولما لم يستعمل الخصم سلاح الدين كما استعملته الرجعية العربية في الهجوم على النظام الاشتراكي في مصر فان النظام في مصر لم يستعمله أيضا . فالدفاع عن النظام باسم الدين لا يحدث الا بعد الهجوم على النظام باسم الدين . وليس في معركة الانظمة أولوية على الاطلاق . ومع ذلك هناك حالات قليلة يتم فيها الاستشهاد بآيات السلام وكره القتال مثل : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ، وابرار ايمان الاسلام برسالات السماء كلها « قل آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٢٠٤) .

ومنذ الستينيات ، وردا على سؤال عن معنى الامة العربية هل هو المشاركة في اللغة أم في الثقافة أم في التاريخ أم في الدين أم في الجنس وعن معنى العربى أجاب الرئيس بأن الامة العربية تكونت على مر عصور طويلة ولم تتكون فجأة وأن القومية العربية فكرة قبل الثورة . فقد كانت الامة العربية دولة واحدة في أزمان غابرة وتوحدت

(٢٠٤) في افتتاح الدورة الاستثنائية لمجلس الشعب ١٦/١٠/١٩٧٣،

في الكنيست ١٩٧٧/١١/٢٠ .

نتيجة لظروف كثيرة • يشعر كل أبناء الامة العربية بأنهم عرب من العراق الى المغرب • وهذا طبيعي فقد جمعتهم الحضارة والثقافة والامن والازمات • وهنا تتحدد القومية العربية باستثناء عامل الدين • ثم ردا على سؤال عن امكانية أن يكون المرء عربيا مسيحيا أو يهوديا وليس بالضرورة مسلما أجاب الرئيس بأن الاديان الثلاثة قامت في المنطقة العربية • فقد ولد موسى في مصر وعيسى في فلسطين ومحمد في الجزيرة العربية • وهو ما يؤكد الميثاق أيضا في عبارة « إن شعبنا ينتقد في رسالة الاديان • وهو يعيش في المنطقة التي هبطت عليها رسالات السماء » • وإم يوجد في يوم من الايام أى فرق بين العربي المسلم والعربي المسيحي والعربي اليهودي • فقد عاش المسلمون والمسيحيون واليهود جنبا الى جنب في هذه المنطقة من العالم قرونا طويلة دون أية خلافات حتى أتت الخلافات الاخيرة بين اليهود من جانب وبين المسلمين والمسيحيين من جانب آخر في فلسطين بسبب انشاء وطن قومي لاسرائيل • وردا على سؤال عما اذا كانت فلسطين أرضا عربية وما مصير اليهود الذين يسكنون في هذه المنطقة وقد أقاموا دولة عبرية أجاب الرئيس بأن فلسطين كانت دائما أرضا عربية منذ قرون عدة ، وكان يسكنها المسلمون والمسيحيون واليهود • ثم بدأت المشاكل بعد الحرب العالمية الاولى حينما ضم اليهود على اقامة وطن قومي لهم في فلسطين • وتأزمت المشكلة في ١٩٤٨ • بعد الحرب العالمية الاولى كانت نسبة اليهود ٨٪ زادت بعد الحرب العالمية الثانية الى حوالي ٣٠٪ • وعندما بدأت الحرب سنة ١٩٤٨ بعد التقسيم وبعد أن حاولت اسرائيل أن تستولى على الدولة الفلسطينية طرد العرب سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين من أرضهم • والمطلوب الآن تطبيق اتفاقية اوسلاند وعودة العرب الى بلادهم حتى يعيشوا جنبا الى جنب مع اليهود وأن يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود كما كانوا

في الماضي • وقد قال الزعماء الفلسطينيون انهم على استعداد لان يعيشوا في فلسطين مع الاسرائيليين كما هم اليوم أى أن يعيش المسلمون والمسيحيون مع اليهود ولكن الاسرائيليين يصرون على التخلص من الفلسطينيين وعلى أن يقيموا دولتهم على أساس اليهودية ، وينظرون إلى اليهودية لا كعقيدة فحسب بل كقومية • ولو حدث أن أقام المسلمون دولة على الاسلام والمسيحيون دولة على المسيحية واليهود دولة على اليهودية فسوف تنشأ في كل مكان أعمال تنم عن التعصب (٢٠٥) • فالملاحظ أن تناول الدين واسرائيل لم ينشأ الا بقاء على حديث وسؤال من الآخر ولم يكن أساسيا من وضع الذهن •

وبالرغم من عدم استناد القومية العربية في الثورة الى الدين صراحة الا أن المنظرين رغبة في المزايدة ، تحدثوا عن الاصل الديني لمفهوم الوحدة العربية خاصة في فترة الاصلاح الديني وبوجه أخس عند الكواكبي وابتداء الانتقال عن الامبراطورية العثمانية • ويصبح الدين مباشرة أو من خلال اللغة العربية عاملا من عوامل الوحدة الوجودية في القومية العربية • فالاسلام ركن في القومية العربية ، وله دور حضارى • بل ان الاسلام هو خالق الامة العربية (٢٠٦) •

(٢٠٥) حديث الى منسيو تسوفيل المعلق السياسى للتلفزيون الفرنسى ٢٩/٤/٦٩ ج ٧ ص ١٢١ — ١٢٢ ، مشروع الميثاق ص ٨٨ ، حديث الى وليم توهى ورولاندى ايفانز مدير تحرير لوس انجلوس تايمز لشئون الشرق الاوسط ٣/٢/١٩٧٠ ج ٧ ص ٢٩٥ ، استبعاد محاولة تأسيس الوحدة على الدين الاسلامى ، انظر د. يحيى هويدى الفلسفة والميثاق ص ٨٠ — ٨١ •

(٢٠٦) د. صوفى ابوطالب : دراسات في القومية العربية ج ١ الدولة القومية ص ٦ ج ٢ أسس القومية العربية ص ٣٧ — ٥٣ ج ٢ الحركة القومية العربية ص ٧ — ١٥ •

ولم يستخدم ناصر الدين من أجل معركة ١٩٥٦ • وخطابه المشهور في الازهر « سنقاتل ••• سنقاتل » لم يشر الى الدين في شيء مما يدل على أن المعارك الوطنية الواضحة لم تكن بحاجة الى أدلة وبراهين ولم يكن فيها هجوم من الخصوم أو دفاع من الانصار • وهذا يدل على أن الدين لم يكن عاملا مقصودا للتنمية بل كانت تفرضه الظروف والاطواع السياسية •

ولم يستخدم الدين في المعارك الداخلية من أجل تزويد الفوارق بين الطبقات • وقد كانت هناك فئات معارضة للإصلاح الزراعي وللتأميم ولقرارات يوليو الاشتراكية والتي من أجلها تم تشكيل لجنة تصفية الاقطاع • ولو كان ناصر يريد استخدام الدين كوسيلة لتثبيت دعائم النظام الاشتراكي لفعل ذلك وهو بصدد البناء الاشتراكي داخل مصر • ولكنه استعمله فقط ردا على هجوم الانظمة الرجعية العربية من الخارج على نظامه • وبالتالي يصبح الموضوع استخدام الدين دفاعا عن النظام السياسي وليس استخدام الدين من أجل البناء الاشتراكي الداخلي للبلاد • ويتضح ذلك في سؤال الشيخ عاشور المشهور عن شد الحزام على البطون ، ولماذا يتم الشد على الشعب الفقير دون القادة الاشتراكيين المترفين ؟ ويتجاهل الرئيس السؤال ويرد على السؤال الثاني عن الاثارة الجنسية والمينى جيب والتربية الدينية • بل ان السؤال الاول يحذف كلية من الجلسة الثانية الطارئة للمؤتمر القومي العام (٢٠٧) •

وفي السبعينات لم يستعمل الاسلام لخدمة سياسة الانفتاح الاقتصادي وذلك لعدم الحاجة اليه ، وذلك أن الانفتاح يعبر عن رغبة الطبقات الحاكمة في الاثراء السريع ورغبة الطبقات الشعبية في الغذاء . هذا بالاضافة الى أنه لم تنشأ مقاومة لسياسة الانفتاح في الداخل أو في الخارج تستعمل سلاح الدين للهجوم عليه حتى يمكن استعمال نفس السلاح في الرد .

كما لم يدخل الاسلام كعامل رابط بين شعوب آسيا وأفريقيا ، وكدافع للحركة الاسيوية الافريقية . لم يذكر الاسلام الا مع باكستان ، ولم يذكر مع الهند أو أندونيسيا أو ماليزيا (٢٠٨) . كما لم يدخل الاسلام في السياسة الخارجية الرسمية المعلنة مثل سياسة عدم الانحياز وسياسة الجياد الايجابي مع أنه يمكن فعل ذلك بسهولة لما عرف عن الاسلام من أنه « لا شرقية ولا غربية » لو شاعت القيادة السياسية وأعطت اشارة البدء لرجال الدين ومنظريها السياسيين .

(ب) الدين ومعارك التنمية :

لم يستخدم الدين كعامل للتنمية بل استخدم كوسيلة للدفاع عن النظام الاجتماعي وتغييراته الثورية ضد الهجوم عليه بنفس السلاح من النظم الرجعية المجاورة . فهو سلاح مفروض على القيادة السياسية ، للدفاع عن تغير حدث بالفعل ولتجريد المعسكر المعارض من أمضى سلاح معه وهو سلاح الدين أمام الجماهير ، واعادة تصويبه اليه . وبالتالي فان حجة استخدام الرجعية لسلاح الدين

حجة واهية لان ناصر يستخدم الدين في مقابل ذلك لخدمة التقدم • فالوسيلة واحدة وهو الدين • والغاية مختلفة ، التقدم ضد الرجعية ، وكان الموضوع أصبح مشكلة تفسير وتأويل للنظام الاجتماعى ومصطلحته • لم يكن الدين عاملا من عوامل التنمية بمعنى أنه لم يكن البادىء بالتغير الاجتماعى • كانت الثورة هى البادئة ثم يأتى الدين كمبرر لقرارات الثورة وكسلاح فى معاركها اذا ما بدأ الهجوم عليها • كان الدين مثله مثل الفن والفكر والثقافة وكل نشاطات الذهن الانسانى فى تاريخ الثورة المصرية • يستعمل الدين كسلاح للدفاع حسب الظروف بصرف النظر عن التناقضات فى المواقف • فسلح الاخاد الذى تشهره الرجعية العربية فى وجه النظام الاثىراكى الثورى فى مصر هو نفس السلاح الذى تشهره مصر فى وجه النظام البعثى فى سوريا بعد الانفصال وتحول سوريا ابتداء من ١٩٦٤ الى نظام أكثر جذرية ، وتأكيد الثورة المصرية على قيم الايمان •

وفى نفس الوقت الذى تتقد فيه الثورة المصرية استخدام الدين لاغراض سياسية كما تفعل الرجعية العربية تقوم الثورة المصرية أيضا باستخدام الدين لاغراض سياسية اما للدفاع عن نفسها ضد الرجعية العربية أو البعثية السورية • ففى الستينات تستعمل الثورة المصرية القومية العربية من أجل تحقيق الوحدة العربية وتفسر الحروب الصليبية على أنها حرب ضد القومية العربية دون استخدام الاسلام، فى حين أنها فى حرب اليمن تستخدم الاسلام من أجل التأكيد على الوحدة بين الشعبين • فمع سوريا تظهر العلمانية ومع اليمن يظهر الاتجاه الاسلامى • وفى السبعينات تهاجم القيادة السياسية جماعة الكثير والهجرة وأنها نصبت نفسها حكما على ايمان الناس ثم تقوم هو نفسها بذلك فى اتهام المعارضة بالاحاد والشيعية والحكم عليها

بانكار رسالات السماء * وبالرغم من رفض الدخول في قلوب الناس والتفتيش في الضمائر والهجوم على التكفير والهجرة والاستشهاد بآية « لا اكراه في الدين » الا أن ما يفعله النظام بالهجوم على الخصوم السياسيين واتهامهم بالالحاد وقوع في تناقض (٢٠٩) *

وفي السبعينات أيضا يصل الامر بالسلطة السياسية الى حد النفاق وذلك بنفيها استخدام الدين لاغراض سياسية وهي لا تفعل الا هذا ضد خصومها السياسيين * بل أن السلطة ترى أن من علامات عصور الاضمحلال رضوخ التفسيرات الدينية لفاهيم أصحاب السلطة السياسية لان السلطة في نفس الوقت تأخذ الدين كعامل في الخداع الاستراتيجي * فقد كانت تعطى السلطة للصحف أمرا لكي تنشر في أجزاء متفرقة من الصحف ، آيات قرآنية أو شيئا انفعاليا لتحميم الناس * أعطت السلطة للصحف أمرا باخراج آيات القتال كلها من القرآن من أجل تسخين الجبهة * ولما كان كل طرف يستخدم الدين لصالح نظامه السياسي والاجتماعي فان صراع التغيير هو في حقيقة الامر صراع اجتماعي سياسي * ولا يحسم الصراع صحة تفسير عن غيره بل حجم قوة كل طرف من الاطراف المتصارعة * فاختلاف وجهات النظر بين التفسيرات هو في الحقيقة صراع الانظمة السياسية المختلفة أو للقوى الاجتماعية داخل النظام الواحد في صورة بناء فوقى وهو الدين * وبالرغم من الخطابة السياسية التي تستعمل الدين وفقا للظروف فانه يتم الاستشهاد بآية « وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض » * وبالتالي لم تتجاوز الخطابة ، ولم

(٢٠٩) الى المؤتمر الاسلامي في الهند ١٩/٤/١٩٧٥ *

تحدث أى أثر • وبالرغم من معرفة بتر النصوص ولويها كما هو الحال في « ولا تقربوا الصلاة » الا أنه تم انتقاء الآيات التي تؤيد الموقف السياسى وترك غيرها (٢١٠) •

وبصرف النظر عن تطبيق أية نظرية في علم الاجتماع الدينى لمعرفة الصلة بين الدين والسياسة في الثورة المصرية سواء دوركايم أو ماكس فيبر أو غيرهم من منظرى علم الاجتماع الدينى الا أن الخطاب السياسى للقادة لم يتجاوز الامر أكثر من الوعظ الدينى السياسى لنظام يريد الابقاء على نفسه فيلجأ الى الجماهير بأسلوب ديماجوجى • لذلك ظلت الجماهير في محافظتها وتهاوت الزعامات وظل سلاح الدين باقيا في يد كل سلطة تشهوه ضد خصومها في الداخل والخارج • لم يتحول الدين الى تصور للعالم ولم يصبح تراث الشعب الدينى أيديولوجية سياسية يعبر عن ثقافته الوطنية • وكما كان كل نقد اجتماعى لابد وأن يبدأ بنقد الدين • وكانت المعارضة هي القائمة بمهمة النقد سيظل الدين في أيدي السلطة القائمة ما لم يتم تجريدها من السلاح باعادة تفسير الدين وهو تراث الشعب والمخزون النفسى عند الجماهير دفاعا عن مصالح الاغلبية •

(٢١٠) الى مجلس الثورة الليبى ١٩٧٤/٥/٧ ص ٣١٣ ، في الجلسة الخاصة لمجلس الشعب ص ٤٢ — ٤٣ ، حديث الى سليم اللوزى رئيس تحرير مجلة الحوادث اللبنانية /١٩/٣/٧٥/ ص ١٠٥ س ٥ ، في الجاهع الازهر بمناسبة عيد الثورة الثانى ١٩٥٤/٧/٢٢ ج ١ ص ١٧٣ ، لضباط وجنود القوات الجوية ١٩٧٥/٤/١٩ •

أثر العامل الديني على توزيع الدخل القومي في مصر

أولا : مقدمة :

أكد بعض الباحثين الوطنيين بصورة قاطعة ، وهم بصدد تحليل التطور الاجتماعي في مصر منذ ١٩٥٢ ، أن الاشتراكية التي كانت أهم معالم هذه التجربة في الستينات كانت استمرارا لحركة الاصلاح الديني التي بدأت في القرن الماضي وتطبيقا لها (١) . وبالتالي فان مفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية مفاهيم دينية ، وأن الاشتراكية في الستينات كانت اشتراكية اسلامية . وطبقا لهذا الرأي لعب العامل الديني دورا حاسما في تشكيل سياسات توزيع الدخل القومي في مصر . والحقيقة أن هذا حكم متسرع يعوزه الدليل القاطع والبرهان المادي . كما أيد بعض الباحثين الغربيين هذا الرأي بناء على بعض الاحكام

كتب هذا البحث مرات عدة باللغة الانجليزية سنة ١٩٧٩ في اطار عمل مشترك لمشروع « توزيع الدخل القومي في مصر » . وبعد صياغات عديدة له لتخفيف الحدة بناء على طلب أعضاء الفريق المصري كتبت هذه الصياغة العربية بعد أن حذفت من الطبعة الانجليزية . وينشر النص الانجليزي الآن في
Islam, Religion, Ideology and Development
(تحت الطبع) الانجلو المصرية ١٩٨٩ .

(١)

Anouar Abd - el Malek : Idéologie et Renaissance Nationale,
Egypte Moderne, Anthropos, Paris, 1969 .

الدينية والحضارية المسبقة (٢) * منها أن الاسلام فى المجتمعات الاسلامية مازال يقوم بدور كبير فى الحياة الاجتماعية والسياسية * فالمجتمعات الاسلامية ، على خلاف المجتمعات الاوربيةة ، مازالت تعيش عصر ما قبل العلمانية ، والعامل الدينى الذى تم تحييده فى الغرب مازال فعالا ومؤثرا فى الشرق * والحقيقة أن هذا الحكم الصادر عن وعى أو عن لا وعى مجرد وهم * فالمسيحية فى الغرب مازالت فعالة ومؤثرة ان لم تكن كفعل فعلى الاقل كرد فعل * وقد نكون العلمانية فى العالم الاسلامى هو المعنى الوحيد الحقيقى للاسلام * فالاسلام ذاته منذ البداية دين علمانى * وتأتى علمانيته من الداخل كوضع الهى وليس من الخارج كمكسب بالجهد الانسانى *

ويقوم هذا البحث على افتراض مقابل وهو أن مفاهيم المساواة والعدالة الاجتماعية وما يتبعها من نظريات فى الاشتراكية مفاهيم علمانية خالصة ، وأن الدين لم يستخدم الا كأجراء دفاعى بعد هجوم الرجعية العربية على الاشتراكية فى الستينات باستخدام الدين أولا * وقد بلغ هذا الجدل الذروة فى ١٩٦٢ - ١٩٦٣ * استخدم الدين اذن فى كلا المعسكرين فى العالم العربى ، التقدمى والرجعى ، بنفس الطريقة كوسيلة لتحقيق أهداف اجتماعية وسياسية متباينة * كما تم توجيه المؤسسات الدينية والعلمانية فى مصر من أجل استخدام الاسلام لتبرير العدالة الاجتماعية وبطريق مباشر كما كان الحال فى الستينات أو لتبرير اللامساواة الاجتماعية وبطريق غير مباشر كما هو الحال فى السبعينات * كما استخدمت ثقافة الجماهير أيضا فى

M. Kerr : Islamic Reform, the political and legal Theories (٢)
of Mohammed Abduh and Rashid Rida, Univeristy of California Press,
Los Angelos, 1966.

لعبة السياسة لتدعيم القيم الايجابية مثل العمل والانتاج والنضال في الستينات أو القيم السلبية مثل الصبر والتوكل والرضى في السبعينات • وكانت ارادة التغيير في كلتا الحالتين متمثلة في القيادة السياسية نتبعها المؤسسات الدينية والعلمانية • ولم تتغير ثقافة الجماهير في كلتا الحالتين ، وظلت على حالها كثير تاريخى متصل تسوده المحافظة ، وقد كان هذا العمق التاريخى هو المسؤول عن التحول التدريجى من الاشتراكية الصريحة في الستينات الى « الرأسمالية » الضمنية في السبعينات • ويمكن تحليل أثر العامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر على مستويات ثلاث :

١ — القيادة السياسية •

٢ — المؤسسات الدينية والعلمانية •

٣ — ثقافة الجماهير •

وأفضل المناهج لدراسة هذا الموضوع هو المنهج «الفينومينولوجى» الذى يقوم بتحليل التجارب الحية المشتركة بين الباحث والمجتمع • وسيكون الاعتماد أساسا على المصادر الاولية التى تكشف عن هذه الخبرات ، وتتضمن مجموعة الخطب السياسية ، وتصريحات رجال الدين ، ونشرات الصحف ، وبرامج الاذاعة والتليفزيون ، وخطب المساجد ، ونماذج من الكتب الدعائية حول الاسلام والاشتراكية أو الاشتراكية فى الاسلام ، والامثال العامية ، والاغاني الشعبية ، ونماذج من الاعمال الروائية والمسرحية ومن القصص القصيرة والقصائد الشعرية ••• الخ • ويكشف تحليل هذه المصادر الاولى عن التجارب الاجتماعية المباشرة ، وتعبّر عن المواقف السياسية الحية للفرد والمجتمع • كما يسمح هذا المنهج باعطاء صورة صادقة من

الداخل في مواجهة الصور النمطية التي تروجها مدرسة « الاستشراق التاريخي » الذي لا يتجاوز المعلومات الخارجية و « الرد » الوضعي • اطارا نظريا مثل تحليل فيبير للقيادة « الكاريسمية » أو وصف دوركهايم للمؤسسات الدينية باعتبارها أشياء أو تشريح ماركس لثقافة الجماهير الا أن هذا البحث يقدم نموذجا من « علم الاجتماع الوطني » لسائد عند الباحثين الوطنيين في أمريكا اللاتينية من أجل المحافظة على التجارب الحية بلحمها وعظمها ودون تحويلها الى صياغات ونظريات مجردة مستمدة من العلوم الاجتماعية الغربية من علم الاجتماع الديني أو الانثروبولوجيا الحضارية أو اللاهوت السياسي • وان الرؤية الحدسية وايصالها مباشرة والتعبير عنها بصراحة وصدق لاكثر قدرة على ادراك المعانى والايحاء بها والكشف عنها عند الآخرين الذين يشاركون في نفس التجارب على استحياء من مجرد استنتاجات العلم وتغليفيها داخل أطر مجردة أو نظريات مستمدة من العلوم الاجتماعية الغربية •

وتنقسم خطة هذا البحث الى خمسة أقسام : الاول ، المقدمة عن الموضوع والمنهج ومادة البحث • والثاني ، تحليل الخطب والتصريحات للقيادة السياسية في الستينيات والسبعينات (٣) • والثالث ، دور

(٣) اعتمدنا على مجموعة الخطب الكاملة للرئيسين عبد الناصر والسادات التي نشرتها مصلحة الاستعلامات في مصر • خمسة أجزاء لعبد الناصر ١٩٥٢ — ١٩٦٦ وجزءان آخران نشرهما الاهرام ويشار اليهما كالجزيين السادس والسابع ، ويسبق كل منهما حرف ن (ن ١ ، ن ٢ ، ن ٣ ... الخ) وخمسة أجزاء أخرى للسادات ١٩٧١ — ١٩٧٥ ، ويسبق كل منها حرف س (س ١ ، س ٢ ، س ٣ .. الخ) بالاضافة الى خطب متفرقة أخرى من ١٩٧٦ — ١٩٧٨ •

المؤسسات الدينية (الازهر ، وأئمة المساجد ، والجمعيات الدينية
... الخ) والعلمانية (الجامعات والاحزاب السياسية ، والجمعيات
العلمية والثقافية ... الخ) في تبرير قرارات السلطة السياسية ،
والرابع ، الاستمرار التاريخي لثقافة الجماهير وسيادة المحافظة الدينية
عليها من ١٩٥٢ — ١٩٧٧ . والخامس ، النتائج العامة للبحث .

ثانيا : القيادة السياسية واستخدام الدين كاجراء دفاعى فى الصراع على السلطة :

كانت القيادة السياسية فى الخمسينات والستينات تقوم على
الزعامة « الكاريسمية » . وكانت مصدر معظم القرارات السياسية
والاجتماعية (تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ . الوحدة المصرية السورية
فى ١٩٥٨ ، قرارات يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١ ، حرب يونيو ١٩٦٧) (٤) .
وقد سمح هذا النمط الاوتوقراطى للنظام السياسى فى مصر سواء
فى الستينات أو فى السبعينات بهذا الدور الكبير للقيادة السياسية .
ويبين تحليل الخطب والتصريحات السياسية للقيادة السياسية فى هاتين
الفترتين بوضوح تام كيف تم استخدام الدين كاجراء دفاعى فى

(٤) طبقا للانماط المثالية عند ماكس فيبر يمثل ناصر زعيما « كاريسميا »
والسادات زعيما « تقليديا » وتنطبق الدورة الثلاثية من الزعامة الكاريسمية
الى الزعامة العقلية القانونية الى الزعامة التقليدية على تطور القيادة
السياسية من الستينات الى السبعينات . فعندما تتحول « الكاريسميا »
الى روتين وبيروقراطية تظهر الزعامة العقلية القانونية وتؤهل المجتمع الى
قيادته التقليدية .

R. H. Dekmejian, Marx, Weber and the Egyptian Revolution,
in Arab society in Transition, a Reeder, Ed. Saad Eddin Ibrahim;
Nicholas S. Hopkins pp. 436 — 76, the American University in Cairo,
Cairo, 1979.

المصراع على السلطة سواء بين النظم السياسية المتعارضة (مصر
والسعودية) أو بين السلطة السياسية والمعارضة (مصر والمعارضة) (٥٠٠

١ — الاسلام والمساواة الاجتماعية • استخدام الاسلام في الستينات (١٩٥٢ — ١٩٧٠) •

يبين تطور فكر القيادة السياسية في مصر في هذه الفترة ثلاث
مراحل يتميز كل منها بعدة مفاهيم وهي :

(أ) المساواة ، العدالة ، تكافؤ الفرص ، تذويب الفوارق بين الطبقات (١٩٥٢ — ١٩٥٦) :

كانت هذه المفاهيم الاربعة الاولية مفاهيم علمانية خالصة •
ولم تكن هناك معالم واضحة بينها ، بل كان يمكن استبدال أحدها
بالآخر • ومع ظهور مفهوم العدالة الاجتماعية كمفهوم رئيسي له
معنيان : الاول سلبي والآخر ايجابي • فالعدالة الاجتماعية بمعناها
السلبي ضد الظلم الاجتماعي والاستغلال والاحتكار والاقطاع
والرأسمالية والفوارق بين الطبقات والانتهازية والعبودية والرجعية
والاستعمار ، وهي تعريفات فضفاضة خطابية متضمنة من قبل في
المبادئ الثلاثة الاولى للثورة : القضاء على الاقطاع ، والقضاء
على الاستعمار ، والقضاء على الاحتكار • وهي بمعناها الايجابي

(٥) يلاحظ D. E. Smith أن نزعة الاسلام الى المساواة لم يكن لها
اثر كبير على الادعاءات الخاصة بالمشاركة السياسية وأن أسلوب ناصر
السياسي أقرب الى السلفية الاسلامية •

D. E. Smith : Religion and Political Development, P. 270, Little
Brown and Company, Boston, 1970 .

متضمنة في المبدأ الرابع من المبادئ الستة : اقامة عدالة اجتماعية •
وهي بهذين المعنيين هدف القيادة الديمقراطية وأمل الشعب ، وهي
الاساس الذي يقوم عليه توزيع الدخل • فنكل فرد حقه في الثروة
الوطنية • وهي تتطلب زيادة الانتاج والا كان توزيع الثروة القومية
الحالية توزيعا للفقر • وترتبط العدالة الاجتماعية بالكفاية • فقد
كان هدف القيادة السياسية هو قيام مجتمع الكفاية والعدل •
والعدالة في التوزيع هو المعنى الحقيقي للديمقراطية لان الحرية
الاجتماعية شرط الحرية السياسية • كما أن العدالة الاجتماعية هي
السبيل للمحافظة على الوحدة الوطنية وتأسيس الدولة الحديثة •
وقد تم تحقيق العدالة الاجتماعية بعدة اجراءات منها : ايجاد التوازن
بين القطاع العام والقطاع الخاص ، استخدام رأس المال لخدمة
الاقتصاد الوطنى ، تشجيع الشركات المساهمة ، توسيع قاعدة
التأمينات الاجتماعية ، التخطيط القائم على نظام الاولويات ، التأمين ،
ملكية الشعب العامل لرأس المال الكبير ، قوانين العمال ، والنص على
العدالة الاجتماعية في بنود الدستور (٦) •

وتتبقى المفاهيم الثلاثة الاخرى : المساواة ، وتكافؤ الفرص ،
وتذويب الفوارق بين الطبقات من مفهوم العدالة الاجتماعية كمفهوم
رئيسى • فالمساواة وتكافؤ الفرص مفاهيم أخلاقية انسانية تتسم
بنفس طابع العمومية وعدم التحديد • المساواة بمعناها العام تشير
الى المساواة في الخلق ، وهي المساواة الطبيعية ، كما تعنى أيضا

(٦) ن ٢ ص ٦٨ ج ٧٢ ص ٨١ — ٩٠ ص ٩٣ ص ١٤٥ ص ٢٢٦
ص ٢٣١ ص ٢٨٤ ص ٣٠٣ ص ٣١٠ ص ٣١٦ ص ٣١٨ ص ٣٥٥ — ٣٥٦
ص ٤٥٧ ص ٤٨٦ ص ٤٩٦ ص ٦٧٨ ص ٧٠٧ ص ٧٥١ — ٧٥٢ •

المساواة في الحقوق والواجبات ، وفي الاخذ والعطاء ، وهي المساواة المدنية • كما تعنى القضاء على الفوارق بين الطبقات في المجتمع الواحد ، والمساواة بين الدول النامية والدول المتقدمة علي الصعيد الدولي • ويتحقق تكافؤ الفرص في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أى في توزيع الثروة وفي التعليم وفي التمثيل السياسى • وان كانت الفوارق بين الطبقات موروثه من الماضى فانه يجب تذويبها في الحاضر • أما الفوارق الفردية فهى طبيعية يجب الابقاء عليها • ويمكن القضاء على الاولى تدريجيا عن طريق تثبيت الاسعار ، ومقاومة التضخم ، ورفع مستوى معيشة الفلاحين والعمال ، وتشجيع الصناعة والتجارة الحرة ، واستغلال المواد الاولية ثم الاصلاح الزراعى أولا وقبل كل شئ (٧) • وقد كانت مرممة « هيئة التحرير » كتنظيم سياسى شعبى والعمل على تنفيذ هذه الاجراءات والاشراف عليها •

ويبدو أن القيادة السياسية في تعاملها مع هذه المفاهيم الاربعة الاولى ام تستخدم الدين لتدعيمها الا مرة واحدة بالاشارة الى أن الله خلق البشر جميعا متساوين • لم تكن هناك حاجة لمثل هذا التبرير الدينى لان الدافع الثورى كان كافيا وواضحا بذاته لاقتناع الشعب • وكانت البراهين الاحصائية تغنى عن أية حجج نصية • كانت هذه المفاهيم الاربع علمانية خالصة • ولكن بالنسبة للاسلام قد يكون العلمانى هو المعنى الوحيد للدينى •

(٧) ن ١ ص ٢ ص ٥ ص ١١ ص ٣٣ ص ٢٩ ص ٤٥ ص ٤٨ ص ٥٣ ص ٧٥ ص ٩٨ ص ١٠١ ص ١٦٣ ص ٢٣٨ ص ٢٨٠ ص ٢٩٨ ص ٣١٥ ص ٣٣١ ص ٣٥٤ ص ٣٥٢ ص ٣٦٦ ص ٤٤٦ ص ٤٥١ ص ٥٢٢ ص ٦٩٣ •

ومع ذلك ، ظهر الارتباط بين الاسلام والاشتراكية مبكرا أثناء الصراع على السلطة علنا بين القيادة السياسية والاخوان المسلمين في ١٩٥٤ . فتمسدت اتهمتهم القيادة السياسية بأنهم يرفعون شعارات دينية جوفاء فارغة من أى مضمون اجتماعى أو سياسى . أما الثورة فانها هى التى تعطى هذه الشعارات الدينية مضامينها الاجتماعية . فاذا كان الاخوان المسلمون يعتبرون القرآن دستورهم فان الثورة هى التى حثقت بنسود هذا الدستور بخلعها الملك ، وجلاء قوات الاحتلال البريطانية ، والقضاء على الفساد والظلم الاجتماعى (٨) . والحقيقة أن الخلاف بين القيادة السياسية والاخوان المسلمين لم يكن على موضوع اعادة توزيع الدخل القومى والعدالة الاجتماعية ، فكلا الفريقين يناديان بذلك فى برامجهما المعلنة ولكن الخلاف كان مجرد صراع على السلطة (٩) .

(ب) الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (١٩٥٧ — ١٩٦٠) :

بعد تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ ، وبعد تمصير الشركات الاجنبية شعرت القيادة السياسية بحاجتها الى عقيدة تلائم تكوين « المؤسسة الاقتصادية » . فبدأت صياغة « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » . والارتباط بين المفاهيم الثلاثة التى تكون هذه العقيدة الجديدة ارتباط ضرورى . فبدون الاشتراكية أى تحرير الفرد من

(٨) ن ١ ص ٢٢٩ وفى نفس الوقت كتب ناصر مقدمة ل احد الكتب عن الاشتراكية مشيرا الى الاسلام كأحد منابع الاشتراكية .

(٩) دعا الاخوان المسلمون قبل الثورة وبعدها الى العدالة الاجتماعية . مصطفى السباعى : اشتراكية الاسلام ، الطبعة الثانية ١٩٦١ (الطبعة الاولى ١٩٥٩) ، سيد قطب : العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، الطبعة الثانية ، دار مصر ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٥١ .

الاستغلال لن تكون هناك ديمقراطية • وبدون الديمقراطية أى اشتراك الفرد فى توجيه شؤون الحياة العامة لن تكون هناك اشتراكية • ويعنى التعاون الاستقرار السياسى القائم على العدالة الاجتماعية ، والتكافل والحب • وقد تم تعريف الاشتراكية بأنها الكفاية وزيادة الانتاج عن طريق سيطرة الدولة على الملكية الخاصة والعامة • وقد ظهر مفهوم التعاون فى مصطلحات القيادة السياسية منذ ١٩٥٣ • وكان يدل على معنى أخلاقى عام ، التعاون بين الاغنياء والفقراء ، والتعاون بين كل المواطنين لانقاذ البلاد •• الخ • كما ظهر على نحو ملموس فى الزراعة والصناعة والتجارة والتعليم والخدمات فى صورة جمعيات تعاونية • فاذا كانت الاشتراكية هى الجانب الاقتصادى فى هذه العقيدة وكان التعاون هو جانبها الاجتماعى فان الديمقراطية تكون هى جانبها السياسى ، فالملكية التعاونية هى الطريق الى الديمقراطية • ولما سادت هذه العقيدة أثناء الوحدة مع سوريا فى الجمهورية العربية المتحدة ، وعندما بلغت القومية العربية الذروة أصبحت أيضا الطريق الى الوحدة العربية • فقد شعرت القيادة السياسية فى ١٩٥٩ بضرورة صياغة أيديولوجية مماثلة لايدولوجية حزب البعث ، وقادرة على تحقيق أهداف القومية العربية : معاداة الاستعمار والصهيونية والاستغلال (١٠) •

(١٠) يقول ناصر « الديمقراطية معنى وشعار ، والاشتراكية حقيقة وأمل ، والتعاون واقع وهدف » ن ٤ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ ، وأيضا ن ١ ص ١٢١ ص ١٥٦ ص ٢١١ ص ٢٥٣ ص ٢٨٩ ص ٣٠٠ ص ٣٠٣ ص ٥٠٤ ص ٦٨١ ص ٦٨٤ ص ٧٥١ ص ٧٥٦ — ٧٥٧ ، ن ٧ ص ٨٦ — ٨٧ ص ٤٠٢ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ص ٢٥٩ ص ٢٩٩ — ٢٠٠ ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ص ٣١٣ — ٣١٦ ص ٣٢٥ — ٣٢٦ ص ٣٣٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٦ ص ٤١٢ ص ٤١٤ — =

هل كانت هناك عناصر دينية في هذه العقيدة الجديدة ؟ أكدت القيادة السياسية باستمرار على أن العقيدة الجديدة تطور طبيعي للتجربة المصرية ، كما تعكس قوانينها حركة المجتمع المصري • فالقيادة السياسية لا تضع نفسها في اطار النظريات لتبحث عن حياتها بل تضع نفسها في حياتها لتبحث عن النظريات • ومع ذلك فقد ظهر الاسلام في هذه الفترة أثناء صراع القيادة السياسية المستمر منذ ١٩٥٤ مع الاخوان المسلمين وأثناء الصراع الجديد ضد قاسم في العراق في ١٩٥٩ • فالاسلام هو التعاون على فعل الخير والنهي عن الشر على عكس الاخوان المسلمين الذين كانوا يمنعون الخير ويتعاونون على فعل الشر • وعندما كتب ناصر في سجل الزوار في اتحاد النقابات كلمة لتشجيع التعاون مستشهدا بالآية القرآنية « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » كان يقصد الاخوان المسلمين • علاوة على ذلك أخذت القيادة السياسية القرآن كنموذج للتطبيق التدريجي للعقائد المنبثقة من حياة الشعوب • فالاشتراكية الديمقراطية التعاونية ليست كتابا يمكن تطبيقه بل مجرد مرحلة في نظام نتيجة للتجارب المشتركة والعمل في المجتمع ، ملائمة لتطوره طبقا لمبدأ المحاولة والمخطأ • لا يوجد كتاب يسمى « الاشتراكية

=

٤١٧ ص ٤٢٩ ص ٤٥٨ — ٤٥٩ ص ٥١٤ ص ٥١٩ ص ٥٣٦ ص ٥٤٤ —
٥٤٥ ص ٥٦٠ — ٥٦١ ص ٦٢٠ — ٦٢١ ص ٦٢٢ — ٦٢٥ ص ٦٤١
ص ٦٤٦ ص ٦٥٥ ص ٦٦٩ ص ٦٧٥ — ٦٧٩ ص ٦٨٠ ص ٧١٠ — ٧١١
ن ٨ ص ٤٤ ص ٥٦ ص ٦٤ — ٦٥ ص ٩٦ ص ١٤٩ ص ١٨٢ — ١٨٣
ص ٢٠٥ ص ٢١٣ ص ٢١٥ ص ٢١٩ — ٢٢٢ ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ص ٣٤٩
ص ٣٥٤ ص ٤٨٥ — ٤٨٩ ص ٤٦٤ ص ٣٤٩ ص ٣٥٤ ص ٤٨٥ — ٤٨٩
ص ٤٦٤ ، ن ٤ ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ص ٥١٤ — ٥١٧ ص ٥٤٢ ، ن ٥ ص
٦٧ ص ٦٩ ص ٣١١ ص ٣٥٧ •

الديمقراطية التعاونية » ، ولا يوجد انسان في التاريخ قادر على تأليف مثل هذا الكتاب في أربع وعشرين ساعة • وقد أعطى الله المثل على ذلك • لقد كان باستطاعة الله انزال القرآن في ليلة واحدة ولكنه استغرق ثلاثة وعشرين عاما ليعطينا نموذجا تجريبيا نتبعه (١١) • كما لجأت القيادة السياسية الى الاسلام في صراعها مع قاسم في العراق في ١٩٥٩ (١٢) • فعندما بدت الماركسية كخطر قادم من العراق أبان حكم قاسم اتهمته القيادة السياسية في مصر بأنه ملحد شيوعي (١٣) •

(١١) ن ١ ص ١٢٧ ، ن ٧ ص ٦٣٠ - ٦٣٨ ص ٦٧٣ •

(١٢) قبل ذلك بثلاث سنوات في ١٩٥٦ سأل «المسئل جريدة» ناصر عما اذا كان هناك تشابه في المبادئ بين الدين الاسلامي الذي تقوم سياسات البلاد العربية عليه وبين الماركسية وعما اذا كان نقد الدين هو السبب في ابتعاد العرب عن الماركسية • فأجاب بأن الاسلام هو دين غالبية العرب ، وضع المبادئ العامة للتعاون الانساني ، وبالتالي فلم تكن هناك حاجة لمبادئ جديدة شيوعية أو أخرى • هذه الاشارة الى الاسلام كان سببها سؤال خارجي • فقد خشيت القوى الكبرى في ذلك الوقت من انحياز مصر الى الشرق ، فأرادت بعض التأكيدات على أن النضال ضد الاستعمار وأن تأميم قناة السويس أي النضال من أجل الاستقلال السياسي والاقتصادي لا يؤدي الى الانحياز الى المعسكر الاشتراكي ضد الغرب • فبعد انتصار مصر على الاعتداء الثلاثي في ١٩٥٦ وبعد أن أصبحت نموذجا للعالم الثالث في النضال من أجل الاستقلال ثارت شبهات في ذهن العرب حول ناصر تقوم على الخلط بين الاستقلال الوطني والشيوعية • ن ١ ص ٦٣٦ •

(١٣) ستستعمل القيادة السياسية في السبعينات هذه العناصر بعد ذلك ضد الناصريين والاشتراكيين وكل القوى التقدمية في مصر بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ ، أنظر القسم الثاني من البحث •

• وظهر الاسلام في ذلك الوقت على أنه دين معاد للماركسية (١٤) •

(ج) الاشتراكية العربية (١٩٦١ - ١٩٧٠) •

الاشتراكية العربية هي الايديولوجية التي ورثت الاشتراكية الديمقراطية التعاونية • وقد أتت متأخرة في الظهور لان القيادة السياسية كانت مشغولة في ١٩٥٤ - ١٩٥٥ بتحقيق جلاء القوات البريطانية • وبعد الاعتداء الثلاثي في ١٩٥٦ كانت « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » خطوة على طريق الاشتراكية • وقد ظهرت « الاشتراكية العربية » أخيرا بعد صدور قرارات يوليو الاشتراكية في ١٩٦١ و« الميثاق الوطني » في ١٩٦٢ • وقد اعتبرت القيادة السياسية قوانين يوليو الاشتراكية في ١٩٦١ بمثابة تأميم قناة السويس في يوليو ١٩٥٦ ، الاولى ضد الرجعية والثانية ضد الاستعمار • والحقيقة أنه بعد الانفصال السوري أرادت القيادة السياسية في مصر أن تقوى من قبضتها في الداخل خشية أن تتحرك القوى الرجعية كما تحركت من قبل في سوريا ، فأعلنت الاشتراكية كأيديولوجية للبلاد • وقد تمت صياغتها في « الميثاق الوطني » الذي تم الاتفاق عليه في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية الذي عقد بعد

(١٤) وبعد ذلك بثلاث سنوات وفي خضم المعركة ضد الرجعية العربية دفاعا عن تهمة الشيوعية ميز ناصر بشكل واضح بين الاشتراكية العربية والماركسية اللينينية • تمتاز الاشتراكية العربية بعدة صفات خاصة من بينها الايمان بالله على عكس الماركسية اللينينية • الاولى تعترف بالدين بينما تنكره الثانية • وبعد ذلك ستستخدم القيادة السياسية في السبعينات نفس التفرقة للطعن في خصومها السياسيين • انظر المؤتمر القومي للقوى الشعبية لشرح الميثاق ن ٥ ص ٨٢ ص ١٦٦ •

أشهر قليلة من الانفصال كبداية لاقامة نظام لقوى الشعب العامل
المستفيدة الوحيدة من الاشتراكية (١٥) *

والاشتراكية قيمة روحية ، ولها عند القيادة السياسية معنى
أخلاقي ، وضع حد لاستغلال الانسان لاخيه الانسان * وأحيانا تبدو
وكأنها مفهوم سلبي مثل مفهوم العدالة الاجتماعية أى نهاية حكم
الاقلية المستغلة لثروات البلاد والمتمثلة فى الاقطاع والرأسمالية
والاحتكار * وأحيانا أخرى تبدو وكأنها مفهوم ايجابي أى اشتراك كل
المواطنين فى الثروة القومية أو الكفاية والعدل أو تكوين مجتمع
الرفاهية * كما تعنى القيادة السياسية بها التحول الاشتراكي أكثر
مما تعنى الاشتراكية ، وتطلق على التجربة «مرحلة التحول الاشتراكي» *
وقد ارتبطت الاشتراكية أخيرا بمفهوم الوحدة كى تصبح الشعار
الجديد للقومية العربية *

وقد تم تطبيق الاشتراكية بعدة اجراءات دثل التأميم ، سيطرة
الشعب على وسائل الانتاج ، تحديد الحد الاعلى للملكية الزراعية
بمائة فدان للعائلة الواحدة ، اشتراك العمال والموظفين فى مجالس
الادارة ، الضرائب التصاعدية التى تصل الى حد ٩٠٪ من الدخل
الفردى * ويتم الاشراف على تطبيق هذه الاجراءات والسيهر على
تنفيذها بعدة طرق منها « الاتحاد الاشتراكي العربى » ، مجلس
الشعب بنصف أعضائه من العمال والفلاحين ، التشريعات الاشتراكية
فى قوانين الدولة والنص عليها فى الدستور ، واجب القوات المسلحة

(١٥) ن ٢ ص ٥٦٤ — ٥٦٥ ن ٢ ص ١٠٩ ص ١٤٩ ص ٢٩٥
ص ٣٩٩ .

لحماية التجربة الاشتراكية (١٦) *

والاشتراكية العربية على هذا النحو علمانية خالصة * وقد
لجأت القيادة السياسية مرة واحدة الى العامل الدينى ، الايمان بانلله
كأحد خصائص الاشتراكية العربية التى تميزها عن الماركسية اللينينية *
وبالرغم من اللجوء الى هذه التفرقة كاجراء دفاعى ضد اتهام
الاشتراكية العربية بأنها ماركسية * ظهر العامل الدينى كعامل رئيسى
عندما أصبحت القيادة السياسية موضوعا لهجوم الدول العربية وعلى
رأسها المملكة العربية السعودية أثناء حكم الملك فيصل واليمن أثناء
حكم الامام يحيى * وقد ظهرت كل الافكار عن العدالة الاجتماعية

(١٦) حاول ناصر بعد ذلك فى مارس ١٩٦٧ اعطاء خطوط عامة
لاجراءات الاشتراكية مثل ، عمل يؤدى الى الخدمات الاجتماعية ، منزل لكل
أسرة ، زيادة الانتاج ، الثورة الادارية ، الثواب وانعقاب لرؤساء مجالس
الادارة طبقا لمكاسبهم وخسائرهم ، الارتباط بين المرتب والعمل ، احترام
المال العام ، الدقة والانضباط فى العمل داخل الوحدات الانتاجية ، وظيفة
التنظيم السياسى فى الاشراف والمراجعة ، التوحيد بين الفكر والعمل فى
المجتمع الاشتراكى . ويبدو أن هذه الاجراءات كانت بوجهة ضد « الطبقة
الجديدة » التى بدأت فى الظهور خلال التجربة الاشتراكية التى أصبحت
بعد ثلاث أشهر مسؤولة عن هزيمة يونيو ١٩٦٧ . ن ٢ ص ٥٦٤ — ٥٦٥
ص ٦٠٦ ، ن ٣ ص ٥٢ ص ٦١ ص ٥٤٤ — ٥٤٨ ص ٥٦٤ — ٥٦٧ ص
٥٨٤ ص ٦٠٤ ص ٦١٠ — ٦١١ ص ٦١٧ ، ن ٤ ص ٣٠٨ ص ٣٦٢ ،
ن ٥ ص ١٠ — ١٤ ص ٣٣ ص ٤١ — ٤٧ ص ٦٢ — ٦٥ ص ٧٤ — ٨١
ص ٨٥ — ٩٧ ص ١٠٨ — ١١٠ ص ١١٧ ص ١٢١ ص ١٤٩ ص ١٦٦
ص ٢٠٧ ص ٢١٣ ص ٢١٥ ص ٢٢١ ص ٢٤٢ — ٢٤٧ ص ٢٦٩ — ٢٧٠
ص ٢٧٧ ص ٢٨١ ص ٢٩٥ ص ٣١١ — ٣٢٢ ص ٣٢٩ ص ٣٣٩ ص ٣٤٦
ص ٣٧٣ ص ٣٩٩ ص ٤٣٠ — ٤٣١ ص ٤٤٤ — ٤٤٧ ص ٤٥٣ — ٤٥٤
ص ٤٨٥ ص ٥١٥ — ٥١٧ ص ٥٤٢ — ٥٤٣ ص ٥٨٤ ص ٥٩٦ ، ن ٧
ص ١٨٥ ص ٤٣٨ .

والاشتراكية في الاسلام في هذا الاطار من الدفاع عن الذات لنفى
تهمة وليس لتأسيس الاشتراكية على نحو وضعى *

وقد بدأ استخدام القيادة السياسية للاسلام للدفاع عن
الاشتراكية ضد هجوم السعودية في ١٩٦١ وبلغت الذروة في ١٩٦٢ —
١٩٦٣ * وقد بدأت هجومها ضد الرجعية العربية بعد استخدام هذه
الاسلام في هجومها ضد الاشتراكية العربية * فارادت نزع السلاح
من خصومها بل وأمضى سلاح ، وهو سلاح الدين (١٧) *

وقد استعملت القيادة السياسية جدلا مزدوجا : ايجابيا لاثبات
أن الاسلام دين اشتراكى وسلبيا لنفى صفة الرجعية عن الاسلام *
ويمكن تلخيص هذه الحجج على النحو الآتى :

١ — الاسلام دين اشتراكى * وقد كون الاسلام في العصر
الوسيط أول تجربة اشتراكية في العالم * وكان النبي محمد على رأس
أول دولة اشتراكية * وكان أول من أعطى الحجج لسياسات التأميم
في الحديث المشهور « الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلا والنار » (١٨) *
كما أعطى الرسول أكمل نموذج للسلوك الاشتراكى * عاش فقيرا

(١٧) الحقيقة أن الانظمة العربية الرجعية في المملكة العربية السعودية
وفي اليمن بدأت بهجومها ضد ناصر بعد انفصال سوريا عن الجمهورية
العربية المتحدة في سبتمبر ١٩٦١ * فقد ظنت ان ذلك أفضل وقت للتخلص
من ناصر ولتصفية تجربته الاشتراكية بعد اضعبائه وطعنه في الظهر *

(١٨) ويضاف « الملح » في حديث آخر . وقد كانت هذه المقومات
الثلاث في ذلك الوقت المصادر الرئيسية للثروة والتي تتطابق اليوم الزراعة
والصناعة والتعدين ... الخ . ن ٥ ص ٥٧١ ص ٤١٤ *

ومات فقيراً (١٩). * وبعد موت الرسول استمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية في عهد أبى بكر وعمر * فقد أمم عمر أرض التظاع في العراق ووزعها على الفلاحين المعدمين (٢٠) * قدمت القيادة السياسيـه هذه الصورة المثالية للمجتمع الاسلامى كنموذج للمجتمع الشيوعى الاول كما فعل ماركس وانجلز نفس الشىء في وصفهم للمسبحية البدائية * .

٢ — الاسلام دين المساواة والعدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص * فالاسلام دين اشتراكى والدين والاشتراكية يعنـيان المساواة بين البشر ، ورفع مستوى المعيشة ، وتذويب الفوارق بين الطبقات * وقد جعل الدين تكافؤ الفرص أساس الثواب والعقاب * يبدأ كل انسان حياته بأعماله وليس بوراثة الطبقة (٢١) * كما لا يسمح الاسلام بوجود مجتمع به أغنياء وفقراء * قبل الثورة كان هناك ٥٪ من السكان يحصلون على ٥٠٪ من الدخل القومى * وقد قامت الثورة لوضع حد لهذا التوزيع اللامتساوى للدخل وللقضاء على الطبقات الرأسمالية والاقطاعية * والثورة بهذا تطبق الاسلام لانها لم تسمح للأغنياء باستغلال الفقراء * وقد استعملت القيادة السياسية باستمرار هذا

(١٩) لم يمتلك الرسول شيئاً . بل انه توفى مدينا ليهودى . شارك الآخرين في قوته اليومى ، وأخذ حقوق الفقراء من الاغنياء . وقد وصفه الشاعر أحمد شوقى بحق في قوله « والاشتراكيون أنت امامهم . . » .

(٢٠) ن ٢ ص ٦٢١ — ٦٢٢ ص ٤٦١ ص ٦٠٧ ، ن ٥ ص ٤١٤ ص ٤٩٤ ص ٥٣٣ ص ٥٦٣ .

(٢١) يرى Tawney ان الدعامين الرئيسيتين للمساواة هما الثروة الموروثة والمدارس العامة .

Tawney : Equality, Unwin books, London, 1971.

الشعار « الاسلام شريعة العدل ، وشريعة العدل شريعة الله » للتوحيد
بصراحة ووضوح بين الاسلام والعدالة • جوهر الاسلام هو العدل •
وجوهر الشريعة أيضا هو العدل • فالعدل اذن أمر الهى ، وكل اجراء
لتحقيق العدالة الاجتماعية يكون بمثابة شريعة الهية (٢٢) •

٣ — العدالة الاجتماعية علاقة طبيعية والهية بين الاغنياء
والفقراء (٢٣) • من يملكون عليهم اعطاء من لا يملكون • وقد دعت
كل الاديان ، وليس الاسلام وحده ، الى العدالة الاجتماعية • وأقربت
كلها ، وليس الاسلام وحده ، مبدأ الزكاة أى مشاركة الانسان غيره
فى أمواله بل حارب أبو بكر مانعى الزكاة • الزكاة حق الاسلام تهدف
الى اقامة عدالة اجتماعية • ويمكن استعمال العنف ضد الممتنعين
عن الزكاة • وهى لا تزيد على ربع العشر من المال الذى يحول عليه
الحول دون استخدام • لا وجود للفقراء أو للمعدمين فى المجتمع
الاسلامى نظرا لوجود التكافل الاجتماعى • مقومات العدالة الاجتماعية
اذن فى الاسلام • ولما كانت العدالة الاجتماعية تعنى الكفاية فان
الكفاية فى الاسلام لا تشير فقط الى الاسس المادية بل أيضا الروحية
والدينية والاخلاقية (٢٤) • فالاشتراكية فى الاسلام أقرب ما تكون
الى التصور الاخلاقى منها الى المذهب الاقتصادى • هى جزء من
تاريخ الشعب وتراثه الروحى •

(٢٢) ن ٣ ص ٦٥٧ — ٦٥٨ ن ٥ ص ١٠٩ ص ١٦٧ ص ٢٠٦ ص
٢١٧ ص ٢٧١ ص ٣١٢ ص ٣٣٥ — ٣٣٦ ص ٤٩٤ •

(٢٣) وقد لاحظ D. E. Smith هذه الصلة بين التنزيه والعدالة
الاجتماعية بقوله « ان العدالة الاجتماعية منوطة بالله المنزه القادر » المصدر
السابق ص ٢٢ • وفى موضوع الزكاة والربا انظر ص ٢٢٧ •

(٢٤) ن ٣ ص ٤٦١ — ٤٦٢ ن ٥ ص ٩٢ ص ١٦٦ ص ٣١٢ ص ٣٥٦ •

٤ — تقوم الاخلاق الاسلامية على تقديس العمل مثل الاخلاق الاشتراكية (٢٥) • لذلك حرم الاسلام الربا لانه ضد مبدأ العمل كمصدر وحيد للدخل • فالمال لا يولد المال من تلقاء ذاته دون توسط العمل أى الجهد والعرق والانتاج • وقد تبنت الثورة نفس الاخلاق عندما ألغت الربا فى السلف الزراعية ، وأعطت سلفا أخرى للفلاحين بدون ربا (٢٦) •

٥ — وتبريرا للتحول الاشتراكي استعملت القيادة السياسية بعض الملاحظات الاولى عن التدرج فى الشريعة الاسلامية • وأشهر مثل على ذلك هو التدرج فى تحريم الخمر • فقد بين القرآن أولا أن اثمها أكبر من نفعها • ثم حرمها بعد ذلك أثناء الصلاة فقط حتى لا يقف الانسان أمام ربه مخمورا • وبعد ذلك حرمها مطلقا فى صيغة النهى • أعطى القرآن اذن نموذجا للثورة التدرجية وبالتالي التطبيق التدرجى للاشتراكية (٢٧) •

٦ - والاسلام ضد الرجعية • ومع ذلك استغلت الرجعية العربية الدين لخداع الشعب • وكان الهدف الرئيسى من ذلك هو ابقاء الشعب على جهله ليسهل استغلال ثرواته • لقد فسرت الرجعية العربية الاسلام تفسيرا خاطئا وهى على علم بذلك من أجل استغلال ثروات الشعوب • وأرادت تغطية هذا الاستغلال تحت ستار الدين • كدست

(٢٥) وقد رفضت القيادة السياسية بعد ذلك فى السبعينات هذه الاخلاق فى « الاشتراكية الديمقراطية » .

(٢٦) ن ٥ ص ٢٦٧ ص ٤١٤ ، أنظر بحث د. أحمد حسن : سياسات الحكومة فى السلف الزراعية •

(٢٧) ن ٢ ص ٣٦ •

الاموال من دماء الشعوب ، ولم ينتج هذا التكديس من العمل ،
القيمة الاسلامية ، بل من الاستغلال الذى يحرمه الاسلام . وباسم
الدفاع عن الدين كانت تدافع عن مصالحها الخاصة . وفى الاسلام
ثروات المسلمين للمسلمين وليست للملوك (٢٨) .

٧ — هاجمت القيادة السياسية بعض القيم الدينية السلبية مثل
الصبر . لقد دعت الرجعية العربية الفقراء الى الصبر ، والصبر فى
حقيقة الامر ليس قيمة اسلامية اذا كان يعنى الخضوع والاستسلام
وقبول الاستغلال (٢٩) . كما رفضت اعتبار المساواة الاجتماعية الحادا
لان الايمان بالله يتطلب الايمان بالمساواة بين البشر أمام اله واحد .
أن اللامساواة الاجتماعية هو الالحاد لانها تنفى المساواة بين البشر (٣٠) .
كما دافعت القيادة السياسية عن نفسها ضد اتهامها بأنها استبدات
بالاسلام الاشتراكية وأنها جعلت نفسها نبيا لدين جديد (٣١) .

٨ — أرادت الرجعية العربية ترك حل مشكلة العدالة الاجتماعية
الى الآخرة بمعونة الله ومشيئته وليس فى الدنيا عن طريق الاشتراكية .

(٢٨) ن ٤ ص ٣٣١ ، ن ٥ ص ٤١٩ ص ٤٩٤ .

(٢٩) اعتبرت القيادة السياسية بعد ذلك فى انسبعينات الصبر كأحد
الفضائل الاسلامية الكبرى واستخدمته كأحد العوامل المسكنة للجماهير .

(٣٠) ن ٥ ص ٦٦ ص ٥٤ ص ٥٤٤ .

(٣١) وصف ناصر نفسه بأنه مجرد زعيم يكشف عن الاعمال الدينية
الكاذبة لأمير المؤمنين الملك فيصل .

والحقيقة أنه لا يمكن ترك العدالة الاجتماعية لمشية الله (٣٢) . كما رفضت القيادة السياسية « اشتراكية الاحسان » التي تدافع عنها الرجعية العربية . فالاحسان لا يكفى لاقامة عدالة اجتماعية (٣٣) .

لم تستعمل القيادة السياسية النصوص الدينية لتدعيم هذه الحجج بل لجأت الى البدهة العقلية والحسية والى حس الجماهير . فاستطاعت أن تكسب المعركة بسهولة ويسر ضد الرجعية العربية . وكانت حججها تقوم على المضمون وليس على الشكل ، وكان تفسيرها للاسلام ، بالرغم من ظهوره من خلال الجدل مع الخصوم ، تفسيراً واقعياً وليس تفسيراً سورياً (٣٤) .

٢ — الاسلام واللامساواة الاجتماعية ، استخدام الاسلام في السبعينات (١٩٧٠ — ١٩٧٧) :

كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ من الناحية العملية نهاية التجربة

(٣٢) ويستمر ناصر : هل يجب على المسلمين الغاء وزارة العدل وترك القوى يسود الضعيف ؟ ولماذا توعد الجنة للفقراء في الآخرة وليس في هذه الدنيا ؟ يجب على الاغنياء أن يحصلوا على نصيبهم في الجنة وأن يتركوا ثروتهم في الدنيا للفقراء . ويلاحظ فيبر شيا مشابها وهو أن الطبقات التجارية الغنية لا تؤمن بالجنة كعوض في الآخرة كما تؤمن بها الطبقات الدنيا الفقيرة .

O'Dea : the Sociology of Religion P. 58, Prentice - Hall, New Jersey, 1966.

(٣٣) ويستمر ناصر : المال مال الله أى مال الشعب . وللشعب الحق في استرداد ثروته من البنوك السويسرية المودعة في حسابات سرية ، واستثمارها داخل البلاد وليس خارجها .

(٣٤) ن ١ ص ٦٢١ ، ن ٥ ص ٢٧ ص ٢٧١ ، ن ٣ ص ٦٥٢ ص

٣١٢ ص ٣١٨ ص ٣٣١ .

الاشتراكية في الستينات • فقد بدأ التراجع عن الخط الاشتراكي بعد ذلك • كانت خطب القيادة السياسية في السنوات الثلاث الاخيرة قصيرة وفارغة من أى قرارات جديدة أو أى تحولات اشتراكية جديدة (باستثناء قانون الاصلاح الزراعى الثالث ، والغاء بعض البدلات والمميزات لكبار الموظفين وضباط الجيش من أجل تصفية الطبقة الجديدة كما وضح فى بيان ٣٠ مارس) • وبالرغم من عزم القيادة السياسية على مراجعة « الميثاق الوطنى » فى ١٩٧٠ لاتخاذ اجراءات اشتراكية جذرية فيما يتعلق بقوانين الاصلاح الزراعى وتأميم تجارة الجملة وقطاع المقاولات بل وتكوين تنظيم طليعى بكون عصب الاتحاد الاشتراكي العربى للدفاع عن مصالح الجماهير ، فى هذه اللحظة التاريخية الحاسمة تغيرت القيادة السياسية بموت ناصر • ولم تحاول القيادة السياسية الجديدة تنفيذ هاتين الرغبتين • بل أنها على العكس من ذلك بدأت بالتراجع عن اشتراكية الستينات متهمة أنصارها بتفسير « الميثاق الوطنى » تفسيراً ماركسياً • فألغت الاتحاد الاشتراكي العربى ، وحلت التنظيم الطليعى باعتباره أحد مراكز القوى •

وظهرت مفاهيم وأيديولوجيات جديدة تكشف عن ذاتها تدريجياً وعلى مراحل • أولاً ، التراجع عن اشتراكية الستينات من ١٩٧١ — ١٩٧٣ بالرغم من استعمال مفاهيمها وألفاظها بعد تفريغها من مضامينها الفعلية • وقد حدث هذا التراجع على المستويين الاقتصادى والسياسى • ثانياً ، بداية سياسة الانفتاح الاقتصادى بعد ١٩٧٣ أى بعد حرب أكتوبر مباشرة ، واصدار قانون الاستثمار الاجنبى • ثالثاً ، الاعلان عن الاشتراكية الديمقراطية فى ١٩٧٥ كأيديولوجية جديدة للدولة

• وكطريق للسلام بين مصر واسرائيل من خلال الاشتراكية الدولية (٢د) .

(١) التراجع عن اشتراكية الستينات (١٩٧١ — ١٩٧٣)

كان هدف هذه المرحلة الاولى الغاء الماضى واسدال الستار عليه • فقد بدأت الثورة بلسان القيادة السياسية الجديدة ، تكتب تاريخها وكأنها شارفت على النهاية • كما بدأت شعارات الثورة الاولى فى الظهور مثل الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية • كما عادت عقيدة « الاشتراكية الديمقراطية التعاونية » الى الظهور • بل ان مبادئ الثورة الممت قد عادت الى الحياة من جديد ، كما عادت الى الاذهان تواريخ الثورة الحاسمة مثل ١٩٥٢ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٧ وكان الثورة بدأت تكتب تاريخها وهى على مشارف النهاية • واعتبرت القيادة السياسية الجديدة « الميثاق الوطنى » ميثاقا ماركسيا كما اعتبرت أن الهدف من بيان ٣٠ مارس كان امتصاص غضب الشعب بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ • ووصفت الوثيقتين بأنهما مجرد وثيقتين تاريخيتين من الماضى ، كتابات أوحنتها الظروف ، وليس لها صفة الاستمرار أو الدوام (٣٦) •

(٣٥) لمزيد من التفاصيل عن الاطار السياسى أنظر بحث د. على الدين هلال ، وأيضا بحث د. فؤاد عجمى (فى اطار هذا البحث المشترك) .
The Political Economy of Income Distribution in Egypt, edited by Gouda Abdel-Khalek and Rebert Tignor, Holms & Meier Publishers, Inc., New York, London, 1982.

(٣٦) س ١ ص ١١ ص ٢٤ ص ٣٢٥ — ٣٢٧ ص ٣٥٨ ص ٣٨٧ .
ص ٤٠٢ ص ٤٦٤ ص ٤٧٢ — ٤٧٦ ص ٤٩١ ص ٥٠٦ ، س ٢ ص ٢٢٢
ص ٢٧٤ — ٢٨٦ ، س ٥ ص ١٤٨ — ١٤٩ ص ٦٠٩ — ٦١٠ ص ٨١٤ ص ٦٤٠ .

وقد بدأ التراجع السياسى بحل التنظيم الطليعى باعتباره تنظيما
ماركسيا سريا مارس أبشع أنواع التعذيب والاضطهاد ضد أفراد
الشعب • كما تم استبعاد أنصار القيادة السياسية السابقة من الاتحاد
الاشتراكى العربى ومن أجهزة الاعلام ومن الجيش باعتبارهم مراكز
قوى • وتم تشكيل منابر ثلاثة داخل الاتحاد الاشتراكى من أجل
ممارسة الديمقراطية ، حجر العثرة فى النظام السابق ، وضد احتكار
حرية الرأى • فاذا كان المبدأ السادس للثورة ، اقامة حياة ديمقراطية
سليمة قد تعطل فى الستينات نظرا لمعارك النضال المتواصلة التى
خاضتها الثورة وانشغالها بالبناء الداخلى فانه يعود الآن بفضل
القيادة السياسية الجديدة على أسس ثلاثة : الوحدة الوطنية ،
والسلام الاجتماعى ، وحتمية الحل الاشتراكى • كان الهدف من المبدأين
الاولين استقرار المجتمع والغاء للفروق بين الطبقات • وكان الثالث
مجرد أثر باق من آثار الستينات على مستوى الالفاظ والشعارات •
وقد رفعت شعارات جديدة تهدف أيضا الى استقرار المجتمع والدفاع
عن الوضع القائم مثل « تقنين الثورة » ، « الشرعية الدستورية » فى
مقابل الشرعية الثورية ، « سيادة القانون » ، « دولة المؤسسات »
••• الخ • كما تم الغاء تصنيف النظم العربية بين نظم تقدمية ونظم
رجعية ، وسمى « الاتحاد الاشتراكى العربى » الاتحاد الاشتراكى
فقط (٢٧) •

(٣٧) وقد تم تقنين هذا الاتجاه بعد ذلك فى كتيب صغير بعنوان
« الاشتراكية الديموقراطية » فى الصفحات القليلة عن الوحدة العربية
واكده « احتجاج » مصر بعد مبادرة السلام واتفاقات كامب ديفيد ومعهذه
الصلح مع اسرائيل س ١ ص ٢٧٤ ص ٣٣٠ — ٣٣٤ ص ٣٤١ ص ٣٥١ —
٣٥٣ ص ٣٦٦ — ٣٦٧ ص ٣٨٥ ص ٣٩٧ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ ص ٥٠٦ ص
٥٣٠ س ٢ ص ٨١ ص ١١١ ص ٢٢٥ — ٢٢٧ ص ٣ ص ٩١ •

وقد بدأ التراجع الاقتصادي عن الستينات باطلاق يد القطاع الخاص على حساب القطاع العام ، وبالرغبة في تفتيت القطاع العام بدعوى خسائر الشركات ، وبوضع حد لتدخل الدولة كشريك في الشركات الاجنبية والتنازل عن دورها في المشاركة في رأس المال الوطنى والاجنبى ، وبانهاء التخطيط ، وبتخفيض الدعم ، وبرفع الحماية عن الصناعة الوطنية ، وفتح الباب على مصراعيه للاستيراد . . . الخ . وتحولت الاشتراكية الى مجرد رؤية أخلاقية غامضة ، ولم تعد نظاما اقتصاديا . وقد تم تطبيق تكافؤ الفرص في الخدمات الاجتماعية وحدها مثل التعليم وليس في توزيع الدخل القومى . لم تعد العدالة ذات مضمون اجتماعى بل أصبحت لفظا عاما مرتبطا بالسلام والحرية في العلاقات الدولية . وأصبح التعريف المشهور للاشتراكية في الستينات على أنها كفاية وعدل أقرب الى الكفاية منها الى العدل ، وتحولت الثورة الاشتراكية الى مجرد ثورة ادارية لم تنتم (٣٨) .

(ب) سياسة الانفتاح (١٩٧٣) .

تمت صياغة هذا اللفظ الجديد « الانفتاح » لوصف النظام الجديد بعد التراجع عن اشتراكية الستينات التى كانت تقوم على سياسة الانغلاق (٣٩) . والانفتاح لدى القيادة السياسية الجديدة ضرورة عملية

(٣٨) س ١ ص ٥٨ ص ٣٥٨ ص ٥١٨ — ٥١٩ س ٥١٩ س ٢ ص ٢٦ ص ٤٤ ص ٦٣ ص ١١٢ ص ١٨٣ ص ٢٨٧ ص ٢٩٨ س ٣ ص ٣١٨ .

(٣٩) استعملت القيادة السياسية لأول مرة « الانفتاح » في مايو ١٩٧٣ ردا على سؤال صحفى يوغوسلافى عما اذا كان الرئيس يمينيا أم يسارا ، ضرب الرئيس المثل بسياسة تيتو الاقتصادية بعد معركته مع ستالين . وبعد ذلك بسنتين ضرب المثل بروسيا واستيرادها للتكنولوجيا الغربية . س ٢ ص ٣ س ٤ ص ١٦٨ س ٥ ص ١٩ -- ٣٠ ص ٢٣٧ .

أثر منه مغبوما نظريا ، يتحول فيها حرمان الشعب في الستينات
وهداسة الانغلاق الى اشباع في النظام الجديد في السبعينات ، وتحتوى
هذه السياسة الجديدة على عنصرين : عنصر عام وهو التكنولوجيا
المغربية التى يجب استيرادها وتعلمها ، وعنصر خاص وهى المواد
المحلية والثروات الطبيعية التى يجب استغلالها بمساعدة رأس المال
المغربى . فالغرب عامل حقيقى لتقدم العالم ، وصورته فى ذهن القيادة
السياسية الجديدة صورة الالكترونيات أى الصناعات الدقيقة المثلة
فى « الترنزستور » !

وقد تم تطبيق سياسة الانفتاح فى كل القطاعات : الاقتصاد الحر
فى الزراعة والصناعة والتجارة والسياحة والبنوك والتنقيب عن
البتروول . كما تم انشاء مناطق ومدن حرة لهذا الغرض . وهذا
يسمح ، طبقا للقيادة السياسية الجديدة ، باطلاق طاقات الشعب
المخالقة ضد البيروقراطية والروتين . وبالتالي تصبح مصر سوق
المقد الدولية . ولذلك كان لابد من توفير الاستقرار السياسى
والاجتماعى فى البلاد (٤٠) .

وبعد ثلاث سنوات ، تقدمت القيادة السياسية ذاتها سياسة
الانفتاح . فقد حدث اثناء سربح نتيجة للدخول الطفيلية لقلّة من
الناس . كما زادت الاسعار بسبب سيولة المال فى أيدي الطبقات
المتوسطة فخلقت عدم توازن بين زيادة الاسعار وزيادة الدخول

(٤٠) س ٢ ص ١٨٤ — ١٨٥ س ٣ ص ٣٢١ س ٥ ص ١٢٦ ص
٢٣٧ ، خطاب فى اللجنة المركزية مارس ١٩٧٦ ، خطاب الى الامة فبراير
١٩٧٧ يوليو ١٩٧٧ .

بالنسبة للطبقات الدنيا • بل ان التفرقة التي تمت فيما بعد بين الانفتاح الاستهلاكي والانفتاح الانتاجي لم تمنع من ظهور آثار الانفتاح على الطبقات الفقيرة • أصبحت المنتجات الوطنية بلا حماية مثل صناعة الادوية ، وصناعة الكاوتشوك ، وصناعة النسيج • وهدد التضخم الاستقرار الاجتماعي • كما اتسعت الهوة بين الطبقات ، وعم الفساد ، ووصل الى الوزراء ونواب الوزراء ورؤساء الوزارات • وقد صاحب السياسة الجديدة اعجاب بأسلوب الحياة وبالثقافة الغربية ، رؤية فردية للعالم تقوم على المنافسة والربح مع نسق تقليدي للقيم لتقوية الترابط الاجتماعي (٤١) •

(ج) الاشتراكية الديمقراطية (١٩٧٥) •

اذا كانت سياسة الانفتاح هي البديل عن التراجع عن اشتراكية الستينات فان الاشتراكية الديمقراطية هي البديل عن سياسة الستينات • لقد شعر النظام الجديد بحاجته الى صياغة أيديولوجيته الخاصة لاسباب ثلاثة : الاول ، معارضة نظام الستينات الذي تصفه القيادة السياسية الجديدة على أنه يمثل اشتراكية القهر أو اشتراكية السجون والتعذيب والمعنقات • وبالتالي فلن يخطيء الشعب في الاختيار بين النظامين • والثاني ، الإعلان عن الايديولوجية رسميا في يوليو ١٩٧٧ • وكانت المبادرة في نوفمبر من نفس العام ، كوسيلة للتقارب مع اسرائيل من خلال الاشتراكية الدولية • والثالث ، كانت

(٤١) س ١ ص ٥٤٨ ص ٥٧٧ — ٥٧٨ س ٥ ص ٨٢ — ٩٠ ص ١٢٦ ص ١٧١ — ١٧٣ ص ١٩٠ ص ١٩٢ — ٢٩٤ ص ٦٩٣ خطاب في المؤتمر الوطني للاتحاد الاشتراكي العربي ١١/٧/١٩٧١ ص ٢٦ — ٢٨ •

الايديولوجية تعبيرا عن الطبقة المتوسطة المكونة من التجار ورجال الاعمال والوسطاء والمقاولون وتجار الجملة وكل « الاغنياء الجدد » . وكان الكل في حاجة الى ايديولوجية لا تنقل روعة وعظمة عن اشتراكية الستينات وحتى لا يعملوا في فراغ نظري ودون أى ستار عقائدى(٤٢) .

ولقد فسرت القيادة السياسية الجديدة الطابع التجريبي البرجماتي لاشتراكية الستينات لصالحها الخاص من أجل التحول كلية عن الاشتراكية . وقد حدث هذا التحول بناء على ذرائع ثلاث : الاولى ، امكانية تغيير الاشتراكية طبقا للظروف القومية والدولية المتغيرة . والثانية ، حق كل فئة اجتماعية في التعبير عن ذاتها دون سيادة فئة اجتماعية على أخرى . والثالثة ، توجه كل الجهود نحو الانتاج وليس التوزيع لان ما يهم في الايديولوجية الجديدة هو التعمير وليس التوزيع . وقد بقى عدد كبير من الاجراءات الاشتراكية الصورية بلا تنفيذ(٤٣) . ولم تكن هناك ايديولوجية متنسقة ومتكاملة في ذلك الوقت بل كانت ومازالت في حيز التكوين . وكان الهدف من ورقة أكتوبر ١٩٧٤ تصفية اشتراكية الستينات . وكان الهدف من ورقة التطوير من نفس العام تصفية التنظيم السياسى في الستينات . كانت مهمة القيادة السياسية الجديدة الصراع مع اليسار والذي تتهمه بالحاد والعمالة للاتحاد السوفيتى(٤٤) .

(٤٢) س ٥ ص ٨١ — ٩٠ ص ٦٥١ — ٦٥٣ .

(٤٣) وذلك مثل تطبيق قانون الكسب غير المشروع ، التقصى عن الدخول الفردية لموظفى الدولة ، تحديد الاسعار للمواد الرئيسية . الخ .

(٤٤) س ١ ص ١٣٧ ص ٧١٦ س ١ ص ١٠٢ س ٣ ص ٢٢٢ س ٣ ص ٦١٤ ص ٥ ص ٧٨ ص ٨٢ — ٨٨ ص ١١٧ — ١١٨ ص ١٢٦ ص ٢٤١

=

وقد استخدمت القيادة السياسية الجديدة الدين كما استخدمته القيادة السياسية السابقة ولكن لتحقيق هدف مغاير وكعامل مساعد للتراجع عن الاشتراكية ، وكأحد مبررات اللامساواة الاجتماعية . فإذا كانت القيادة السياسية السابقة قد لجأت الى الدين لصد الهجمات الموجهة اليها من الخارج من الرجعية العربية فإن القيادة السياسية الجديدة قد لجأت اليه أيضا ضد المعارضة السياسية الموجهة اليها من الداخل ، من الناصريين والماركسيين والاشتراكيين والديمقراطيين والوحدويين والثوار المسلمين وكل القسوى التقدمية التي تود استمرار خط الستينات دون الارتداد عنه (٤٥) . وإذا كانت الرجعية العربية هي التي بدأت بالهجوم على القيادة السياسية السابقة متخذة الدين كسلاح سياسى فإن القيادة السياسية الجديدة هي التي بادرت بالهجوم على المعارضة السياسية مستعملة أيضا الدين كسلاح سياسى بالرغم من عدم لجوء المعارضة لهذا السلاح على الاطلاق ضد القيادة السياسية الجديدة (٤٦) .

وبناء على تحليل الخطاب السياسية تستخدم القيادة السياسية

ص ٢٤٨ ص ٢٩٧ ص ٦٥٤ ، خطاب في المؤتمر الوطنى للاتحاد الاشتراكى العربى ٢٢ / ٧ / ١٩٧١ ص ١١٧ — ١١٩ خطاب في مجلس الشعب ١٣ / ١٠ / ١٩٧٥ ص ١٣ — ١٤ خطاب في اللجنة المركزية ٢٠ / ١١ / ١٩٧٥ ص ٢ — ٨ ص ٣٦ — ٣٧ خطاب في مجلس الشعب ١٤ / ٨ / ١٩٧٦ ص ٢٥ خطاب في الذكرى السابعة لعبد الناصر ٢٨ / ٩ / ١٩٧٧ ص ٩ .

(٤٥) وقد اتحد الجميع في « التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى » .

(٤٦) حدث الهجوم والهجوم المضاد خاصة بعد انتفاضة يناير ١٩٧٧ وتحديدهم للنظام .

الدين بطريقتين : الاولى ، نشر القيم الدينية التقليدية مثل الايمان والصبر والحب والاخاء ... الخ والتي ليس لها علاقة مباشرة بتوزيع الدخل مثل المساواة والعدالة الاجتماعية بل علاقة غير مباشرة كموجهات وبواعث لقبول الوضع القائم الذى يقوم على اللامساواة والمظلم الاجتماعى . والذاتية ، الهجوم على الالحاد من أجل تشويه صورة المعارضة السياسية أمام أعين الشعب وزعزعة ثقته به . ويمكن بيان كيفية استخدام القيادة السياسية الجديدة للدين بالنقاط الاساسية الآتية :

١ - أخذ الموضوع المشهور فى الستينات «الاسلام والاشتراكية» منحى جديدا . فاشتراكية الستينات تتعارض تعارضا جذريا مع الاشتراكية « الحقيقية » . اذ يمكن ضمان حقوق الفقراء من الاغنياء دون حقد أو دون استعمال العنف عن طريق المحبة والاخاء ! ولقد أعطت الشريعة الاسلامية رئيس الدولة الحق فى أخذ فضول أموال الاغنياء دون حقد أو حسد كما كان الحال فى اشتراكية الستينات (٤٧) . كان هدف القيادة السياسية الجديدة هو انتزاع دافع الصراع الاجتماعى من الدين واستعماله من أجل الترابط الاجتماعى دفاعا عن الوضع القائم .

٢ - حاولت القيادة السياسية الجديدة أحيانا أن تجد أسسا دبنية للقرارات الاقتصادية فطالبت مثلا باعادة النظر فى قانون الضرائب من أجل تحقيق قدر أكبر من العدالة الاجتماعية ببناء على

(٤٧) خطاب الى المواطنين فى الاسماعيلية ، مسجد الشفاء مارس

نظرية الاستخلاف ! والحقيقة أنه لا توجد أية صلة بين موضوع إعادة النظر في قانون الضرائب وبين هذه النظرية المذكورة التي أصبحت غطاء يستعمله من يشاء لاضفاء الشرعية على مشروعه الاقتصادي الاشتراكي أو الرأسمالي * بل ان السياسة الجديدة التي لا تتشعب بأى حرج فى أن يكسب الانسان ما يشاء بشرط أن يدفع الضرائب على ما يكسب (أو أن يتهرب منها) لا ترتبط فى كثير أو فى قليل ، من قريب أو من بعيد ، بالاشتراكية أو بالاسلام بل تعبر عن توجه رأسمالى خالص واقتصاد حر تم الاعلان عنه فى سياسة الانفتاح تحت شعار دينى من أجل أن يزداد الاقتناع بها على نحو عقائدى (٤٨) *

٣ — معظم القيم التي روجتها القيادة السياسية الجديدة مثل الايمان والصبر والقضاء والقدر والتوكل والعون الالهى والحب ذو طابع سلبي * القصد منها اعداد الجماهير للتسليم بأى قرار سياسى يأتى من أعلى * كما تكشف هذه القيم عن علاقة فردية خالصة بين الانسان والله ، وليس منها ما يعبر عن علاقة اجتماعية بين الانسان والانسان * فهى أقرب الى العبادات منها الى المعاملات * وهذا هو الطابع العام الغالب على كل الايديولوجيات المحافظة ذات الطابع الصوفى الاخلاقى الباطنى الفردى * الهدف منها القضاء على الجوانب الاجتماعية فى الدين والابقاء على الجوانب الفردية * وبالتالي تتم التضحية بالعالم الخارجى (المجتمع) فى سبيل العالم الداخلى (الفرد)

(٤٨) أعطى Hudson أهمية خاصة على تصور كالفن للعلاقة بين

الانسان والله ، والانسان كخليفة ، والله كمالك

R. Robertsom : The Sociological Interpretation of Religion, P. 174
Schocken, New York 1972.

م ١٦ — الدين والتنبيه القوية

• وكأن الاخلاق الفردية هو الحل للمآسى الاجتماعية (٤٩) •

٤ — بالمقارنة باشتراكية الستينات التى كان شعارها « شريعة العدل شريعة الله » لم تذكر القيادة السياسية الجديدة « شريعة العدل » كما أصبحت «شريعة الله» صورية خالصة (٥٠) • فاذا أشارت مثلا الى الزكاة كاجراء اجتماعى فى الاسلام وكفرض لتحقيق التكافل الاجتماعى ولتنمية الريف فانها تعنى الفرض الدينى أكثر من الاجراء الاجتماعى، ومن ثم حدث هذا الفصل بين الدين والقضية الاجتماعية ، وأصبح كل منهما ميدانا قائما بذاته لا رابط بينهما الا الاحسان والصدقة وفعل الخير للناس (٥١) •

٥ — وقفت القيادة السياسية ضد أى محاولة لاستعمال الدين

(٤٩) اذا كانت دعوى فيبر فى « الاخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية » صحيحة تكون الاخلاق التى دعت لها القيادة السياسية فى السبعينات مشابهة للاخلاق عند كالفن : فالفداء ، والاختيار ، والزهد ، والتقوى قيم متشابهة فى كلتا الحالتين « ويبدو أن التنوى الخالصة مرتبطة بروح الرأسمالية وبمنظرة انسانية عندما تجابه مشاكل العالم الاجتماعى » .

Glenski : the Religious factor P. 329, Doubleday, New York, 1971, R. H. Tawney : Religion and the Rise of Capitalism, Puritanism and society p. 165 — 75. N. A. L. New York, 1954; N. I. Kitch : Capitalism and Reformation p. 151 — 62, Barnes & Noble, New York, 1967; N. Weber : L'Ethique Protstante et L'esprit du Capitalism, Plm, Paris, 1964.

د . حسن حنفى : الدين والرأسمالية • قضايا معاصرة ج ٢ فى فكرنا المعاصر ص ٢٧٣ — ٢٩٤ دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٧ •

(٥٠) صحيح أن هذا التفسير اليائنى للدين بدأ فى الستينات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ولكن على نحو مؤقت كما يحدث فى كل حضارة فى وقت الهزيمة ، داخليا أو خارجيا كالتصوف فى الاسلام «والمشيانية» فى اليهودية .

(٥١) س ٥ ص ٨٢ — ٨٣ •

لصالح قضية العدالة الاجتماعية كما يفعل الثوار المسلمون أو لاجل المعارضة السياسية كما يفعل الاخوان المسلمون • وتصورت الدين على أنه شعائر خالصة لا شأن لها بالسياسة • كما بقت معظم الافكار الاشتراكية على مستوى الالفاظ • فما أسهل الزايدة على شعارات المستينات • فللفقراء حق في أموال الاغنياء طالما أن هذا الحق لا يتجاوز مستوى الكلمات • أما الواقع فانه يتخذ مسارا مخالفا في سياسة الانفتاح والاقتصاد الحر • والحقيقة أن العدالة الاجتماعية في الاسلام ليست فقط ايراد سلسلة من الحجج النصية عليها بل ما يحدث في الواقع بالفعل تطبيقا لتوجيهات هذه النصوص (٥٢) •

٦ — أصبح التمييز بين الاشتراكية (التي لم تعد توصف بأنها عربية أو علمية كما كان الحال في الستينات بل أنها ديمقراطية) والماركسية أحد مرتكزات النظام السياسى الجديد • فالماركسية كما تراها القيادة السياسية الجديدة تنكر الدين بالرغم من الادعاء بأن هذا الموقف الماركسى الاول قد تغير فيما بعد • ولكن لم يصدر حتى الآن أى قرار رسمى فى هذا الموضوع لتأكيد هذا التبدل فى الموقف (٥٢) !

(٥٢) الدين لدور العبادة والسياسة للمؤسسات السياسية • والدين أيضا كما تراه القيادة السياسية فى السبعينات ميدانه الفلسفة والتأمل وليس الممارسة السياسية والاجتماعية • أرادت القيادة الليانية تفرغ الدين من فاعليته ونشاطه لقطع الطريق على المعارضة السياسية يمينيا ويسارا • ولذلك اعتبرت الخمينى عدوها الاول •

(٥٣) ترى القيادة السياسية فى السبعينات أن المعارضة السياسية واقعة تحت تأثير الماركسية الملحدة • وقد رفض الشعب مثل هذه الافكار السيئة الملحدة لانه شعب مؤمن • خطاب الى الامة ٢٣ / ٢ / ١٩٧٧ ص ١٠ خطاب فى مجلس الشعب ١١/٩/١٩٧٧ ص ١٥ خطاب فى الاتحاد الاشتراكى العربى مارس ١٩٧٦ ص ٧٩ خطاب فى مجلس الشعب ٣/٤/١٩٧٦ ص

وما أكثر الدراسات عن الماركسية والدين وكيف أن الدين يستخدم أحيانا « أفيونا للشعب » كما أنه يكون أحيانا « صرخة المضطهدين » طبقا للاوضاع الاجتماعية واستخدامات السلطتين الدينية والسياسية له لصالح الاقلية ضد الاغلبية أم لصالح الاغلبية ضد الاقلية •

٧ — ظهرت الاخلاقيات « الابوية » لتكشف عن الطابع الاوتوقراطي للنظام مثل احترام رب الاسرة ، وكبير العالة ، ورئيس الدولة ، وأستاذ الجامعة ، وامام المسجد ، والوزير المسؤول ، وخفير القرية ، وشرطى الطريق ... الخ • وكلهم يمثلون الصورة الابوية التى على كل انسان احترامها وطاعتها(ه) • والخروج عليهم خروج على التقاليد، ونقدهم نيل من المؤسسات التى يمثلونها • ولذلك كانت « أخلاق القرية » أفضل من أخلاق المدينة ، وأخلاق الفلاح أقوم من أخلاق العامل ، والمطيع للسلطة أكثر صلاحية من المعارض لها •

٨ — أصبح العلم والايمان شعارا للدولة الحديثة • والحقيقة أن العلم مفهوم غربى فى أذهان الناس ، ويغسح المجال للتكنولوجيا

(٥٤) ترى القيادة السياسية فى السبعينات أن أفضل الافلام فيلم « وبالوالدين احسانا » حيث يعود فيه الابن تائبا الى الوالدين طالبا العفو والمغفرة لعصيانه • وأسوأ فيلم أو جريدة أو حزب سياسى أو طلبة أو عمال أو نقابة صحفيين أو نقابة محامين ... الخ هو الذى يقوم بعملية النقد الاجتماعى • كل ثورة ضد السلطة عيب • وعلى كل صحفى ونائب وطالب وكاتب وسياسى ... الخ أن يتبع القيم التقليدية مثل احترام السلطة وطاعتها والأخضع سلوكه لقانون العيب • وطالبت القيادة السياسية من مجلس الشعب اصدار « قانون العيب » وتكوين لجنة برلمانية للقيام بفرض سلوك النواب الذين ينتقدون أو يعارضون وكأن أخلاق الشعب هى أخلاق القبول وليست أخلاق الرفض •

الغربية • واستيراد التكنولوجيا يشابه استيراد البضائع الكمالية
واستيراد أنماط الاستهلاك الغربى كما بدت فى سياسة الانفتاح •
والايمن قيمة تقليدية تقبلها الجماهير على الاطلاق وتجعلها مطيعة
طبيعة ، مستعدة لقبول ما تعطيه لها أية سلطة خارجية ، الغرب أو
السلطة السياسية أو الارادة الالهية • ويستعمل الايمان هنا كباب
خلفى يدخل منه التغريب (وما يتعلق به من رأسمالية واستعمار)
والتسلط • والحقيقة أن الايمان بهذا المفهوم التقليدى لا يساعد
الشعب على النضال من أجل التغيير الاجتماعى أو على الابداع من أجل
خلق علومه الخاصة المرتبطة بقضايا الوطنىة (٥٥) •

وبينما استعملت القيادة السياسية فى الستينات حججا عقلية
تعتمد على سلطة العقل وحده استعملت القيادة السياسية فى السبعينات
حججا نصية تعتمد على سلطة الكتاب • كذلك ظهرت النصوص الدينية
فى خطب القيادة السياسية الجديدة أكثر من ظهورها فى خطب القيادة
السياسية السابقة • وكانت هذه النصوص تقوم بوظيفة التحليل
الاجتماعى والاقتصادى فى الخطابة السياسية • وقد تم استبعاد
الاحصائيات حتى لا تعكس الصورة الفعلية لسوء توزيع الثروة •
وبينما تتجه النصوص الدينية عادة نحو المشاعر الدينية تزييفا للوعى
فان التحليل الاجتماعى السياسى القائم على المادة الاحصائية غالبا

(٥٥) لذلك سهل اتهام أى معارضة سياسية بنقص الايمان وبالالحد
وبالعمالة للاتحاد السوفيتى • والايمن هو قبول الارادة الالهية أى استحالة
المعارضة • والحقيقة أن تصور القيادة السياسية فى الستينات لارادة
التغيير قد يكون المضمون الحقيقى للايمان بلا نفاق •

ما يتجه الى العقل توعية للجماهير(٥٦) .

وعلى هذا فان استخدام القيادة السياسية للدين كاجراء دفاعى سواء للدفاع عن المساواة الاجتماعية ضد الرجعية العربية فى الستينات أو للدفاع عن اللامساواة الاجتماعية ضد المعارضة السياسية فى السبعينات كان فى حقيقة الامر دعاية سياسية فى أجهزة الاعلام لاقتناع الجماهير بمشروعية قرارات السلطة السياسية أو بمشروعية وجودها ذاته وليس كعامل مؤثر تأثيرا مباشرا فى توزيع الدخل القومى .

ثالثا : المؤسسة الدينية واستخدام الدين لتبرير قرارات القيادة السياسية :

المؤسسات الدينية والعلمانية فى العالم العربى والاسلامى باستثناء ايران والدولة الشيعية ، جزء من الدولة . فالعلماء والكتاب والاساتذة والصحفيون والفنانون . . . الخ موظفون فى الدولة . لم تكن المؤسسات مستقلة بل كانت تتبع السلطة السياسية وتبرر قراراتها الاجتماعية والسياسية(٥٧) . وهذا اقرار بواقع تاريخى سياسى

(٥٦) اعتادت الخطب السياسية فى السبعينات أن تنتهى بآيات قرآنية تفيد معنى التواضع واحتمال الخطأ ، وتسأل الله العون والهداية وتذكر معنى زوال الحياء وفناء الدنيا . . . الخ تمهنا للجماهير وطلبنا لثقتها . والحقيقة أن مظاهر والفاظ التواضع هذه انما تكشف عن رغبة دقيقة للسيطرة واحساس بالعظمة والغرور .

(٥٧) « ان اتجاه الاسرة الحاكمة أو الحاكم الفردى سواء كان سنيا أو خارجيا كان دائما وفى كل مكان عاملا محددًا للعلاقة بين الدين والدولة فى الاسلام » .

J. Wach : Sociology of Religion P. 306, University of Chicago Press, Chicago, 1967.

اجتماعى وليس حكما على أصل الشرع الذى أعطى الاستقلال الكامل
للسلطة القضائية وعدم جواز عزل قاضى القضاة بعد تعيينه •

وقد نفت القيادة السياسية فى الستينات والسبعينات على حد
سواء علنا تدخلها فى شؤون رجال الدين • ومع ذلك لم يكن الامر
كذلك بالفعل • ففى الستينات أصدر الازهر فتوى ضد قاسم فى العراق
منتهما اياه بالاحاد • كما أصدر فقهاء العراق فتوى مضادة ضد
فقهاء مصر ! وسواء أصدر رجال الدين هنا أو هناك هذه الفتوى
بناء على طلب السلطة السياسية أو بمبادرتهم الخاصة فالنتيجة واحدة
وهى أنهم يسيرون فى ركاب السلطة السياسية ويعملون على تبرير
قراراتها (٥٨) •

وقد استخدمت المؤسسات الدينية فى الستينات الدين من أجل
الدفاع عن الاشتراكية (٥٩) • كما أدخلت المؤسسات العلمانية مثل

« فى العالم الاسلامى يأتى تهديد الاوضاع المستقلة للدين من
الحكومة » « وتسود الحكومة الآن ... هذه المؤسسة .. »

Smith : Op. Cit. P. 204.

الدينية (الازهر) • فهو فى الحقيقة آلة طبيعة فى يد الحكومة وعاجز عن
أن يقوم بأى فعل مستقل كجماعة ضاغطة لها مصالحها الخاصة »

Smith : Op. Cit. P. 129 — 30.

(٥٨) وزير الاوقاف ، شيخ الازهر ، رئيس مجمع البحوث الاسلامية،
السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى ، ائمة المساجد ، وزير الاعلام ، رئيس
هيئة الاذاعة والتليفزيون ، رؤساء تحرير الصحف والصحفيون ، رؤساء
الجامعات ورئيس الحزب الحاكم ، كل هؤلاء موظفين فى الدولة •

(٥٩) « وقد شعر مشايخ جامعة الازهر حديثا بأن عليهم الاسراع
باصدار فتاوى لبيان الشرعية الاسلامية لبعض سياسات ناصر الثورية »

D. E. Smith, Op. Cit. P. 43.

الجامعات والمؤسسات السياسية والجمعيات العلمية ومراكز الأبحاث
••• الخ الدين في برامجها التعليمية ونشاطاتها الثقافية لإثبات الطابع
التقدمي للإسلام وبيان الجوانب الاجتماعية فيه •

فقد أقر مجمع البحوث الإسلامية وضع حد أقصى للملكية في
الإسلام • وأعطى رئيس الدولة الحق في التأميم عندما تصبح الملكية
الفردية ضد المصالح العامة بناء على عدة مبررات منها : تحريم
الإسلام الملكية المطلقة ، ومصادرته لأموال المعتوه والأبله ولكل من
يسئ استعمال الثروة ، وتحريم الإسلام ملكية الأرض دون استغلالها،
وتحريمه تجميع الملكيات الكبيرة في أيدي القلة من الملاك وترك الأغلبية
من الفلاحين المعدمين بلا أرض كأجراء زراعيين ، وتحريم الإسلام
تكديس الأموال في أيدي القلة تفادياً لمخاطر الاحتكار والاستغلال ،
وضرورة رد الأموال المغتصبة لأصحابها الحقيقيين والا تجب على
الدولة مصادرتها ، وحق السلطة السياسية في فرض ضرائب على
الأغنياء للمصالح العام (١٠) •

ونشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مؤلفات كثيرة للدفاع
عن اشتراكية الستينات على أسس إسلامية • كما نشر « الميثاق
الوطني » في أحد أعداد سلسلة «دراسات وبحوث إسلامية» وكأنه

« وقد كانت هذه فتوى محمود شلتوت « الاشتراكية والإسلام »
فقد ربط الأزهر نفسه دائماً بسياسات الحكومة القائمة . فالاشتراكية
الإسلامية متطابقة مع الشريعة الإسلامية » .

K. H. Karpat : Political and social Thought in the contemporary
Middle East, p. 129 — 32, Praeger, New York, 1968.

(٦٠) الأهرام ١٠/٣/١٩٦٤ ، ٦/٤/١٩٦٤ .

وثيقة اسلامية أصيلة • كما نشرت عدة كتيبات تأخذ شعارات اشتراكية
السياسيات عناوين لها مثل « نداء الميثاق الوطني نداء الاسلام » ،
« شريعة العدل شريعة الله » • كما صدرت دراسات أخرى تعرض
الافكار الاسلامية حول المساواة ووسائل محاربة الجوع (١١) • كما
نشر المجلس كتبا اسلامية عن القومية العربية التي يظهر فيها الاسلام
كدعامتها الاساسية (١٢) •

ووزعت وزارة الاوقاف على كل خطباء المساجد خطب الجمعة
وموضوعها الايشرارية في الاسلام ، ومفاهيم العدالة الاجتماعية
والمساواة • ونشرت سلسلتان « مكتبة الامام » ، « زاد الخطيب »
لاعطاء نماذج موحدة لخطب الجمعة حول الموضوعات الاجتماعية في
الاسلام مثل العدالة الاجتماعية والمساواة في الاسلام ، وتقديس العمل
في الاسلام ، وحقوق العمال في الاسلام ، والقيم الاجتماعية في
الاسلام ، وتحذير الاسلام من زيادة الاستهلاك •

وأنشأ الاتحاد الاشتراكي العربي مكتبا خاصا للشؤون الدسنية
للقيام بحملة دعائية حول موضوع الاسلام والاشترارية وللهجوم على

(٦١) وهناك بعض المؤلفات الاخرى مثل : دراسات في الاسلام ،
الاسلام والنظم الاقتصادية ، الاشرارية في الاسلام والاشترارية في الغرب ،
الربا بين الاقتصاد والدين ، مجتمعنا الجديد والشريعة الاسلامية ، الفرد
في المجتمع الانساني ، حدود الملكية الخاصة في الاسلام ، الاسلام والتحرر
من الجوع ، المناهج الاسلامية في الاقتصاد والتوفير •

(٦٢) بعض هذه المؤلفات مثل القومية العربية في الاطار الاسلامي
والواقع العربي ، التكافل والتضامن الاجتماعي في الاسلام ، فلسفة الحرية
في الاسلام ، اثر الشريعة الاسلامية في الوحدة العربية ، الحرية عند
العرب ، العمل في « الميثاق » ، الاسلام نظام انساني •

الرجعية العربية وكشف استخدامها للدين لاستغلال الجماهير العربية • وعقد المكتب اجتماعات دورية مع العلماء وأئمة المساجد ومفتشيها لاعطائهم توجيهات أيديولوجية لتبليغها الى المصلين • كما نظم المكتب عدة محاضرات وندوات حول الاسلام والاشتراكية • ونشرت المجلة الاسبوعية « الاشتراكي » التي كانت تصدر في ذلك الوقت عدة مقالات عن الدين والاشتراكية والرد على التفسير الرجعي للاسلام • كما تضمنت الكتيبات التي يصدرها الاتحاد العربي الاشتراكي لتثقيف أعضاء منظمة الشباب في دوراتهم التدريبية عدة فقرات حول الطلـ التقدمي للاسلام مماثلة للفقرات التي وردت في « الميثاق الوطني » حول الدين والتقدم بوجه عام •

وقد انضمت المؤسسات العلمانية الى الحركة بل ونافست المؤسسات الدينية ذاتها • فقد أدخلت الجامعات مادة « الاشتراكية العربية » ضمن مقرراتها بعناوين مختلفة مثل « ثورة ٢٣ يوليو » ، « القومية العربية » ، « الاشتراكية العربية » ، « المقرر القومي » • وأصبحت وسيلة لتأليف كتب جامعية توزع بالآلاف ويكسب من ورائها الاساتذة آلاف أخرى • كما نافس أساتذة الجامعات رجال الدين ، وألّفوا في موضوع « الاسلام والماركسية » (٦٣) • عمل الاساتذة والعلماء معا لخدمة السلطة السياسية ، وتناسوا خلافاتهم القديمة حول التحديث والعلمانية • وقد نشرت معظم المجلات الشهرية التي تصدرها وزارة الثقافة ووزارة الاوقاف مقالات عدة في أعداد خاصة

(٦٣) محمد عرفة (عضو هيئة كبار العلماء) الاسلام أو الشيوعية ؟

عن «الاسلام والاشتراكية» (٦٤) * وقد تابع كل الكتاب القيادة السياسية في الدفاع عن الاشتراكية والهجوم على خصومها * وصدرت عدة كتب دعائية بعد ١٩٦٢ عن «الاسلام والاشتراكية» يكرر كل منها الآخر وتنفيذا لسياسة الدولة (٦٥) * ولا يكاد يخلو كتاب واحد عن الاشتراكية الا وفيه فصل عن الاشتراكية الاسلامية أو عن الاسس الاشتراكية في التراث الروحي الاسلامي (٦٦) * وقد كان الهدف من كل

(٦٤) فؤاد زكريا : الاشتراكية والقيم الروحية ، الفكر المعاصر ، اكتوبر ١٩٦٩ . أحمد عباس صالح : اليمين واليسار في الاسلام ، الكاتب . فوزى منصور : التفسير الاسلامي للاسلام ، لطبقات اجتماعية في الاسلام ، الطليعة ، محمد أحمد خلف الله : الديمقراطية في الشريعة الاسلامية ، الطليعة . المدنى : الاشتراكية الاسلامية ، مجلة الازهر ، نوفمبر ١٩٦١ . الشرباصى : النظام الضريبي في الاسلام ، مجلة الازهر ، العدد ١٢/١٩٦٢ ، العدد ١/١٩٦٣ ، الاسلام دين المساواة ، لواء الاسلام ، ١١/١٩٦٢ . الرافعى الاشتراكية الاسلامية ، نور الاسلام ١٢/١٩٦٢ ، ٩١/١٩٦٣ ، المصرى : الاقتصاد الاسلامى ، منبر الاسلام ١٢/١٩٦٣ ، الطنطاوى : الاشتراكية في الاسلام منبر الاسلام ١٢/١٩٦٢ ، البهى الخولى : الاسلام والتضامن الاجتماعى ٦/١٩٦٢ ، كمال أبو المجد : المعنى الانسانى في الاسلام ، منبر الاسلام ٦/١٩٦٢ . غالب : الاسلام ومبادئ التنظيم الاجتماعى ، ١٢/١٩٦٢ ، الجندى : العلاقة بين العزم والايمان في الاسلام ، منبر الاسلام ٢/١٩٧٤ .

(٦٥) الدورى : المنهج الاشتراكى في دعوة الاسلام ، ١٩٦٣ . أحمد فراج : الاسلام دين الاشتراكية ١٩٦١ ، عبد المجيد سعيد : الاسلام والمصادر العقلية للاشتراكية العربية ، ١٩٦٢ ، عبد الرحمن الشرقاوى : المبادئ الاشتراكية في الاسلام ، الهمشرى : مع الدين من أجل الاشتراكية ، ١٩٦٩ .

(٦٦) نوال السعداوى : الاشتراكية العربية والثورة الاشتراكية ، الاشتراكية الاسلامية ص ٢١ — ٣٩ . يحيى هويدى : الفلسفة في الميثاق ص ١١٩ — ١٣٠ ، عبد الرحمن نصير : العدالة الاجتماعية والدين والاخلاق ص ١٢ — ١٥ .

• هذه الكتابات اضافة الشرعية على عمليات التغير الاجتماعى (٦٧) •

وقد شاركت أجهزة الاعلام فى هذه الحملة • فقد أذيعت عدة برامج فى الاذاعة والتليفزيون عن موضوع « الاسلام والاشتراكية » وخصصت الصحف اليومية فى صفحاتها الدينية يوم الجمعة عدة مقالات عن العدالة الاجتماعية والمساواة فى الاسلام • وكانت المناسبات الدينية مثل العيدين ورأس السنة الهجرية ومولد آل البيت والاولياء مناسبات رائعة لمدح السلوك الاشتراكي الذى ضرب به الاولياء ! كما ألف الادباء عدة مسرحيات وقصص وروايات وقصائد حول الصراع بين الاغنياء والفقراء • كما شدا معظم الفنانين والفنانات بأغاني وطنية واجتماعية حول الاشتراكية وانجازاتها وحقوق العمال والفلاحين (٦٨) •

وقد لعبت المؤسسات الدينية والعلمانية فى السبعينات نفس

(٦٧) « كان الدافع على كثير من هذه الكتابات حول « الاسلام والاشتراكية » اعتبارات دفاعية ، والرغبة فى اقناع القارئ بأن كل الافكار النافعة الحديثة موجودة سلفا فى القرآن ، كانت معظم هذه الدراسات اذن سطحية من الناحية النظرية ، تميل الى اضافة الشرعية على التقليد وليس على التغير مثل القول بأن نبي الاسلام كان اكبر اشتراكي عرفه العالم • لم يطلق على اتباعه لفظ التلاميذ أو التابعين بل الاصحاب أى الرفاق » •

D. E. Smith : Op. Cit. P. 227 cited in W. C. Smith : Modern Islam in India; Social Analysis P. 105.

(٦٨) كتب بعض مشاهير الكتاب المسرحيين مثل نعمان عاشور « الناس اللى فوق » « الناس اللى تحت » • وكتب يوسف ادريس « المرافير » ، ونجيب محفوظ « اللص والكلاب » ؛ « السمان والخريف » • وقد عرف عبد الحليم حافظ بأغانيه عن الاشتراكية بأنه « مغنى الثورة » كما صور بعض الشعراء مظاهر الفقر فى مصر مثل صلاح عبد الصبور « انناس فى بلادى » ، عبد المعطى حجازى « مدينة بلا قلب » •

الدور ولكن بصورة أقل مما لعبته في الستينات لعدة أسباب (٦٩) .
الاول أن القيادة السياسية في السبعينات لم تكن في حاجة الى أى
تبرير دينى لهذا التراجع التدريجى عن اشتراكية الستينات نظرا
لان الطبقة الحاكمة كانت تجد في مصالحها الاقتصادية والسياسية
التي تدعمها الولايات المتحدة الامريكية والشركات المتعددة الجنسيات
أفضل دعامة لها . والدعامة المادية في النهاية أرسخ بكثير وأقوى
من الحملات الدعائية المنظمة التي لم تستطع بالرغم من شدتها وعلو
صوتها وملا ملايين من الصحفات ترويجا لها حماية اشتراكية الستينات
بعهد التراجع التدريجى عنها بفعل تغير القيادة السياسية . والذانى ،
أن النظام السياسى في السبعينات لم يكن له نفس القدر من التنظير
الايدىولوجى الذى كان للاشتراكية في الستينات (٧٠) . وبالتالي كان
من الصعب على المؤسسات الدينية والعلمانية في السبعينات الدفاع عن
نظام سياسى لا يقوم أساسا على دعائم ايدىولوجية بل على مصالح
الطبقات الاجتماعية الحاكمة . اذ يحتاج الدفاع النظرى الى نسق
من الافكار والعقائد يمكن فهمها وايجاد منطقتها ومبرراتها حتى يمكن
الدفاع عنها ، وبها قدر كاف من الصدق الفكرى والتعبير عن مصالح
الامة . والثالث ، لم يجد النظام السياسى في السبعينات العدد الكافى

(٦٩) ساهم عديد من هؤلاء الكتاب في عملية التراجع عن الخط
الاشتراكى في الستينات الى السبعينات ودافعوا عن النظام السياسى
الجديد بعد ان كانوا من اعمدة النظام السياسى السابق . وموظفو الدولة
على استعداد دائم لتبرير قراراتها لاسباب تتعلق بنقمة العيش .

(٧٠) مثل الاشتراكية الغربية ، عدم الانحياز ، القضاء على الاستعمار ،
مناهضة الصهيونية . . . الخ .

من التابعين السياسيين له كما كان الحال في الستينات بل وجد مهنيين وموظفين ورجال أعمال وأصحاب مصالح فعلية ومستفيدين من النظام القائم . لم يجد العدد الكافي من المنظرين السياسيين بعد أن ابتعدت معظم التيارات السياسية الأساسية وانزوت عن المشاركة في تدعيم النظام القائم سواء من الناصريين أو الماركسبين أو الليبراليين أو الاسلاميين .

ولذلك طلب من أساتذة الجامعات رسميا المساهمة في وضع عقيدة اشتراكية جديدة فأصدروا وثيقتين (٧١) . الاولى ، أصبح الدين فيها الدعامة الأساسية للايديولوجية الجديدة في مقابل أيديولوجية الستينات التي عبر عنها « الميثاق الوطني » . كما أصبح على الأقل على مستوى الالفاظ المصدر الرئيسي في التشريع في النظام الاجتماعي . وقد حاولت الوثيقتان صياغة نظرية التوازن باعتبارها العنصر الرئيسي في أيديولوجية الحزب الحاكم ، أولا حزب الوسط أو حزب مصر ، وأخيرا الحزب الوطني الديمقراطي . ويقع هذا التوازن بين الفرد والمجتمع ، بين القيم المادية والقيم الروحية ، بين الدنيا والآخرة ، وأخيرا بين العلم والايمان . والايمان في النهاية هو القادر على حفظ هذا التوازن في شتى مظاهره (٧٢) .

والحقيقة أن مفهوم التوازن مناقض تماما لمفاهيم التحويل

(٧١) « الاشتراكية الديمقراطية » ، المجلس الاعلى للجامعات ، (الكتاب الاخضر) يوليو ١٩٧٧ ، اشتراكيتنا الديمقراطية وايدولوجية ثورة ١٥ مايو (الكتاب الابيض) يوليو ١٩٧٨ .

(٧٢) اشتراكيتنا الديمقراطية ، مطابع جامعة القاهرة ص ١ — ٧ .

الإشتراكي والصراع الطبقي • يحدث التوازن بين جانبيين عندما يكون لهما نفس الثقل ، وهو ما لا يحدث الا في المجتمعات الطوباوية • انما الهدف من أيديولوجية التوازن هو الحفاظ على الوضع القائم الذي يقوم على عدم التوازن بين مصالح الطبقات باسم الدين • وبالرغم من استعمال عشرات من النصوص الدينية لتأييد مفاهيم التوازن والوسط والتوسط والاعتدال الا أنها تستعمل كلها كستار ديني على سوء توزيع الدخل القومي والثروة الوطنية • وكل محاولة لتحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية فإنها توصف بانها مناهضة للدين •

وفي الوثيقة الثانية « الاشتراكية الديمقراطية » يظهر نفس التصور القانوني للدين • اذ يسمح بوضع قيود على الملكية تضعها الدولة من أجل الصالح العام • فقد اتفق جمهور الفقهاء على نظرية « الاستخلاف » التي تعنى بمصطلحات العصر أن الملكية وظيفة اجتماعية • الله يملك كل شيء والانسان مستخلف فيه • للانسان حق الاستعمال والتصرف والاستثمار ولكن ليس له حق سوء التصرف والاستغلال أو الاحتكار • يقوم النظام الاسلامي على التكافل ، ويعطى الضمان الاجتماعي لكل مؤمن • وللفقراء حق في أموال الاغنياء (٧٣) • وقد يذكر لمثل هذه الايديولوجية بعض المحاسن على مستوى الفقه النظري ولكن المشكلة هو في تعارضها مع السياسات المنفذة بالفعل مثل الاقتصاد الحر وسياسة الانفتاح • وبالتالي ظل الدفاع الديني عن التكامل الاجتماعي لفظيا دون أى أثر على عملية اصدار القرار • وكانت وظيفته مجرد اعطاء الستار الديني لسياسات

(٧٣) الاشتراكية الديمقراطية ص ٤٣ — ٤٤ ، القاهرة ١٩٧٨ •

اجتماعية مضادة (٧٤) • -

وقد ظهرت معتقدات الطبقة العليا في كلتا الوثيقتين • فمثلا تحولت أخلاقيات العمل في الستينات الى أخلاقيات الطبقة المترفة في السبعينات • فبالرغم من أن العمل حق مقدس فانه لم يعتبر المصدر الوحيد للدخل • اذ يمكن الحصول على الثروة من العمل ولكن العمل ليس هو المصدر الوحيد للثروة • فالانسان ليس في حاجة لان يعمل ليعيش • وكأن النظرية هنا تفسح المجال للرشاوى والعمولات والمضاربات وجميع أنواع المفسد والكسب غير المشروع كمصادر شرعية للدخل • كما تسمح بتكوين رأس المال الطفيلي في الطبقات العليا والمتوسطة (٧٥) •

ولم تدافع المؤسسات الدينية والعلمانية عن سياسة الانفتاح في

(٧٤) مثلا : أولوية القطاع العام ، الغاء الدعم عن المواد الغذائية ، حرية التصدير والاستيراد ، رفع الحراسات عن ملاك الارضى السابقين ، واعادة البورصة وسوق الاوراق المالية . . . الخ .

(٧٥) الاشتراكية الديمقراطية ص ٧٧ ، اشتراكيتنا الديمقراطية ص ٢٨ ، وأثناء انتفاضة يناير ١٩٧٧ التي وصفتها القيادة السياسية بأنها انتفاضة « حرمة » وليس انتفاضة شعبية ، وفي ليالى منع التجول الثالث ، التي وزير الاوقاف الشيخ احمد متولى الشعرواى فى الراديو والتلفزيون خطبة ذات دلالة كبيرة ، وهو شخصيته تلفزيونية رئيسية ، متوحشا بالبيض ، وبلحية طويلة ، وبحركات مسرحية ، مبررا رفع الاسعار الذى كان السبب المباشر لانتفاضة الشعب . فالطبيب يصف الدواء للمريض ، وكذلك الحكومة ترفع الاسعار للشعب وكلاهما ييغى الشفاء . كما اذاع التلفزيون فى أول ليلة لمنع التجول مسرحيته « مدرسة المشاغبين » واصفا الطلبة بالحمق والغباء الذين يثفرون على اساتذتهم .

السبعينات لعدة أسباب * الاول ، أنه لم يكن من السهل التغاضي عن الجانب الاجتماعي في الاسلام ولوى الحقائق والنصوص الدامغة على اشتراكية الاسلام * والثانى ، أنه لم تكن هناك هجمات من الخارج ضد القيادة السياسية الجديدة تستخدم الدين ضد سياسات الاقتصاد الحر وبالتالي لم تنشأ الحاجة الى الرأى المضاد واستخدام نفس السلاح كما كان الامر فى الستينات (٧٦) * والثالث ، أن سياسة الانفتاح كانت تجد من يدافع عنها داخل البناء الاجتماعى ذاته وفى التركيب الطبقي للمجتمع دون ما حاجة الى سلاح نظرى عقائدى والتمويه لعى الناس بالدعاية والاعلان والدخول فى معارك عقائدية لا يأتى منها كسب ، والوقت هو المال (٧٧) *

ومع ذلك ، قامت أجهزة الاعلان بشن حملة دعائية تعد الشعب بالرخاء فى ١٩٨٠ م فى ١٩٨٢ ثم فى ١٩٨٥ وبانتهاء الازمة الاقتصادية كلية عام ٢٠٠٠ ، وبدأ الحديث عن مصر عام ٢٠٠٠ * حينئذ تصبح مصر قطعة من الولايات المتحدة الامريكية ، بعد الثورة الخضراء ، ومشروعات الامن الغذائى ، وتعمير الصحارى ، واستصلاح الاراضى ، وانشاء المدن الجديدة ، وتعمير السواحل شرقا وشمالا ، ورسم

(٧٦) لم تستعمل الدول العربية المحافظة الدين ضد القيادة السياسية فى السبعينات كما فعلت فى الستينات لانها كانت تقوم على نظام الاقتصاد الحر . كما أن البلاد العربية التقدمية لم تستعمل الدين بعد ارتداد القيادة السياسية فى السبعينات لانها كانت نظما علمانية .

(٧٧) اليسار الدينى فى مصر حتى الآن غير مرئى ، وله دور صغير جدا داخل أحزاب المعارضة وامكانياته للحركة ضئيلة للغاية .

خريطة جديدة لمصر ! كل ذلك أئسبه بخطط سحرية تحقق هذه الوعود •
هذا الخلاص الاقتصادي في المستقبل يعتمد على الخلاص الديني ،
الامل في المستقبل في حياة وفي عالم أفضل (٧٨) • وقد لاقت زيارة نيكسون
الى مصر في ١٩٧٤ ومبادرة السلام في ١٩٧٧ حماسا شديدا كمؤشرين
للخلاص القريب بالوفرة والرخاء • ثم استيقظ الشعب من أحلامه
وواجه أزمته الاقتصادية وثار على غلاء الاسعار كما صدرت في يناير
١٩٧٧ •

كما أصدرت بعض المؤسسات السياسية بعض التشريعات تعتمد
في الظاهر على الدين كعامل اجتماعي مسكن مثل قانون العقوبات ، ولم
يكن الهدف منه الدفاع عن الدين بقدر إيقاف عمليات التغيير
الاجتماعي (٧٩) • وقامت اللجان في مجلس الشعب لتقنين الشريعة
الاسلامية ابتداء من تحريم الخمر على المصريين وحدهم دون السياح
الاجانب بما فيهم الاخوة العرب وفي شهر رمضان وحده دون باقى
شهور السنة ! وحد الزانى ، وحد القاذف ، وحد قاطع الطريق ، وحد
الردة ، وحد تارك الصلاة والصيام • كلها حدود رادعة المقصد من سننها

(٧٨) وهذا معروف في علم الاجتماع الديني باسم « دين مركب البضاعة »
انظر د. حسن حنفي . الحوار الديني والورة ص ٣٢٥ — ٢٣٠ مكتبة
الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ (بالانجليزية) •

(٧٩) كان تطبيق الشريعة الاسلامية في ١٩٧٦ أحد التوجهات
الرئيسية لكل المؤسسات للعمل على تنفيذه . وقد ناقش مجلس الامة
القانون الجنائي في الاسلام وفي مقدمته قطع يد السارق ، وتحريم الخمر •
كما وافق مجلس الدولة في ١٩٧٧/٨/٦ على قانون الردة وعقوبة المخالف
فيه أما الاعدام أو عشر سنوات من السجن في حالة الردة المتكررة بعد
التوبة .

حصار طاقات الشعب ومنعه من الحركة خُشية أن تتحول طاقاته لصالح القضية الاجتماعية .

رابعاً : ثقافة الجماهير كاستمرار تاريخى متشابه للمساواة واللامساواة:

بالرغم من وجود اختلاف كبير واضح بين القيادة الثورية فى الستينيات والقيادة التقليدية فى السبعينات فان هذا الفرق يبدو أكثر ظهوراً على مستوى المؤسسات الدينية .

وبالرغم من أنها فى كلتا الحالتين أدت نفس الوظيفة وهو الدفاع عن القرارات السياسية الا أن الاختلاف بينها كان فى درجة الالتزام والحماس والافتتاع (بدرجة أقل فى السبعينات عنها فى الستينات) . أما على مستوى ثقافة الجماهير فلم يحدث الا تغيير طفيف . فقد ظلت ثقافة الجماهير كما كانت عليه منذ ألف عام استمراراً تاريخياً تقليدياً لم يتغير . وقد تم استخدامه أيضاً من القياذتين السياسيتين فى الستينات والسبعينات على حد سواء لتجنيد الجماهير تأييداً للسياسات المتبعة فى كلا العهدين .

وقد كان اللجوء الى ثقافة الجماهير نتيجة طبيعية لنوعية المجتمعات التقليدية . فالدين فيها تراث شعبى له فاعليته ، يسهل استخدامه لغرز عقائد جديدة فى الجماهير . وهو فى البلاد النامية يلعب نفس الدور الذى تلعبه الايديولوجيات السياسية فى البلاد المتقدمة . ثقافة الجماهير هى القنوات الطبيعية الموصلة بين القيادة والجماهير فيما وراء الاحزاب السياسية والمؤسسات الدستورية . ومن هنا أتت أهمية الخطابة السياسية فى التأثير على الجماهير وتغيير مسارها من اتجاه الى اتجاه مضاد فى يوم وليلة .

ولم تلجأ القيادة السياسية في الستينات الى استخدام ثقافة الجماهير كما فعلت القيادة السياسية الجديدة في السبعينات لعدة أسباب أهمها :

١ — كان للقيادة السياسية في الستينات طابع الزعامة « الكاريسمية » للتعبير عن آمال الجماهير ولتلبية احتياجاتها ، وكانت على اتصال مباشر بالجماهير تعبر عن مصالحها وتدافع عن كيانها • ولكن القيادة السياسية في السبعينات لم يكن لها نفس طابع الزعامة « الكاريسمية » حتى بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ • وبالتالي كانت في حاجة الى اقناع الجماهير بقيادتها بعد استبعاد أنصار القيادة السياسية السابقة في مايو ١٩٧١ • كانت في حاجة الى اصفاء الشرعية عليها فاتجهت نحو ثقافة الجماهير تجد فيها مطلبها • ولما كان الدين يمثل تيارا أساسيا في ثقافة الجماهير فان اللجوء اليه كن أسرع وسيلة للايحاء والاقناع •

٢ — لم تكن القيادة السياسية في الستينات في حاجة الى تقوية نظامها دفاعا عن ذاتها وهجوما على المعارضة السياسية باستعمال ثقافة الجماهير • كانت قوتها نابعة من شخصيتها التاريخية ومن قيادتها للعمل الوطني منذ ١٩٥٢ ومن زعامتها الثورية ومن جماهيرها العربية ومن تأييدها الشعبي (٨٠) • وعلى العكس من ذلك لم تكن القيادة السياسية في السبعينات بنفس الدرجة من القوة • فقد أتت بعد انقلاب صامت في السلطة في مايو ١٩٧١ بعد أن كانت معظم أجهزة

(٨٠) كما ظهر في اضعف لحظاته مثلا في ٩ / ١٠ يونيو ١٩٦٧ .

الدولة في أيدي الناصريين : الجيش ، والبوليس ، والمخابرات العامة ، والاتحاد الاشتراكي العربى ، والتنظيم الطليعى ، وأجهزة الاعلام ، وبالتالي لم يعد أمامها الا استعمال ثقافة الجماهير للحصول على التأييد الشعبى لها .

٣ — كانت الاهداف القومية للقيادة السياسية فى الستينات ، الحرية والاشتراكية والوحدة ، معبرة عن آمال الجماهير دون أدنى حاجة الى اقناع الناس بها . كانت الجماهير شغوفة بالحرية والعدالة الاجتماعية . ولكن القيادة السياسية فى السبعينات لم تضع لنفسها نفس الاهداف القومية ومن ثم كان عليها أن تجتذب الجماهير بشيء آخر . فلجأت الى الديمقراطية حجر العثرة فى النظام السابق . وحققت بعض التقدم أولا بالافراج عن المسجونين السياسيين وعدم الاخذ بالشبهات ولكنها كانت ديمقراطية صورية أو ديمقراطية « ذات أنياب » وأصبح لها فى النهاية نفس الطابع التسلطى الذى كان للقيادة السياسية السابقة مع اختلاف الاسلوب والمنهج اما بالاعتماد على أجهزة القمع أو بالاعتماد على القوانين والاستفتاءات الشعبية . وبعد أن حدث التراجع التدريجى عن الاشتراكية والتخطيط الى سياسة الانفتاح واقتصاد السوق الحر احتاجت هذه التحولات الى مبررات لاقتناع الجماهير لحشد تأييدها أو على الاقل قبولها لها . ومن ثم كان اللجوء الى ثقافة الجماهير أمرا لا بد منه .

٤ — كان نضال القيادة السياسية فى الستينات من أجل الاشتراكية يتم خارج مصر ضد الرجعية العربية الممثلة فى الملوك والامراء . ولم تكن بحاجة الى التوجه الى الشعب المصرى فى الداخل الذى كان يوافق على النظام الاشتراكي ويؤيده . وعلى العكس من ذلك كانت

معركة القيادة السياسية في السبعينات اقناع الشعب المصرى بشرعية قيادتها وبسياساتها الجديدة الداخلية والخارجية • ولما كانت الجماهير أمية سياسيا لجأت القيادة السياسية الجديدة الى أنساق القيم التقليدية كقنوات تعبر من خلالها عن مشروعاتها السياسية •

هـ — كان من السهل على القيادة السياسية في الستينات التعبير عن أفكارها السياسية للجماهير • فقد كان من السهل فهمها وقبولها • وعلى العكس من ذلك فقد كانت القيادة السياسية الجديدة في السبعينات في حاجة الى جهد كبير لاقتناع الشعب بالتحول عن اشتراكية الستينات ، وبداية سياسة الانفتاح ، وحصار المعارضة وعزلها عن الشعب ، ومنع ظهور قيادات سياسية شعبية تلقائية تواصل سياسة الستينات •

وهذا لا يعنى أن القيادة السياسية في الستينات لم تلجأ الى ثقافة الجماهير على الاطلاق • فالحقيقة أنها منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ لجأت الى ثلاث مفاهيم رئيسية مستمدة من ثقافة الجماهير وهي : الدين ، والايمان ، والقضاء والقدر • فقد أرادت أن تجعل الشعب يمتص بسهولة الهزيمة المروعة التي لحقت به وأن تبعث فيه الثقة بنصر قريب وسريع • كانت تبحث عن تأييد داخلى معنوى ضد العدو الخارجى ، اسرائيل ، ولم تستعمل هذه المقولات الدينية لمعالجة المشاكل الداخلية مثل توزيع الدخل • ولا يرجع السبب في لجوء القيادة السياسية في الستينات الى الدين الشعبى بسبب تربيتها الدينية بل كضرورة سياسية ملحة للتغلب على الهزيمة • وكانت معظم اشاراتها الى الدين الشعبى قصيرة ومكررة وباهتة دون أى مبرر عقلى أو وضوح نظرى •

وأول مفهوم استعملته القيادة السياسية في الستينات كان مفهوم الدين (٨١) • فالشعب المصرى كما تراه القيادة السياسية ، شعب متدين بل وأكثر شعوب الارض تدينا • فقد استطاع الدين تحقيق وحدة الشعب المصرى ، وكان الشعب مسلمين ومسيحيين فخورا بهذا التدين وبهذه الوحدة • وكانت القيادة السياسية باستمرار تشارك الجماهير فى التدين • وقد نجحت الثورة المصرية بسبب هذا العنصر المشترك بين القيادة والجماهير • كما استطاعت الثورة هزيمة أعدائها وحل المشاكل الرئيسية بسبب الدين • وهنا تضع القيادة السياسية يدها على نبض الجماهير • أصبح الدين هو قارب النجاة الذى ينقذ الشعب ويوصله الى شاطئ النجاة ويعطيه النصر • فالدين هو أحد الطرق التى تقود حياة الانسان وتهديه الى الصراط المستقيم لانه يعطيه القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ • لم يعتمد هذا التصور الصوفى الاخلاقى على الاقل لان العقل لا يستطيع بمفرده أن يصل الى هذه المعايير (٨٢) •

والمفهوم الثانى هو الايمان • صحيح أن « الميثاق الوطنى » ذكر خمس ضمانات للعمل الثورى : ارادة التغيير ، الطليعة الثورية ، الوعى العميق ، الفكر المتفتح ثم الايمان الذى لا يتزعزع بالله

(٨١) وقد كان ذلك أيضا رد فعل ضد النظام المعشى فى سوريا الذى وصف النظام المصرى فى الستينات بأنه نظام ملحد ! .

(٨٢) ن ٤ ص ٤١٣ — ٤١٥ ن ٥ ص ١٦٣ ن ٦ ص ٣٤٨ ص ٣٥٥ — ٣٨١ ص ٤٥٠ ن ٧ ص ٧٠ — ٧١ ص ١٢٧ « الميثاق الوطنى » ص ١٠ ص ١٣٤ • وقد استعملت القيادة السياسية فى السبعينات هذا المفهوم بكثرة لتقوية تصورها الشعائرى للدين لتفريغه من مضمونه الاجتماعى •

وبالرسالات السماوية التي استنقرت بعد هزيمة ١٩٦٧ • الايمان أقوى عاطفة في الانسان ، يمكن للانسان أن يضحى بنفسه من أجله • يستشهد الانسان في سبيل ايمانه وفي سبيل مثله الاعلى الذي وهبه الله اياه وفي سبيل الوطن وفي سبيل الامة • لقد لجأت القيادة السياسية الى الايمان من أجل اعادة التعبئة العنوية الى القوات بعد هزيمة ١٩٦٧ • فالايمن طريق النصر • والحقيقة أن الايمان بالله في ذلك الوقت كان يعنى الايمان بالبلاد • فكان له مدلول وطنى (٨٣) •

والمفهوم الثالث هو القضاء والقدر • فقد وقعت هزيمة ١٩٦٧ قضاء وقدرًا • واجابة على سؤال كيف استطاعت القيادة السياسية تحويل الهزيمة الى نصر كان الرد أن ذلك قد حدث بفضل الايمان بالقضاء والقدر • فقد توالى الهزائم على كل الدول وليس على مصر فقط • الهزيمة امتحان من الله • ولكن الايمان بالقضاء والقدر يتطلب العمل والجهد والصبر • وقد تضمن بيان ٣٠ مارس ١٨٦٨ الذى يقوم على النقد الذاتى هذه الرؤية القدرية ، فارادة الله فوق كل ارادة • حاولت القيادة السياسية أن تستعيد ثقة الشعب بها من خلال هذه القدرية كعقيدة شعبية بالرغم من معرفتها بالاسباب المادية والموضوعية للهزيمة مثل نقص الاستعداد الحربى ، والقرارات السياسية المتسرعة ••• الخ • ومع ذلك فقد استطاعت القيادة السياسية بناء الجيش واعادة النظر فى الاختيارات السياسية • لجأت الى القضاء والقدر كوسيلة سهلة وسريعة لاسترداد الثقة المفقودة بها • لم تستعمل هذه العقيدة لاية أغراض اجتماعية لايقاف عملية التحول الاجتماعى أو

للتراجع عن بعض القرارات السياسية الخاصة بالعدالة الاجتماعية (٨٤) * كانت السنوات الثلاث الاخيرة (١٩٦٧ — ١٩٧٠) عندما لجأت القيادة السياسية الى الدين كتيار أساسى فى ثقافة الجماهير نموذجا للقيادة السياسية الجديدة فى السبعينات فى لجؤها المستمر الى مقولات الدين فى ثقافة الجماهير * فقد استعملت نفس المقولات الدينية ، وزادت عليها غيرها * ولم يكن السبب فى ذلك هو الحصول على تأييد روحى ومعنوى ضد العدو الخارجى بل تدعيم السلطة الجديدة بالرغم من الاستفتاءات الشعبية الجديدة التى أعطتها أكثر من ٩٩٩ ٪ من التأييد الشعبى لكل قرارا أو قانون * كما استعملتها أيضا للطعن فى ذمة المعارضة السياسية والنيل من شرفها والتشكيك فى مقاصدها ، واثارة الشبهات حول ولائها لزرع الثقة منها وهى تحاول الدفاع عن الخط الاشتراكى الذى مثلته القيادة السياسية فى الستينات *

فالدين فى رأى القيادة السياسية الجديدة مجرد شعائر ، ولا يتطلب أى شىء الا اقامة الشعائر والفرائض * وقد استخدم هذا الاسلام الشعائرى أيضا فى المملكة العربية السعودية لنفس الاسباب ولتأدية نفس الغرض لابعاد انتباه الشعب عن الاسس الاجتماعية فى الاسلام * لذلك أبدت المملكة العربية السعودية اهتماما بالغاً بهذا التفسير للاسلام فى السبعينات * كما سلمت مصر بتفسير المملكة العربية السعودية للاسلام واستبعدت تفسير القيادة السياسية فى الستينات

(٨٤) ن ٦ ص ٢٧ ن ٣٣٧٧ ، بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ ص ٣١ *

الذي مازال يمثل خطرا عليها (٨٥) •

وعندما بدأ الاسلام الشعائري نشطا على أيدي الجماعات الإسلامية ظلت القيادة السياسية الجديدة تصور الاسلام على أنه فلسفة نظرية خالصة لاشأن له بالعمل والممارسة • فالاسلام تأمل ونظر لاصلة له مطلقا بالعمل والنشاط الفعلي • كان الهدف من ذلك هو تفريغ الدين من مضمونه العملي ومن حيويته وفاعليته حتى لا تستعمله الجماعات الإسلامية في العمل السياسي • الاسلام كلى انتشر تتدبير في ذهن القيادة السياسية، أمر شخصي لا صلة له بالحياة الاجتماعية

(٨٥) ومظاهر ذلك في : كثرة بناء المساجد ، النداء على الصلاة خمس مرات يوميا في أجهزة الاعلام ، وضع الحجاب ، اطالة النحي ، الاحتفالات بالصيام والحج • الخ • وتظهر القيادة السياسية في السبعينات في أجهزة الاعلام على أنها قوية الايمان بممارسة للشعائر ، تصلى في مساجد الثقري المتواضعة ، متوشحة بالجلباب الابيض ، متكئة على عصاة الابوة ، المسبحة باليد ، وعلامة الصلاة على الجبين ، والاعين مغلقة ، والشفافة تتمم ، وتأخذ لقب « الرئيس المؤمن » وتصدر على وضع « حمد » قبل « انور السادات » • وكثيرا مايتحول هذا الاسلام الشعائري عند بعض كبار الموظفين الى نفاق ديني • وتوضع « باسم الله الرحمن الرحيم » على رأس الخطابات الرسمية ، كما يوضع التاريخ الهجري في المطبوعات الرسمية وفي مقدمتها خطب القيادة السياسية • كما تم تجهيز أماكن للصلاة في كل الابنية الرسمية ، وتحديد أيام الاعياد مع توقيت المملكة العربية السعودية ، مهبط الوحي ومركز الاسلام ! وأضيفت بعض البرامج والصفحات الدينية في أجهزة الاعلام بجوار أخبار النجوم • وطبعت ملايين النسخ من القرآن الكريم لتبادلها كهدايا توضع على المكاتب والعربات والموائد واعطائها كجوائز وتظل مغلقة في قطيقتها احراء المذهبة ولا تفتح مطلقا وتتحول الى وثن جديد • وتضم القيادة السياسية في السبعينات بعض المسلمين المتعصبين المؤمنين بالارواح وتحضيرها! والرؤى والاحلام والاتصال بأرواح الموتى في ادارة شؤون البلاد س ١ ص ٢٤٩ — ٢٥٥ ص ٥٥٢ — ٥٥٧ س ٤ ص ٥٨٠ — ٥٨١ •

الدين موضوع خاص وليس موضوعا عاما ، يتناول علاقة الفرد بالله وليس علاقة الفرد بالمجتمع • وبالتالي لا يمكن لاحد أن يستخدم الدين لاسباب سياسية أو اجتماعية • وقد أعلنت القيادة السياسية مرارا أن الدين والسياسة موضوعان متميزان لاشأن لاحدهما بالآخر • فلا دين في السياسة ولا سياسة في الدين • يمارس الدين في أماكن العبادة وتمارس السياسة داخل المؤسسات السياسية • وعلى هذا النحو تنتزع القيادة السياسية من أيدي خصومها السياسيين سلاح الدين حتى لا يمكن استخدامه للمطالبة بالعدالة الاجتماعية أو بالحياة الديمقراطية • فالقيادة السياسية تستعمل الدين ضد خصومها السياسيين ، وتحرم استعمالهم له ضدها ، فتبيح لنفسها ماتحرمه على غيرها • وبالرغم من أن القيادة السياسية في الستينات قد عابت على رجال الدين القاء مواعظهم داخل المساجد دون الخروج الى الاسواق والقرى والمدن فعلى العكس من ذلك آثرت القيادة السياسية في السبعينات أن يقتصر دور الدين على الحياة الروحية والاخلاقية دون الخروج الى العالم الخارجى الاجتماعى • وما أسهل أن يجد هذا الدور الجديد قبولا في الدين الشعبى (٨٦) •

وقد أعطت القيادة السياسية في السبعينات أهمية قصوى لمفهوم الايمان أكثر مما أعطته القيادة السياسية في الستينات ، وهو مفهوم مقبول على نطاق واسع في الدين الشعبى • وكان الهدف من اللجوء الى هذا المفهوم تحقيق أمرين : الاول تحسين صورة القيادة السياسية الجديدة في أعين الجماهير المؤمنة • فالإيمان عنصر مشترك

(٨٦) حوار الرئيس مع الطلبة في أسبوط يناير ١٩٧٧ •

بين القيادة والجمهير • والثانى اخضاع ارادة الجماهير اذ أن الايمان قبول واستسلام دون تفكير ومعارضة ، ويجعل الشعب أكثر طاعة وقيادة واستسلاما • وتصف القيادة السياسية الايمان على أنه جوهر التاريخ ، وأن تقدم الشعوب أو تأخرها مرهون بدرجة ايمانها • الايمان قوة ، قوة الاعتقاد ، وليس قوة مادية أو اجتماعية (٨٧) •

وقد ارتبط الايمان بالاصالة والصلابة • وتعنى الاصالة رفض كل الافكار المستوردة وفي مقدمتها الماركسية والعودة الى التراث الذاتى • فاذا كان الايمان اتجاها نحو الله فان الاصالة عودة الى التراث الروحى • تعنى الاصالة اذن « العودة الى المنبع » والتأكيد على الهوية الحضارية من أجل رفض كل الحركات الاجتماعية التى تقوم باسم الغرب أو الشرق (٨٨) • وتعنى الصلابة مقاومة كل حركات التغيير الاجتماعى التى تهدد النظام القائم • فالبناء الاجتماعى الحالى يجب أن يبقى راسخا ضد كل الايديولوجيات الانقلابية التى تهدد الوضع القائم • كما تعنى الصلابة فى الحق ضد الباطل الدفاع عن الثبات الاجتماعى وهو الحق ضد الحراك الاجتماعى وهو الباطل •

والقضاء والقدر نتيجة طبيعية للايمان أى قبول كل ما يحدث دون

(٨٧) س ٢ ص ١٩٨ ص ٣٥١ •

(٨٨) س ١ ص ١٢٣ — ١٣٤ ص ١٥٧ — ٢٥٩ س ٤ ص ١٧٤ — ١٧٥ س ٥ ص ١٩ ورقة أكتوبر ٥٩ وهذا يؤكد رأى دوركهايم من أن وظيفة الدين الاجتماعية فى المحافظة وتدعيم الوضع القائم فى المجتمع ، وتقوية أواصر الترابط الاجتماعى •

Betty R. Schaff : The Sociological Study of Religion, P. 78, Harper & Row, New York, 1970.

سؤال أو اعتراض * فاذا كانت القيادة السياسية في الستينات قد استعملت هذه العقيدة للحصول على نصر نفسى سريع بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ فان القيادة السياسية في السبعينات قد استعملت نفس العقيدة للوقوف ضد أى محاولة لاحداث أى تغيير فى النظام السياسى أو الاجتماعى(٨٩) * بل أن نهاية القيادة السياسية كان مقدرًا من قبل ! واذن موت الزعيم الخالد قضاء مقدرًا ! ونظامه زائل فان ! وبالتالي فان الاشتراكية أيضا زائلة ! وان مظاهر البؤس والثقاء والمآسى والمصائب كلها ضرورية لانها قدر محتوم لامفر منه ! المصائب امتحان من الله واختبار لعبيده ، خير من الله وليست شرا ، ترجع الى ارادة الله وليس الى النظم السياسية والاجتماعية أو قرارات القيادة السياسية * الهزيمة والنصر ، الفقر والغنى كل ذلك من الله (٩٠) * وعلى ذلك أصبح الظلم الاجتماعى الذى نشأ عن سوء توزيع الثروة والذى يمكن تغييره باعادة توزيع الدخل ، أصبح وضعا حتميا لايمكن تغييره بقرارات انسانية حتى ولو تبدلت نظم الحكم أو القيادات السياسية *

(٨٩) س ١ ص ٢٥٧ — ٢٥٩ س ٢ ص ٣٧٢ .

(٩٠) تستشهد القيادة السياسية فى السبعينات بعدد من الآيات القرآنية التى تشير الى القضاء والقدر مثل « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » (٢ : ٦١) ، « وما كان لنفس ان تموت الا بأذن الله كتابا مؤجلا » (٣ : ١٤٥) ، « قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا » (٩ : ٥١) ، « قل اللهم مالك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير » (٣ : ٢٦) س ١ ص ٢٩٦ ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ص ٣٠٣ ص ٣٢٤ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ ص ٣٢٣ س ٣ ص ١٩٦ س ٥ ص ١٨ ص ٧٥ ص ١٤٨ .

والصبر في ذهن القيادة السياسية الجديدة هو الطريق لاجداث
أى تغيير اجتماعى ! فهو وحده قادر على تغيير الشر كقضاء الهى الى
الخير كقضاء الهى ، واستبدال قضاء بقضاء • وهو أحد مظاهر
الايمان • وهو القادر على تغيير الهزيمة الى نصر ، والفقر الى غنى •
وهو يقتضى الصمت والسكون أى غياب أى معارضة صوتية أو حرية
مدنية علنية • الصبر على هذا النحو قيمة سلبية تتطلب من الشعب
الرضوخ والاستسلام • فالدين هنا يتم استخدامه كعامل مسكن
لتخدير الجماهير (٩١) •

وقد اعتمدت القيادة السياسية الجديدة على صفات الطيبة
والوداعة والمسالة فى الشعب لدعوته الى التمسك بالحب والاخاء
والتسامح بدلا من الحق والعدو كوسيلة للقضاء على التناقضات
الاجتماعية فى المجتمع المصرى • فالمطلوب فى نهاية الامر هو الابقاء
على هذه التناقضات كما هى دون أى تغيير والتعايش معها باسم
الحب والاخاء والتسامح •

كما تبنت القيادة السياسية الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية
التي تعنى فى ذهن الجماهير قانون العقوبات • وقد كان الهدف من
هذه الدعوة تحقيق أغراض ثلاث : الاول التأكيد على الطابع الدينى

(٩١) س ١ ص ٣٣٥ س ٢ ص ١٧٣ — ١٧٦ س ٥ ص ٢٧ ص
١٢٣ — ١٢٧ خطاب الى أبطال الجيش الثالث ١٩٧٦/٣ ص ١٣ ورقة
أكتوبر ص ٥ حديث مع الصحيفة الكويتية السياسية ٨ / ٩ / ١٩٧٥ ،
وتستشهد القيادة السياسية فى هذا الموضوع بعدة آيات قرآنية مثل
« وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٤١ : ٣٥) .

للسلطة السياسية مما يسمح بمزيد من طاعة الجماهير لها • والثانى اعطاء النظام السياسى الذى يقوم على « القانون والنظام » ستارا دينيا يخفى تحته الوظيفة الاجتماعية والسياسية التى يقوم بها وهو الابقاء على الوضع القائم بما فيه من تناقضات اجتماعية • والثالث اخفاء هذه التناقضات الاجتماعية والصراع الطبقي تحت غطاء الشريعة الاسلامية التى تقوم على احترام الملكية الخاصة ، ولا تمنع من ممارسة النشاط الاقتصادى الحر • هذه الدعوة الى نسق القيم يقوم على القهر تخفى فى الحقيقة رغبة قوية من السلطة السياسية للسيطرة على كل شىء • والحقيقة أن الدعوة الى تطبيق الشريعة الاسلامية مجرد دعوى نظرية تكشف عن قدر كبير من النفاق وعدم الجدية والمزايدة على الايمان • بالاضافة الى أنها تستخدم كمفتاح سحرى قادر على حل جميع المشاكل الاجتماعية •

وقد أخذ البعد الرأسى للدين (علاقة الانسان بالله) مكان البعد الافقى له (علاقة الانسان بالانسان) • فالعمل لا يتم أمام الانسان لخدمة المجتمع بل أمام الله طاعة له • ولا يقوم الحساب فى هذه الدنيا أمام السلطات الاجتماعية والسياسية بل فى الآخرة أمام الله • وضمير الانسان هو الذى يوجه سلوكه وليست مصالح الشعب وحاجات الامة • هذا التصور للدين جعله مجرد الهام من الله للقيادة السياسية وطاعة مطلقة من الشعب لها • كل شىء يحدث للشعب يأتى من الله ، ثروته وخبزه اليومى وموارده الطبيعية كلها هبات من الله • النظم السياسية اذن ليست مسؤولة عن الفقر أو سوء توزيع الثروة • ولا يمكن عمل شىء ضد ارادة الله ، ولا يمكن اعطاء شىء منعه الله أو منع شىء اعطاء الله • وكل ما يستطيع الشعب عمله هو الصلاة ،

ودعاء الله ، وانتظار الجود والكرم ! والقرارات السياسية الصحيحة تأتي من الله وليست من هيئة المستشارين أو المؤسسات السياسية • فالله وحده هو مصدر التوفيق والهداية • وعندما تعمل القيادة السياسية بتوفيق من الله وتصدر قراراتها السياسية بعون منه تستحيل المعارضة السياسية التي تعتمد على كسب الانسان الذي قد يخطيء ويصيب ، وكثيرا مايخطيء ، وقلما يصيب !

لذلك كان التوكل على الله فضيلة • والتوكل في ذهن القيادة السياسية احدى الفضائل الكبرى • وكثيرا ما تبدأ الخطب السياسية أو تنتهي بآيات قرآنية تدعو الى التوكل وطلب الهداية والمغفرة (٩٢) • كل شيء يتحقق في هذا العالم لاجل الله ، العلم والمعرفة والعمل كل ذلك يذهب اليه • الله هو الكمال والقدسية ، بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير (٩٢) • وعلى هذا النحو يتم تصور الله على نموذج

(٩٢) س ١ ص ٢٣ ص ١٧٣ ص ٢٣٥ ص ٢٠٩ ص ٤٦٠ ص ٤٨١
س ٢ ص ١٩٠ ص ٢٤١ ص ٢٦١ ص ٣٢٨ ص ٣٨٦ ص ٤٠١ ص ٥٣٢
س ٤ ص ١٩٦ ص ٣١٥ •

(٩٣) وقد استشهدت القيادة السياسية في السبعينات ببعض الآيات القرآنية مثل « تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير » (٦٧ : ١) « ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير » (٦٠ : ٤) « ربنا آتتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا » (١٨ : ١٠) « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » (٨ : ١٧) « وما النصر الا من عند الله » (٣ : ١٢٦) . ولقد طرد الشيخ عاشور من مجلس الشعب لانه أراد تطبيق آيات القرآن حول المشيئة الالهية على الله وحده وليس على القيادة السياسية مثل : « ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون » كما أراد وزير الاوقاف الشيخ متولى شعراوي •

الحاكم المتسلط حتى يتم تصور الحاكم المتسلط في ذهن الشعب على أنه اله *

لم تستعمل القيادة السياسية هذه القيم التقليدية من الدين الشعبى من أجل اضافة الشرعية على سلطتها ومن أجل خضوع الشعب لها فحسب بل أنها استعملتها أيضا ضد المعارضة السياسية متهمة كل نسق آخر للقيم دينى أو علمانى بالاحاد * وبالرغم من أن الدستور (مادة ٥٤) تنص على الحرية الدينية كما نص « الميثاق الوطنى » من قبل « على أن حرية الاعتقاد شرط لقيام ثقافة وطنية حرة خالية من أى تعصب دينى » صدر قانون الردة واستعمل كسلاح سياسى ضد الخصوم السياسيين * وتردد استعمال هذا القانون وتطبيقه بالفعل بعد الانتفاضة الشعبىة فى يناير ١٩٧٧ * والمحددون فى الدين الشعبى لاتجوز مخالطتهم سياسيا أو اجتماعيا * ويجب على جماعة المؤمنین لفظهم خارج المجتمع وبالتالي يمكن عزل المعارضة السياسية من قاعدتها الشعبىة * والموت فى النهاية عاقبة المرتدين والمحددين *

وترى القيادة السياسية أن من لا ايمان له لا أمان له ، وبالتالي فلا مكان للخصوم السياسيين فى المناصب العليا أو فى مؤسسات الدولة * وطبقا لشعار « لا مكان للمحد فى أجهزة الاعلام أو فى مواقع التأثير على الرأى العام » فانه يستحيل على الخصوم السياسيين وفى مقدمتهم الاثنراكيون ، ناصريين أو ماركسيين أو مسلمين ثوريين ، احداث أى أثر فيما يتعلق بقضايا المساواة والعدالة الاجتماعية * فكل الشرور والآثام والاضطرابات والفتن انما تأتى من التيار المحد ! وبالرغم من انتشار التيار الدينى المحافظ كنتيجة طبيعية فى هذا الجو م — ١٨ الدين والتنمية القومية

العام من الحماس والحمية الدينية الا أن القيادة السياسية تعتبره رد فعل طبيعي على التيار الملحد وسيطرته في الستينات على أجهزة الاعلام • اليسار والملحد واليمين الديني متشابهان ، كلاهما رد فعل على الآخر ، وكلاهما يستغل العنف لفرض سيطرتها على الشعب (٩٤) • وتظل القيادة السياسية أقرب الى ركوب موجة اليمين الديني لانه يخدم أهدافها الاجتماعية والسياسية ويعينها على تصفية اليسار الملحد في الجامعات •

وبينما كانت القيادة السياسية في الستينات تعتبر القيم المادية والقيم الروحية متكاملان ، وأن التعارض بينهما انما يخدم أغراض أحد الفريقين ضد الآخر خاصة وأن القرآن وحد بينهما كما أن كل الثورات التقدمية حاولت التوفيق بين القيم الروحية للشعب وسيطرته على وسائل الانتاج وأن « الميثاق الوطني » أشار الى القيم الروحية النابعة من الدين والقادرة على هداية الانسان واعطائه مصدرا لا ينضب للطاقة والنشاط — بالرغم من هذا كله — كان هدف القيادة السياسية في السبعينات اظهار التناقض بين القيم المادية والقيم الروحية للنيل من اليسار الملحد والظعن فيه وذلك بالهجوم على

(٩٤) الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة ١٩٦٤/٣/٢٥ ص ١٤ ، « الميثاق الوطني » ص ٨٨ ، ن ٤ ص ٧٢ — ٧٣ ، ن ٦ ص ٥٨٢ س ٥ ص ٣٥٥ ، خطاب الى مجلس الشعب ١٩٧٧/١١/٩ ص ١٥ ، خطاب الى الاتحاد الاشتراكي العربي ١٩٧٦/٣ ص ٧٩ ، حديث الى مجلة « السياسة » الكويتية ١٩٧٥/٩/٨ ص ٣٠ ، خطاب الى مجلس الشعب ١٩٧٦/٣/٤ ص ٤٤ .

القيم المادية التي يتبناها اليسار الملحد وكما تبدو في الماركسية (٩٥) •
ومما يعطى الفرصة للقيادة السياسية بأن تقدم نفسها للشعب على
أنها الحامية لتراث الامة وقيمها الروحية وفي نفس الوقت تستعملها
من أجل المحافظة على الوضع القائم واعاقة أى عمليات للتغيير
الاجتماعى •

لم تظهر الطائفية فى الستينات • فقد عمل المسلمون والاقباط
معا ، وناضلوا معا ضد الصليبيين • الوحدة الوطنية والهدف القومى
قادران على امتصاص أى مظاهر للطائفية واستبعاد مخاطرها • وقد
لجأت القيادة السياسية فى ذلك الوقت الى الوحدة الوطنية بين
المسلمين والاقباط فى ١٩٥٨ أثناء تكوين الجمهورية العربية المتحدة
طبقا لنموذج الوحدة السابق أثناء الحروب الصليبية بين المسلمين
والمسيحيين فى الشرق • وقد حدث العكس فى السبعينات اذ لم يمنع
الحماس الدينى من وقوع صدامات خطيرة بين المسلمين والاقباط •
وكان ذلك فرصة للقيادة السياسية لاصدار قوانين استثنائية لحماية
الوحدة الوطنية ولتقوية النظام خشية أن يتحول الصراع الطائفى
الى صراع اجتماعى • والحقيقة أن تاريخ مصر يشهد بوجود وحدة
وطنية عضوية بين المسلمين والاقباط كما ظهر ذلك فى ثورة ١٩١٩ وفى
مرحلة البناء الاشتراكى لمصر فى ١٩٦١ — ١٩٦٤ وأثناء حرب أكتوبر
١٩٧٣ • فلا تظهر الطائفية الا فى لحظات ضعف الدولة وعندما يغيب

(٩٥) ن ٤ ص ٤٣ ، ن ٦ ص ٨٨ ص ٣٥١ ص ٣٧٨ ص ٥١٣ ، بيان
٣٠ مارس ١٩٦٨ ص ٥٠ ، س ٢ ص ٤١١ — ٤١٢ ، س ٥ ص ٢٤٣ ص
٤١١ — ٤١٢ •

المشروع القومي الموحد لكل الطوائف والمجند لكل الطاقات والقوى •
اذ أنها تسمح للدولة باتخاذ اجراءات استثنائية للدفاع عن الوضع
القائم باسم المحافظة على الوحدة الوطنية • كما تنشأ الطائفية في
نهاية الامر ، وجميع مظاهر التعصب الاخرى مثل التعصب الكروى
للاندية الرياضية ، من غياب الاحزاب السياسية وحرية التعبير للقوى
الوطنية التي يمكنها تحويل الولاء الدينى الى ولاء وطنى •

وقد كثرت الرؤى الدينية ، وظهور القديسين والاولياء والانبياء
مثل عذراء الزيتون فى الستينات بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وعبور
الملائكة قناة السويس مع المصريين لمحاربة الاسرائيليين أثناء حرب
أكتوبر ١٩٧٣ • وكان الهدف من التركيز على هذه الظواهر بافتعالها
أولا ثم نشرها على نطاق واسع فى أجهزة الاعلام ابعاد أنظار
الشعب عن الاوضاع السياسية والاجتماعية واغراقه فى انفعالات
الصوفية ورؤى القديسين • وان اعطاء الاولوية المطلقة فى الحياة
الوطنية للدين لهو أحد مظاهر الازمة الاجتماعية والسياسية (٩٦) •

ولم تستعمل القيادة السياسية فى السبعينات الاشتباه القائم

(٩٦) س ١ ص ٣٩٤ س ٢ ص ٣٩٣ ص ٤٠١ — ٤٠٢ ص ٤١١ —
٤١٢ ص ٤١٨ — ٤١٩ س ٣ ص ١٧ — ١٣ س ٤ ص ١٦٩ ص ٥٨٥ —
٥٨٦ ص ٧٠٤ — ٤٠٥ س ٥ ص ١٣٣ — ١٣٤ ص ٢١٩ — ٢٢٠ ص ٣٤٣
حديث مع جريدة الانوار اللبنانية ١٩٧٥/٦/٢٢ ، خطاب الى مجلس
الشعب ١٩٧٦/٣/١٤ ص ٥٣ ، خطاب الى المواطنين فى الاسماعيلية
فى مسجد الشفاء فى ٣ / ١٩٧٦ ، خطاب فى عيد العمال ١ / ٥ / ١٩٧٦
ص ٣٠ ، حديث مع رجال الدين ٨ / ٢ / ١٩٧٧ ، خطاب فى الذكرى
السابعة لوفاة الرئيس جمال عبد الناصر ٢٨ / ٩ / ١٩٧٧ •

في التراث الديني حول موضوع المساواة والعدالة الاجتماعية وتفسير الاسلام لصالح الاقتصاد الحر وسياسة الانفتاح . ويرجع السبب في ذلك الى أن التفسير الآخر للاسلام أى الاسلام الاشتراكي حاضر للغاية ومازال حيا في قلوب الناس على الاقل كألفاظ وشعارات وأمانى وأحلام . آثرت القيادة السياسية استعمال القيم الدينية التقليدية التي يمكن للجماهير قبولها وتأييدها . والحقيقة أن القضاء والقدر والصبر قيم شائعة في الامثال العامة تدعو الناس الى قبول مصائبهم ، وتسلب عنهم زمام المبادرة ، وتجعل حظ الانسان في الحياة مقدرا من قبل ، ثابتا لا يمكن تغييره (٩٧) . والصبر أيضا جزء من ثقافة الجماهير كما تكشف عنه الامثال (٩٨) . اذ لا يمكن عمل شيء الا الانتظار . وبالتالي لا يمكن تغيير الوضع الراهن لتوزيع الدخل . غفى هذه الدنيا لا يوجد الا المجتمع الطبقي ، ولا توجد المساواة الا

(٩٧) مثلا « اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين » ، « المكتوب ممنوش مهروب » ، « قيراط بخت ولا غدان شطارة » ، « ابن آدم في التفكير والرب في التدبير » ، « من حبه ربه واختاره جب له رزقه على باب داره » ، « يا هارب من قضيا ، مالك رب سوايا » ، « المتعوس متعوس ولو علقه على بابيه فانوس » ، « المغلوب مغلوب وفي الآخرة يضرب طوب » ، « تجرى جرى الوحوش وغير رزقك ماتحوش » ، « لا يغنى حذر من قدر » ، « بختك يابو بخيت » ، « تبقى في ايدك وتقسم لغريك » ، « ارميه في السطوح وان كان لك فيه شسسه ما يروح » .

(٩٨) مثلا « الصبر خير » ، « كل شيء دواه الصبر لكن قلة الصبر ما لهاش دواء » ، « من صبر نال ومن لح مالوش » ، « ما دوا الصبر الا القبر » ، « طول البال تبلغ الآمال » ، « طولة البال ماتخسرشى » ، « طول البال تهد الجبال » ، « المعيشة تحب طولة الدال » .

في الموت (٩٩) * وقد كان هذا الجانب في ثقافة الجماهير هو السبب في جعل موضوع التغيير الاجتماعى نحو مزيد من المساواة والعدالة الاجتماعية صعبا للغاية وكأن الفوارق بين الطبقات مغروزة في وعى الجماهير *

ومع ذلك توحى بعض الامثال العامية الاخرى بإمكانية الثورة والتغيير الاجتماعى ، مما يجعل اعادة توزيع الدخل بحيث يحقق قدرا أكبر من المساواة أمرا ممكنا * اذ تنتقد بعض الامثال العامية الاسلام الشعائرى والقيم السلبية والنفاق الدينى * بل ان البعض منها يدعو الى العنف الثورى * فالله لم يحدد شيئا سلفا ، وبالتالي يمكن اعادة توزيع الثروة * ترفض بعض الامثال العامية اذن عقيدة القضاء والقدر وتدعو الى الاخذ بالعلل المادية المباشرة (١٠٠) * كما ترفض النفاق الدينى في الحياة اليومية * فالاسلام الشعائرى لا يمكنه تغيير السلوك الفعلى للانسان ، ولا يتضمن بالضرورة أية أمانة في العلاقات الاجتماعية * والحياة المادية أهم بكثير من الشعائر ، ولها

(٩٩) مثلا « الفقر حشمة ، والعز بهدلة » ، « القنعة مال وبضاعة » ، « المفلس في امان الله » ، « من طلب الزيادة وقع في انقصان » ، « المركب الى تودى أحسن من اللى تجيب » ، « ربنا ماسوانا الا بالموت » ، « ربك رب العطا يدى البرد على قد الغطا » ، « الناس متلمات » ، « من عرف مقامه ارتاح » .

(١٠٠) مثلا « سلاح الضعيف الشكية » ، « ياغراب هات بلحة قال دا قسمة ، قال قسمتى بين أيديك » ، « يفتح العين للدبان ويقول دا قضا الرحمن » . « الشبعان هو الذى يذكر الله » .

الاولوية المطلقة على الحياة الروحية • ان محاربة الجوع ، وليست اقامة الشعائر ، هو الاسلام الحق • وشيء فعلى يتحقق في هذا العالم أفضل بكثير من شيء موعود به في العالم الآخر • الاسلام كدين ليس أفيونا للشعب (١٠١) •

لم تتناول القيادة السياسية أو المؤسسات الدينية هذا الجانب في ثقافة الجماهير الذى يدعو الى التغيير الاجتماعى والثورة مما يؤكد مرة أخرى أن العامل الفعلى فى توزيع الدخل لم يكن العامل الدينى • اذ كان يمكن لهذه الامثال العامية التى تدعو الى التغيير الاجتماعى تحريك الجماهير لو أرادت القيادة السياسية تحقيق العدالة الاجتماعيه • ولكن القيادة السياسية أهملت هذه الطاقة الكامنة فى ثقافة الجماهير ، والقيادة السياسية فى السبعينات أسقطتها من حسابها كلية حتى غاصت فى أعماق وعى سياسى مزيف للجماهير بفعل الدين (١٠٢) •

(١٠١) مثلًا « ضلالى وعاهل امالم ، والله حرام » ، « يفتى على الابرة ويبلغ المدرة » ، « الوش ووش حاجج والطبع مايتغيرش » ، « زى القطط يسبح ويسرق » ، « هات عمك وخدها يوم القيامة » ، « اللى عايزه البيت يحرم على الجامع » ، « كل لقمة فى بطن جائع أخير من بناية جامع » .
أنظر أيضا : د. حسن حنفى : التفكير الدينى وازدواجية الشخصية فى قضايا معاصرة ج ١ فى فكرنا المعاصر ص ١١ — ١٢٧ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

(١٠٢) بعد إجراء مقابلات عديدة مع اناس عاديين محللا « تجارب الشارع » وبعد استبعاد المستوى السطحى للشعور الوطنى المزيف يظهر موضوع المساواة والعدالة الاجتماعيه بوضوح كمطلب اجتماعى ووطنى .
غالبًا هم شرعى ، والفقيه له حق فى اموال الغنى ، والمال مال الله فى خدمة الامة كلها ، والاسلام ليس شعائرا أو عقائدا أو نفاقا ، ويظهر الدين أساسا كدعوة للمساواة والعدالة الاجتماعيه .

خامسا : خاتمة :

ينتهي هذا التحليل على مستويات ثلاث لاثـر العامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر الى النتائج العامة الآتية :

١ - لم يكن الهدف من استخدام القيادة السياسية فى الستينات للاسلام للدفاع عن الاشتراكية واستخدامه فى السبعينات للتراجع عنها هو سد الفراغ النظرى الذى شعرت به الثورة * فقد اعترفت الثورة المصرية بالفعل بغياب نظرية مسبقة ، وكانت تفخر بطابعها البرجماتى وتجربتها القائمة على المحاولة والخطأ * كان غياب النظرية اتـهما من اليسار المصرى وليس من الرجعية العربية التى كانت تظن على العكس من ذلك أن الاشتراكية العربية نظرية واحدة مصاغة سلفا أو ماركسية مقنعة *

٢ - كانت اشتراكية الستينات فى كل مراحلها علمانية خالصة * وكانت الثورة المصرية منذ البداية ثورة علمانية تحمل أفكارا علمانية ثورية كما ظهرت فى المبادئ الست * ومع ذلك فان الاسلام عامل ضمنى مكون لروح الشعب ، وعقيدة فعالة تتضمن أفكار العدالة الاجتماعية كما ظهرت لدى الاخوان المسلمين أحد الروافد الاساسية فى تكوين الضباط الاحرار(١٠٣) * وبالرغم من أن هذه المبادئ الست لم تنشر الى الاسلام كلفظ الا أنها ذات مضمون اسلامى * فالاسلام دين علمانى من الاساس ، دين بلا سلطة كهنوتية * ومفاهيم المساواة

(١٠٣) كان ستة أعضاء من الاثنى عشر عضوا فى مجلس قيادة الثورة من الاخوان المسلمين أو المتعاطفين معهم ذوى الاتجاه الاسلامى *

والعدالة الاجتماعية ليست فقط اسلامية من حيث المعانى ، بل أيضا اسلامية من حيث الالفاظ . فالعادل اسم من الاسماء الالهية يشير الى قانون الاستحقاق وأخلاق العمل . وكل ما قيل فى أدبيات « الاسلام والاشتراكية » أو حتى فى « الاشتراكية الديمقراطية » فيما يتعلق بنظرية الاستخلاف صحيح بصرف النظر عن النعمة الدعائية الدفاعية لهذه الادبيات المهنية التى أصدرتها الدولة .

٣ — لجأت القيادة السياسية فى الستينات الى الاسلام كاجراء دفاعى ضد النظم الرجعية العربية التى كانت قد لجأت الى الاسلام من قبل للهجوم على الاشتراكية التى كانت تمثل فى ذلك الوقت تهديدا فعليا لهذه النظم . أرادت القيادة السياسية انتزاع أقوى سلاح من أيدي النظم المنافسة ، وهو سلاح الدين ، وكان الاسلام جزءا من لعبة أكبر ، وهو صراع القوى بين النظم السياسية المتعارضة . كما لجأت القيادة السياسية فى السبعينات الى الاسلام لاضفاء الشرعية على السلطة السياسية ضد المعارضة اليسارية وكمامل استقرار وترابط اجتماعى ضد محاولات التغيير الاجتماعى (١٠٤) .

٤ — لم يكن لاستعمال الاسلام فى كلتا الحالتين أى أثر يذكر على توزيع الدخل القومى فى مصر . فقد كان الاختيار الاجتماعى للمساواة فى الستينات أو اللامساواة فى السبعينات يرجع أساسا الى نوعية القيادة السياسية . وبنهاية القيادة الثورية وبداية قيادة تقليدية جديدة تحول

(١٠٤) « ويبدو أن الاشتراكية الاسلامية أكثر من مجرد شعار ظهر من خلال اسلام سياسى ضعيف يبحث عن شرعية للاشتر_اكية » ،
D. E. Smith : Op. Cit., P. 271.

النظام السياسى كله كما تغير الاختيار الاجتماعى • فنوعية القيادة
السياسية وليس العامل الدينى هى التى حددت سياسات توزيع الدخل
القومى فى مصر (١٠٥) •

٥ — كان لكل نظام سياسى تفسيره للاسلام • وكان الخلاف بين
التفسيرات المختلفة ، الاسلام والاشتراكية فى مقابل الاسلام
والرأسمالية ، هو فى حقيقة الامر صراع بين مختلف النظم السياسية
ولقوى الاجتماعية التى يمثلها كل نظام ، الاشتراكية التقدمى فى
السنينات والرأسمالى المحافظ فى السبعينات • ولم يكن الدين الا
وسيلة لتدعيم كل نظام • وكان العامل الحقيقى الحاسم فى توزيع
الدخل هى السياسات الفعلية المنبثقة عن اختيار القيادة السياسية
وكيفية تنفيذها فى البناء الاجتماعى والسياسى • وان الحسم بين هذه
النظم لا يرجع الى صدق تفسيراتها للاسلام أو كذبه ، أى منها
الصحيح وأيها الخاطىء • فهذا النموذج المطلق للاسلام لا وجود
له بالفعل طالما أن الدين قائم على المجتمع ومغروز فيه • بل يرجع
الى انتصار أحد النظامين فى صراعه مع النظام الآخر • فمعارك
التفسير هى فى حقيقة الامر معارك النظم السياسية ومعارك القوى
الأجتماعية التى يتمثل كل منها أحد التفسيرات فى مواجهة التفسير
الآخر •

٦ — كانت المؤسسات الدينية والعلمانية مؤسسات تابعة للدولة ،

(١٠٥) يمكن القول بالاعتماد على تمييز Lenski • أن الاسلام كان
مجرد عامل ارتباط فى توزيع الدخل وليس عامل مسبب
Lenski : Op. Cit., P. 300 — 21.

استخدمت الدين لجعل قرارات السلطة السياسية أكثر قبولا لدى شعور الجماهير ودون أن تكون عاملا مباشرا في توزيع الدخل القومي • وقد استطاع النظام السياسي في مصر في الستينات والسبعينات بنفس القدرة استخدام هذه المؤسسات لتحقيق أغراضها • ففي الستينات كان الاسلام اشتراكيا ، وكانت الاشتراكية اسلامية • وفي السبعينات كانت اشتراكية الستينات ماركسية وكانت الماركسية مناهضة للاسلام • وقد أصدرت نفس المؤسسات الدينية وربما نفس الاشخاص فتاوى متعارضة في كثير من الموضوعات الاجتماعية والسياسية تبعا لاختلاف النظم السياسية • وكانت النصوص الدينية والشواهد التاريخية من الاسلام جاهزة في كلتا الحالتين رهن اشارة السلطات السياسية •

٧ — كانت هناك أزمة ثقة بين هذه المؤسسات الدينية والجماهير • فقد عرفت الجماهير من خلال تجاربها المباشرة أن رجال الدين وكذلك كل القيادات والرؤساء موظفون في الدولة (١٠٦) • ففقدت الثقة في مؤسسات الدولة وأجهزتها بالرغم مما يبدو على الجماهير من طاعة لها (١٠٧) • وينتمي رجال الدين المؤثرون الى الطبقة المتوسطة وبالتالي فانهم مثل غيرهم من أفراد الطبقة كانوا يعملون لصالح السلطة

(١٠٦) « يحظى العلماء باحترام لعلمهم وتقواهم ولكن دون تبجيل »

D. E. Smith : Op. Cit., P. 23.

(١٠٧) دمرت الجماهير في انتفاضة يناير ١٩٧٧ بعض مراكز البوليس ، ودور الصحف ومراكز حزب الحكومة ، والنوادي الليلية وفتحت بعض الجمعيات التعاونية ووزعت الطعام على الفقراء والجوع . تعطلت مؤسسات التحويلة لمدة يومين وكانت البلاد تحت سيطرة الجماهير في الشوارع •

السياسية . وفسروا الاسلام كما أرادته القيادة السياسية طاعة للسلطة سواء كانت تقدمية أو محافظة ، اشتراكية أو رأسمالية ، ثورية أو تقليدية . وروجوا للاسلام الشعائري بالرغم من الكم الهائل من أدبيات المهنة حول « الاسلام والاشتراكية » ! واحتكرت السلطة الدينية حق التفسير كما احتكرت السلطة السياسية حق اتخاذ القرار انسياسي . وكان رجال الدين سواء في قمة المؤسسات الدينية أو في القاعدة عند أمة المساجد وخطبائها موظفين في الدواوين منفذين لاوامر الحكومة ، يخشى الرؤساء أن يفقدوا وظائفهم ومرتباتهم وسلطانهم ، وبخاف الائمة من الطرد والنفى والاضطهاد . وان أزمة الثقة بين الجماهير والسلطين الدينية والسياسية أزمة واحدة ناتجة عن تزييف كل من السلطين للوعى الاجتماعى (١٠٨) .

٨ — لم تستخدم ثقافة الجماهير فى الستينات كقوة محركة تدفع الشعب نحو الثورة والتغير الاجتماعى . وبدلا من استخدام ثقافة الجماهير بحثت القيادة السياسية عن أفكار علمانية لم تلمس شغاف قلوب الجماهير ولم تتحد بأرواحها . طرقت آذان الجماهير ولكنها لم تؤثر فيها ولم تكن الجماهير مستعدة للموت فى سبيلها . فسرعان ما انتهت هذه الافكار بنهاية القيادة السياسية بالموت قضاء وقدر ! لا تساعد العلمانية اذن على تطوير المجتمعات التقليدية لانها لا تأخذ فى الاعتبار ثقافة الجماهير الذاتية . وثقافة الجماهير فى البلاد النامية

(١٠٨) يمكن للبعض اثبات أن الاخوان المساميين والمعارضين اليسارية هما المجموعتان الرئيسيتان اللتان تحظان بثقة الجماهير .

مثل مصر هو البديل الوحيد للايديولوجية السياسية * فهي أصيلة ومبدعة وفعالة ، لا تحتاج القيادة السياسية الى أى جهد لاقتناع الجماهير بها أو لتكوين حزب الدعوة لها أو لتشكيل قيادات لحشد الجماهير من خلالها ، فالدين ، والائمة ، والمساجد ، وجماهير المؤمنين كلهم يشكلون عصب الحياة السياسية الجديدة * ويكون السؤال : كيف يمكن استعمال هذه الثقافة كوعاء للاهداف القومية ؟ لقد أهملت الثورة المصرية كلية اعادة بناء ثقافة الجماهير فلم تجد بعد اختفاء القيادة الثورية ثقافة أو جماهيرا تدافع عنها (١٠٩) *

٩ — ثقافة الجماهير في مصر ، مثل أى ثقافة أخرى ، متشابهة * فهي تدعو الى المساواة والعدالة الاجتماعية وفي نفس الوقت تدعو

(١٠٩) وهنا تبدو أهمية كاميلوتوريز والرهبان الثوار في أمريكا اللاتينية وعلان الثورة كأمر مسيحي * كما تبدو أهمية اليسار الدينى في الكنيسة الغربية للمساهمة في الحركات الاجتماعية في المجتمعات الرأسمالية . وفي أمريكا أصبح للاهوت الثورة الأولوية المطلقة على لاهوت الذات والصفات التقليدى ، وأصبحت التعاليم الاجتماعية للمسيحية مذهبها عقائديا جديدا . فالكاثوليكية الرومانية في أمريكا اللاتينية ، والبروتستانتية أثناء حروب الفلاحين بقيادة توماس مونز في ألمانيا في القرن السادس عشر ، والمسيحية البدائية كما وصفها انجلز وكاوتسكى ، والبوذية في فيتنام أثناء حرب الاستقلال ، والكنفوشية في الصين في بداية الثورة الصينية وبعد الثورة الثقافية ، ودين « مركب البضاعة » والديانات البدائية في أفريقيا ، الامة السوداء في أمريكا ، والاسلام في الجزائر أثناء حرب الاستقلال ، والمهدية في السودان ، والسنوسية في ليبيا ، وأخيرا الثورة الاسلامية في ايران باسم الاسلام والثورة ، كل هذه مجرد نماذج نبدأيات ثورات جديدة في العالم باسم الدين . انظر د. حسن حنفى ، كاميلوتوريز ، القديس الثائر في « قضايا معاصرة » ج ١ في فكرنا المعاصر ص ٣١١ — ٣٢٧ ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ .

الى اللامساواة والتفاوت الطبقي (١١٠) * فبينما لم تلجأ القيادة السياسية في الستينات الى الجانب الاول لتطوير الجماهير ودفعتها نحو مزيد من العدالة الاجتماعية والمساواة لجأت القيادة السياسية في السبعينات الى الجانب الثانى الذى يدعو الى التسليم والقضاء والقدر والتواكل واللامساواة لتدعيم النظام السياسى وتثبيت الوضع القائم وللإبقاء على الثبات الاجتماعى * والحقيقة أنه بإمكان أى نظام سياسى محافظ يقوم على التفاوت الطبقي استخدام هذا الجانب السلبي فى ثقافة الجماهير لتثبيت دعائمه ولاطالة مدته *

١٠ — تفشل كل القرارات السياسية المتعلقة بالمساواة والعدالة الاجتماعية والتي تهدف الى تحقيق أكبر قدر ممكن من المساواة فى توزيع الدخل القومى طالما استعصت ثقافة الجماهير على أى نسق فعال للقيم يدفع الجماهير نحو التغيير الاجتماعى * وقد تبقى أى ثورة شعبية مثل انتفاضة يناير ١٩٧٧ لفترة قصيرة لان مطالب

(١١٠) يمكن ايضا الاشتباه فى التراث الدبنى من خلال الظروف الفعلية للشعب ، وبالتالي تكون الاولوية للآيات القرآنية الخاصة بحق الفقراء فى أموال الاغنياء ، والملكية العامة ، والمساواة والعدالة الاجتماعية والتضامن الاجتماعى . ويمكن استخدام الامثال العموية التى تعبر عن نفس هذه الافكار لتفسير هذه الآيات القرآنية وتكون هذه العناصر ايديولوجية سياسية وطنية يمكنها احتواء العلمانية التقدمية (نمط الستينات) والمحافظه الدينية (نمط السبعينات) . وقد تكون هذه هى مهمة اليسار الاسلامى . انظر مجلة « اليسار الاسلامى » ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الجماهير في المساواة والعدالة الاجتماعية لم ترتبط بثقافتها في مصدرها
الاساسيين : الدينى فى الكتب المقدسة والدينوى فى الامثال العامية •

ان مأساة التجربة المصرية كانت فى وجود قيادة سياسية ثورية
أولا ثم تقليدية ثانيا • وغياب المؤسسات الدينية والعلمانية المستقلة ،
وعدم بناء ثقافة الجماهير كأيدولوجية سياسية •

معارك الدين والتنمية

(أ) الجسد يسار ، والعقل يمين •

ان مأساة مصر تتلخص في عبارة واحدة « الجسد يسار ، والعلة يمين » • وأعنى ذلك أن واقع مصر بدخلها المحدود ، متوسط الدخل السنوى للفرد حوالى ١٥٠ جنيها مصريا سنويا ، لا يتحمل الا مجتمعا تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ، وتنمية عن طريق الاعتماد على الموارد الذاتية والادخار الداخلى وليس عن طريق الديون أو رهن الموارد الطبيعية لعدة أجيال قادمة • ويتطلب ذلك ضغط المصرفيات والكف عن شتى أنماط الانتاج الاستهلاكي التى لا تحقق عائدا للاستثمار ، والقضاء على تهريب رؤوس الاموال ، وحماية الاقتصاد الوطنى ، وفرض الضرائب على الدخول المرتفعة ، والكشف عن رؤوس الاموال الطفيلية التى تتراكم عن طريق العمولات والمضاربات وتجارة العملة فى السوق السوداء ثم تهريبها الى الخارج • وهذا ما يسمى بلغة الاقتصاد السياسى وبمصطلحات جيلنا فى الستينات « حتمية

كتب هذا المقال اثناء صدور « الاهالى » الاولى عام ١٩٧٨ ، وهو من المقالات التى لم تنشر . وهذه صياغة ثانية من المسودة الاولى دون تغيير بعد عشر سنوات تقريبا فى خريف ١٩٨٧ ، أنظر أيضا دراستينا « التنوير الدينى والتنظيم السياسى » ، « مأساة الاحزاب التقدمية فى البلاد المتخلفة » فى « الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ » ، الجزء الثامن ، اليسار الاسلامى والوحدة الوطنية » .

الحل الاشتراكي » • مصر الآن ، أرضها محتلة ، ومازالت مطمعا للتوسع الصهيوني والاطماع الاستعمارية • وذلك يحتم أيضا أن تكون سياسات مصر معادية للصهيونية ومناهضة للاستعمار • الواقع في مصر الآن بمشكلتيه الرئيسيتين ، التخلف والاحتلال ، يفرض أن يكون جسد مصر يسارا •

ولكن اذا حللنا أبنيتنا الفوقية أى ثقافتنا وأدبنا وفننا وتفسيراتنا للدين ونظرياتنا للعالم لوجدنا أن كل هذه النشاطات العقلية تعمل في قوالب اليمين • مازالت ثقافتنا اما تكرارا للموروث أو تقليدا للمنقول دون أن تكون تعبيرا عن ثقافة مقاومة في مجتمع محتل أو أيديولوجية تنمية في مجتمع متخلف • وفننا مازال يتملق أذواق الجماهير ، ويستجدى الضحك الرخيص • وتفسيرنا للدين مازال يؤكد التفاوت في الرزق « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » ، مع التركيز على الشعائر والطقوس والعقائد الكلامية وتناول الامور العيبية وابرار عوامل المنافسة والربح والنشاط الفردي والتجاري باسم الاقتصاد الاسلامي وتحت غطاء البنوك اللاربوية •

وقد تكون هذه المأساة هي السبب الرئيسي الذي من أجله بلغت ثورتنا ربع قرن ، وقطعت أشواطاً في الجسد من القضاء على الاقطاع ، والقضاء على الاستغلال ، والقضاء على الاحتلال ، وتحديد الحد الاعلى للملكية الزراعية وتمليك الارض لصغار المزارعين ، والتأميم ، والمقطاع العام ومشاركة العمال في الارباح ، والتصنيع ، ومجانبة التعليم ، ووضع سياسة عدم الانحياز ، ومعاداة الصهيونية ، والولاء للقومية العربية • ولكننا لم نقطع نفس الشوط في الثقافة والابنية

العقلية وتصوراتنا للعالم • فواقنا الثورى لم يصاحبه فكر ثورى •
لم تتجاوز الثورة النظم والقوانين الاقتصادية الى الحياة اليومية
والى الابنية الفكرية والى ثقافة الجماهير •

ان هذا الانفصام فى حياتنا القومية لهو محك العمل السياسى
الآن • فاما أن يفرض الواقع اليسارى فكره اليسارى وبالتالي تتحقق
وحدة شخصيتنا القومية ، وتتسق حياتنا العملية والنظرية واما أن
يفرض العقل اليمىنى تصوراتة وقوالبه على الواقع فينتحقق التجانس
أيضا فى شخصيتنا القومية لحساب اليمين • وكما أن الواقع قادر على
تغيير الفكر فان الفكر قادر أيضا على تغيير الواقع • ولما كان الواقع
لا يمكن أن يتغير فهو العنصر الثابت ، وكان الفكر يمكن أن يتغير
فهو العنصر المتحرك كان من الطبيعى أن تتحقق الوحدة فى شخصيتنا
الوطنية عن طريق فرض الواقع فكره المتسق معه • وبالتالي تكون
مهمتنا تغيير ثقافتنا الحالية وبيان أوجه قصورها عن واقعها ومقدار
ضررها على قضايانا القومية الاساسية حتى يتطهر العقل من بقايا
الاستعمار الثقافى والتخلف الفكرى والركود العلقى • ثم يفرض الواقع
فكره المتسق معه حتى تتكون ثقافة وطنية يقوم فكرها على مقاومة
الاحتلال ومن أجل القضاء على التخلف •

ان عدم التطابق بين الجسم والعقل فى حياتنا القومية هو
السبب فى تعثر ثورتنا الاخيرة ونكوص تقدمنا الحالى • فالواقع
اليسارى لا يتقدم الا بفكر مطابق • واذا كان الواقع يساريا والعقل
يمينيا فانه مهما حدث من تغيرات فى الواقع فانها لا محالة تكون
قاصرة ووقتية ومهددة بالضياح فى أى وقت فنعود الى التطابق مع

العقل اليميني • وقد استمر هذا الخلاف منذ الاصلاح الدينى حيث
ذلل الفكر الاصلاحى بالرغم من جرأته فى بعض مسائل العدل مثل
اعتبار الانسان عاقلا وحرًا ومسؤولًا الا أنه ظل فى التوحيد أشعريًا
تقليديًا محافظًا ومن ثم حدث أيضًا نفس عدم التطابق بين العقائد
الاصلاحية وبين المشروع القومى الاصلاحى •

ان ارواحنا فى وحشة من أجسادنا ، ضامرة ، متآكلة محترقة ،
لا تفعل ولا توجه لانها تسكن فى عوالم غريبة عنها • فنتظل طائرة
فى الهواء وأجسادنا فى قبضته الآخر وبين قضبانه • فهل يعود العقل
لتخليص الجسد ؟

(ب) الاشتراكية الديمقراطية بين النظرية والتطبيق •

ليس المهم هو اعلان المبادئ الانسانية العامة والنوايا الطيبة وترديد ما يجب أن يسمعه الناس • فكل الايديولوجيات تفعل ذلك • ولكن المهم هو تطبيقها في واقع محدد بعينه لمعرفة تفسير المبدأ على الطبيعة فذاك مربط الفرس •

« والاشتراكية الديمقراطية » بعض الافكار العامة المنتقاة من التراث الاسلامي يعلمها الجميع ونردها منذ مئات السنين • نقول كل الدعوات الدينية بها • ولكن المهم هو تطبيقها في الواقع المصرى وتحويلها الى برنامج محدد تتبناه الجماهير العريضة صاحبة الاغلبية أو ترفضه •

فمثلا ، ليس المهم هو الاعلان عن النزعة الانسانية في الحضارة العربية ولكن الاجدى هو حل عملى طبقا لهذه المبادئ لقضية التعصب المذهبى والعرقى في العالم العربى وهو ما يسمى بمشكلة الاقليات • والحرب الطائفية في لبنان خير شاهد على عجز الايديولوجيات والنظم العربية الحالية على مواجهتها •

كان هذا المقال آخر ما كتب لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ ولكنه لم ينشر • وتلك صياغة ثانية من المسودة الاولى بعد عشر سنوات كتبت في خريف ١٩٨٧ • وقد وضح فيما بعد أن من بين أهداف « الاشتراكية الديمقراطية » أن تكون جسر لقاء مع الصهيونية التى تنتسب ايضا للاشتراكية الديمقراطية الدولية وكما وضح في اتفاقيات كامب دافيد في ابريل ١٩٧٨ •

وصحيح أن الاسلام دين وسط ولكن المهم هو تطبيق هذه الوسطية فى أوضاع مقلوبة لا تتعادل فيها كفتا الميزان • فى مجتمع تسوده الاقلية المترفة تتحقق الوسطية فيه بالعمل أولا من أجل الاغلبية المحرومة • وفى مجتمع تسوده أقلية حاكمة تتحقق الوسطية فيه بالعمل أولا من أجل الاغلبية المحكومة • وفى المجتمع الذى تتكالب فيه الطبقات العليا على الدنيا دون الآخرة يتحقق التوازن فيها بدعوتها الى العمل من أجل آخرتها • وفى المجتمع الذى تجد الطبقات المحرومة فى الآخرة تعويضا لها عن حرمانها فى الدنيا يتحقق التوازن فى حياتها بالدفاع عن حقوقها فى الدنيا • وهنا يختلف التوازن فى التطبيق من طبقة لآخرى • ولا يعنى التوازن بين الروحى والمادى اطلاق العنان للكسب والربح ثم بناء المساجد وحج البيت ، فذاك تفسير رأسمالى للاسلام • فالاسلام لا يفرق بين الروحى والمادى ولكن يوحد بينهما • كل نشاط اقتصادى عمل روحى ، وكل عبادة عمل مادى • لا يعرف الاسلام التفسير الروحى فى مقابل التفسير المادى بل قامت الشريعة الاسلامية على الضروريات الخمس : الحياة ، والدين ، والعرض ، والمال ، والعقل ، وهى دعائم الحياة لا فرق فيها بين روحى ومادى • ولا يعنى التكامل بين العلم والايمان اجراء التجارب فى المعامل ثم التبرك بأولياء الله بل يعنى اقامة الايمان على العلم والبرهان ، وتوجيه العلم لخدمة الرسالة • فالاسلام يوحد بين العلم والايمان ، ولا يجعلهما متجاورين •

ولا تعنى الوسطية فى الاسلام القضاء على الصراع ، فالصراع هو محرك التاريخ « ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت السموات والارض » • ولا تعنى الاخوة فى الاسلام الحب غير المشروط

بل الحب في الله والبغض في الله • وبين الظالم والمظلوم لا توجد أخوة ،
وبين الحق والباطل لا توجد مصالحة • الايمان يقتضى نصره الحق على
الباطل وليس ايجاد التوازن بينهما • وقد أمر الله برفض ولاية الظالمين
والمعتدين •

ان أيديولوجية التوازن من الناحية الاجتماعية كانت ولا تزال
باستمرار أيديولوجية الطبقة المتوسطة التي تريد الابقاء على الوضع
القائم والغاء الاطراف بدعوى القضاء على التطرف وبهدف الابقاء
على الوضع القائم دون تغييره وحتى تستمر هذه الطبقة في البقاء
فتنافس الاغنياء في غناهم أو تشاركهم فيه • وتتصدق على الفقراء
في فقرهم ، وفي نفس الوقت تظل أعلى منهم وتستخدمهم لحسابها •
ومن المعروف في العلوم السياسية أن هناك نظريتين • السياسة
كنظرية في التوازن أو التعادل وهي النظرية الرأسمالية ، والسياسة
كنظرية في الصراع وهي النظرية الاشتراكية •

والاشتراكية الديمقراطية اجتهاد فردي لصاحبها وتجميع من
واضعيها ، وعمل بعض الاساتذة الذين ائتركوا فيها طلبا للمناصب
وتأكيدا لدور البعض في تبرير النظم السياسية وقيامهم بدور الموظف
الايديولوجي للنظام • ولاى نظام يطلب موظفين من هذا النوع •
ولكنها لا تلزم الجامعة في شىء • فالجامعة أساتذة وطلابا تضم عديدا
من الآراء والتيارات المتباينة • وهذا شىء طبيعى بحكم العلم واختلاف
المناهج والرؤى لمقضايا التغيير الاجتماعى ومواجهة تحديات العصر
والاختلاف في الرأى رحمة من الله •

ولا يمكن الزام المجتمع كله بأيديولوجية واحدة والا وقعت

الاشتراكية الديمقراطية في النظام الشمولى الذى تراه وقد ساد في ثورة ٢٣ يوليو • بل ان الانظمة الاشتراكية كلها تسمح بتعدد المداخل النظرية للايديولوجية الواحدة ، واقتصرت الايديولوجية على برنامج للعمل الوطنى يلتزم به كل المواطنين • ولا يوجد شىء اسمه الايديولوجية الصحيحة • فكل الايديولوجيات اجتهادات لتصوير الواقع لصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة • ولا يلتزم المواطنون الا بالدستور • وهم سواء أمام القانون بصرف النظر عن عقائدهم السياسية •

ويظهر التناقض في « الاشتراكية الديمقراطية » بين المبادئ المعلنة والواقع العملى • ففى نفس الوقت الذى تدعو فيه الى توجيه الدولة للنشاط الاقصادى ، وهو ما يقتضى التنمية والمقطاع العام وسيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، تشرع سياسة الانفتاح ويعلن البعض عن تصفية المقطاع العام وتحويل هيئاته الى شركات ، ويسمح للمقطاع الخاص بالانتشار بلا ضوابط ، ويفتح الباب على مصراعيه لشركات الاستثمار ، وللبنوك الاجنبية ، وحرية تداول النقد الاجنبى ••• الخ • وفى نفس الوقت الذى يعلن فيه أن الديمقراطية تقتضى عدم عزل أية فئة من ممارسة العمل السياسى تصدر قوانين يشرعها الاستفتاء الاخير من أجل العزل السياسى ، وتصدر قوانين العزل • وفى نفس الوقت الذى تعلن فيه سيادة القانون يتم انتهاك حقوق الافراد باسم القانون عن طريق اصدار القوانين الاستثنائية مثل قانون الاشتباه ، وقانون العيب ، وقانون الطوارئ ، وقانون حماية الوحدة الوطنية •• الخ •

وفي نفس الوقت الذي يتم فيه رفض سيادة الفكر الاوربي على الحضارة العربية حماية للاصالة ودفاعا عن التراث يتم الانتساب الى الاشتراكية الاصلاحية الغربية وهي من الارهاصات الاولى للاشتراكية العلمية والتي استمرت فيما بعد لضربها والتي وجدت فيها النظم الرأسمالية تدعيما لها ودفعاً لخطر الاشتراكية العلمية عليها . فاذا كانت الاشتراكية الديمقراطية ترفض الافكار المستوردة وهي تعلن انفتاحها على التجارب المعاصرة فهي تتبنى مذهباً سياسياً غربياً رأسمالياً في حقيقته واشتراكياً في مظهره .

وفي نفس الوقت الذي يعلن فيه « لا اكراه في الدين » ، « ولا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » تتم فيه التفرقة بين المواطنين على أساس الايمان والالحاد ، وأن من لا ايمان له لا أمان له . ويتم التخلص من المخصوم السياسيين في أجهزة الاعلام والجامعات وفي جهاز الدولة ومراكز التخطيط على هذا الاساس . ويكثر التفتيش في ضمائر الناس والقاء التهم بالايمان والالحاد على هذا وذلك مع أن كل من قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه وماله وأصبح عضواً في الجماعة الاسلامية .

وبالاضافة الى هذا التناقض بين النظرية والتطبيق هناك ثلاث بواعث غير معلنة وراء « الاشتراكية الديمقراطية » . الاول ، صياغة نظرية أو أيديولوجية لما يسمى بحركة ١٥ مايو كبديل عن ثورة ٢٣ يوليو بل وعلى النقيض منها . فكثيراً ما تصور ثورة ٢٣ يوليو وكأنها

بدايات مثل النظام الشمولى ، والانغلاق والتبعية للاتحاد
الشيوعى ، ومراكز القوى ، والتعذيب فى السجون ، والاضطهاد
والزعامة الفردية ، وتبديد طاقات مصر فى الحروب ! والثانى معاداة
الاشتراكية ووصفها بأنها ماركسية وتشويهها أمام الشعب وهو ما
درجت عليه كل النظم الرأسمالية فى الغرب أولا ثم فى الشرق ثانيا
بذات العبارة المشهورة « الدين أفيون الشعوب » ، وهى عبارة
مبتسرة مثل « ولا تقربوا الصلاة » لان تنتم العبارة « وصرخة
المضطهدين » . فالدين ممثلا فى رجال الدين وباعتباره وظيفة اجتماعية
يمكن أن يكون فى لحظة معينة وسيلة لتخدير الناس وتعويضهم بالآخرة
عن مأسى الدنيا كما حدث فى تاريخ الكنيسة فى أوروبا ويمكن أن يكون
ثورة للمضطهدين كما كان الحال فى المسيحية الأولى وفى حروب
الفلاحين فى ألمانيا فى القرن السادس عشر بقيادة الراهب توماس مونزر .
وتد ظهر ذلك أيضا فى اشتراك البوذيين فى حركة التحرر الوطنى فى
فيتنام ، وفى تفسير ماوتسى تونج لكونفوشيوس فى بدايات الثورة
الصينية . وقد حدث ذلك أيضا فى دور الاسلام الثورى ابان حرب
التحرير الجزائرية وفى دور الرهبان الكاثوليك الشبان فى أمريكا
اللاتينية . لقد كان المضطهدون فى مكة والمعذبون والعبيد والفقراء
هم أول من آمنوا بالاسلام ، وكان أول من عادوه هم أشراف مكة
وأغنيائها . والثالث ، أن تكون الاشتراكية الديمقراطية جسرا لقاء
مع الصهيونية من خلال الاشتراكية الديمقراطية الدولية بمساعدة الدول
الأوربية الحليفة . وقد بدا ذلك فى التحقق فيما بعد مصالحة العدو

الصهيونى ، اشتراكية ديمقراطية تتحالف مع اشتراكية ديمقراطية
أخرى بصرف النظر عن العنصرية والتوسع والغزو واستئصال شعب
فلسطين وتشريده واحلال شعوب أخرى اشتراكية ديمقراطية محله !

ان « الاشتراكية الديمقراطية » لا تستحق كل هذا العناء فى
بيان تهاافتها النظرى وتناقضها فى التطبيق فسوف تجرفها الاحداث ،
وينساها واضعوها وهم بصدد الاستعداد لوضع أيديولوجيات أخرى
حسب الطلب وعندما يأتى الامر !

(ج) بين العالم والراوى *

فى حياتنا القومية شخصيتان : العالم والراوى * والحوار بينهما يسجل حركة التاريخ * وهو التقابل بين الجد والهزل ، بين المأساة والمهابة * وهما نمطان سلوك وتفكير يراهما العامة وقد تجسدا فى شخصيات القادة ، يبدو أحدهما عالما والآخر راويا * وتحتوى كل شخصية على نماذج فرعية فى السلوك يمكن وصفها على النحو الآتى :

١ - العالم يضع سؤالاً محددًا من أجل الحصول على اجابة محددة وحلا لمشكلة بعينها ، يفكر فيها ويستغرقه الموضوع ، ويصبح مهموما به حتى يجد له أفضل الحلول * أما الراوى فانه يحوله الى حكاية للتسلية يرويها للناس ليبين صعوباته وألغازه التى تستعصى على الحل ثم يطويها بين ذراعيه ويخرجها من أطراف جليبايه كالساحر الشعبى ، وكأن المسألة قد تم حلها بقدرة قادر ، بعبقرية موهوبة وشخصية فذة لها سحرها وذكاؤها فى برامج الاطفال ومسرحيات الكبار *

٢ - العالم يبدأ من واقع معين وبصورة احصائية له ويحاول تغييره أو يعيد بناءه * أما الراوى فانه يستعمل الواقع كنسيج

كتب هذا المقال لجريدة « الاهالى » عام ١٩٧٨ كوصف لاسلوب أحد رؤساء الجمهورية السابقين الذى كان يستخدم الرواية أسلوبا فى الحديث تعمية للموضوع واعتمادا على الخيال الشعبى وادعاء البطولة والابوة وشيخ القرية بالعصا والجلباب فى صورة الراوى القديم * وهذه الصياغة من العناصر الاولى لهذا المقال ، كتبت بعد ذلك بعشر سنوات ، فى خريف ١٩٨٧ . وكان الهلاغ ابراز التقابل بين أسلوب عبد الناصر وأسلوب السادات .

لحكاية يقوم الخيال بصياغتها فيتحول الواقع الى قصة تتأرجح
يميناً ويساراً بلا واقع كمي احصائي وكأن الواقع تاريخ ، والوقائع
شخصيات ، والامواضع الاجتماعية مجرد علاقات قوى . ويقوى
موقف الراوى قصص الانبياء الذى يصور الواقع فى خيال ، ويحكى
التاريخ على أنه قصة ، يضحى بالعلم من أجل التشويق ، ويؤول
المضمون لصالح السرد . وبلغة علم الحديث عند العالم المتن أهم من
السند وعند الراوى السند أهم من المتن . وبلغة الفلسفة عند العالم
الحقائق جوهر ومضمون وعند الراوى كل شىء خاضع لطرق الايحاء
ووسائل الاقناع .

٣ — يبحث العالم عن العكس المتحكم فى مسار الاشياء ، ويحاول
التعرف على القوانين الضابطة لسير الظواهر حتى يمكنه السيطرة
عليها وتوجيهها لصالحه ولتحقيق غاياته . أما الراوى فانه لا يبحث
عن شىء وبالتالي فانه يجهل قوانين الاشياء ثم يدارى جهله اعتماداً
على عناصر الرواية وأساليب التأثير . يضحى بالعلم من أجل الادب،
وبالفكر من أجل الاسلوب ، وبالمضمون تمسكاً بالمشكل . يسهل الحوار
مع العالم وتبادل الآراء والتصحيح المشترك . أما الراوى فانه لحن
فريد لا يعزفه الا مطرب واحد ، ولا يمكن أن يكون فى الحى الواحد
مطربان .

٤ — أحياناً تأخذ العالم الحمية وتنتابه الثورة ، ويفقد أعصابه ،
يثور ويغضب ، ثم يهدأ ويبرد ، وهو فى كلتا الحالتين صادق
وانسان . كرامة الوطن ، وحرية القرار ، والاستقلال الوطنى ،
والسيادة على الارض ، كل ذلك مدعاة للفخر يثور العالم اذا ما نال

أحد منها • أما الراوى فإنه يتعايش ، يروى من فوق أية مصطبة كانت مادام الجمهور حاضرا ، وبالذف ضاربا ، وحوله المزمار ، وأمامه الراقصات • لا ينفعل بشيء الا بقدر الحساب ، وعلى قدر الاندماج فى الدور • ما يهمه نجاح الليلة ، ليلة العرس حتى ولو كان لدى الجيران مأتم •

٥ — العالم باكتشافه وريادته بطل عصره وقائد أمتة لدى شعب يعشق البطولة ، ويقدر الأبطال • أما الراوى فإنه يختفى ليلية الزفة اذا ما نشبت المعركة ، وانطفأت الأنوار • بطل فى السلام وحين الأمان ، ولا يعثر له على أثر حين النزال • لا يعلن عن رأى ، ولا يدخل فى نقاش ، ولا يختلف مع أحد • لا يهمه أن يكون بطلا لدى قومه فلا قوم له الا أصحاب الحفل ومن يعطى « النقوط » • يغنى فى أى مكان مادامت الأضواء مسلطة ، والمصورون حاضرين ، والتمثيلية جاهزة • العالم بطل تخلقه الظروف ، والراوى بطل يصطنع المواقف ، ويخلق الظروف لنفسه حتى يقوم بدور الممثل ، فنتابع المشاهد حتى ولو أسدل الستار •

٦ — العالم يرى عالما موضوعيا أمامه ، يعيش فيه ، ويتعامل مع معطياته • ذات فى مواجهة موضوع ، وعى فى قلب عالم ، قائد وسط أمة ، تهمة القضية أكثر مما تهمة ذاته • أما الراوى فإنه نرجسى يحيل العالم كله الى نفسه • فالعالم رواية أو قصة من نسج الخيال ، الراوى فى وسطها يعلن عن بداية العالم من خلال الزواية لجمهور المشاهدين • الراوى ذات بلا موضوع أى فراغ أجوف دون ملاء ، أعراض بلا جوهر • العالم يبقى ببقاء الموضوع والراوى يتلاشى بانقضاء البالون ساعة الانفجار •

٧ — العالم له هدف وغاية ينطلق اليه كالسهم ، يحدد مراحلها ، ويقرر خطته ، ويضع في حسابه شتى الاحتمالات • العالم له قضية ، له رسالة حياة • أما الراوى فانه لا هدف له الا اضحاك الجمهور أو ابكائه ، لا خطط له ولا مراحل تحقق • وان كان للراوى هدف فهو فقط ليلة العرس حتى يتصدر المائدة ، ويظهر وسط الصور التذكارية معجبا بنفسه على أنه عروس الحفل ليلة الزفاف • لا يهم ما يحدث في اليوم التالي ، ولا يهمه ان كانت عروسه عذراء • هدف الراوى معكوس عليه ، هو نفسه الرامى والسهم • فيتحول السهم ، ويدور حول نفسه ، ويصيب الرامى •

٨ — العالم نائر ، يعرف ظروفه الموضوعية التى جعلته نائرا وعلى دراية بأساليب ادارة الصراع • العالم عصر يعبر عن نفسه فى فرد ، وتاريخ يتحرك ، وينتقل الى مرحلة جديدة من مراحل مسيرته • أما الراوى فتاجر سمسار ، وسيط وعميل ، مقامر يكسب أحيانا ويخسر دائما • العالم مبدأ ، وصاحب موقف فى حين أن الراوى رجل أعمال يتقاضى عمولات نظير عقده الصفقات بما فى ذلك الوطن ، ماء وأرضه ، آثاره وتاريخه •

٩ — العالم رجل ، ورجل أول لا يكون تابعا لاحد ولا شخصية ثانية تضمر السوء من وراء ستار ، « نتمسكن حتى نتمكن » • أما الراوى فانه أقرب الى المرأة تتكيف حسب الظروف ، تلعب على كل الرجال ، وفى أحسن الاحوال هو رجل ثان ، تابع صامت ، يحيك المؤامرات ، ويتحالف مع الاعداء ، ويتربص الفرص للانقضاض • العالم سيد يتعامل مع أنبياء ، ند مع أنداد • أما الراوى فانه صوت

سيده ، ضعيف مع أقوياء ، ذليل مع أعزاء ، يشعر بمركب النقص أمام من يشعرون بمركب العظمة ، جاهل يسعى للحصول على الدكتوراه الفخرية من خارج الاوطان وجامعاته الوطنية تأبى أن يطأها •

١٠ — العالم صادق مع النفس ، وصادق مع الغير ، وصادق مع واقعه • ان انتصر أعلن انتصاره ، وان هزم أعلن هزيمته • والراوى كاذب مع نفسه ، كاذب مع غيره ، ان انتصر جيشه الوطنى قال انتصرت وان هزمت خطته وألأعييه ومناوراته قال انتصرت ، يجهز البيارق والاحتفالات بالنصر قبل النصر لان كل ما سيفرض عليه سيكون نصرا • العالم قد يخطىء التقدير ويعترف بخطئه ، أما الراوى فانه لا يخطىء أبدا لانه لا يفعل شيئا يقاس خطأ أم صوابا • وظيفته أداء المطلوب والتنويه على السامعين • خطؤه الوحيد أن يكتشف السامعون ألأعييه أو لا يحسن الاداء بمغالاته فيه ظانا أن يرضى الاسياد الذين سرعان ما يتخلصون منه اذا ما انقلب من ممثل الى مهرج فيبحثون عن ممثل أقدر فى أولى أدواره قبل أن يكتشف ألأعييه السامعون •

١١ — العالم لانه صادق مع النفس طيب السريرة ، صافى القلب ، لا يبغى الشر ولا يوقعه • وفى نفس الوقت يغضب للحق ، ويثور ضد الظلم • يجمع بين الوداعة والصلابة ، بين اللين والثسدة ، كل فى حينه • أما الراوى فانه سىء الخلق ، يظهر غير ما يبطن ، منافق ، يتكلم يسارا ويسلك يمينا • يتلون كالثعبان ، حويط كالافعى • يستعمل لغة القتل والتشريد والتعذيب والفرم والانياب • العالم يسمع النصيحة ، ويرعوى بالمعارضة ، والراوى يستأسد مع المعارضة وهم خصوم فى الوطن ، ويلين مع الاعداء ويسمع نصائحهم وينفذ وصاياهم وهم خصوم التاريخ •

١٢ — العالم ان قضى نحبه يذكره الناس ويحملون نعشه بالملايين على الاعناق مبايعة في الحياة وفي الممات • يراه الناس في الارض وفي الصناعة وفي الوطن ، يذكره الفلاحون والعمسال والطلاب • يحترمه خصومه وأعدائه قبل أصدقائه وأنصاره • العالم يبقى في التاريخ مهما بعد العهد وقدم الزمان • أما الراوى فلا يذكره أحد حتى ولو ملأ الدنيا في حياته صراخا ، وأخذت الدنيا في عهده زخرفها وازينت • يعزلونه في الحياة وينسونه بعد الممات • لا أحد يفديه ساعة الخطر ولا أحد يذكره ساعة الرحمة ولا حتى الاسياد بعد مراسم الدفن وواجب العزاء •

ذاك هو التقابل بين العالم والراوى في حياتنا السياسية المعاصرة وهو مازال تقابلا حيا في وجداننا القومى يحث على الاختيار • ولكن هل يستطيع « الكاتب المصرى القديم » القاعد القرفصاء والذى يمسك بيده بالاقلام والالواح ويحفظ الملفات أن يجمع بين الشخصيتين : العالم والراوى ؟ وهل يعنى « الكاتب المصرى » عن « فرعون مصر » ؟

(د) تحية الى رجل الشارع *

لا أريد أن أكون نشاذا في نعمة يكررها الجميع ، ولكنى أريد أن
أكون صادقا وأن أعبر عما كان يخلج في قلب رجل الشارع وعما يجيش
في صدور الناس ومايزال *

ويبدو أننا لم نعلن التوبة بعد ، ومازلنا نسيء تأويل مشاعر قومنا ،
ونتهم شعبنا بالتخريب وقد يكون أكثر صدقا ووعيا منا * ولا نتعلم من
التجارب * وسنظل متخلفين عن رجل الشارع ، وهو يسبقنا باحساساته
الصادقة ، وبعمله التلقائي * نسيء فهمه عن عمد ، ونشوه مواقفه
كالعادة * وربما نحقد عليه في قرارة نفوسنا ولكنه يستمر في مطاردتنا *
ونظل نتبرأ منه ، ونقذفه بالاتهامات ، وهو يضحك علينا ، ويرثى لنا ،
ويعجب لنفاقنا الذي طال *

لقد عبر رجل الشارع في الحوادث الاخيرة عن عدة حقائق لا تغيب
عن بال المتأمل في حال الناس وفي حال مصر على النحو الآتي :

١ — مازال رأينا باستمرار تفسير ما يحدث من ممارسة الشعب

كتب هذا المقال بعد انتفاضة ١٨/١٧ يناير ١٩٧٧ في مصر عندما
كانت مصر كلها من الاسكندرية الى أسوان تحت سيطرة الجماهير . ولم
يكتمل المقال ، ولم ينشر بعد هدوء العاصفة . والصياغة الحالية من
المسودة القديمة بعد ذلك بعشر سنوات في خريف ١٩٨٧ . ويمكن أن ينطبق
ذلك أيضا على حوادث الامن المركزي في مصر بعد ذلك بعشر سنوات
في ١٩٨٧ *

لحياته الوطنية على أنه بفعل فاعل مرئى أو غير مرئى وكأن الواقع لا يتحرك من داخله ، وكأن الجماهير لا حياة لها ، وكأن هذا الفاعل الخارجى ساحر أو شيطان له قدرة قادر على تحريك الناس وتوجيههم كما يشاء ، وكأن جماهير مصر مسلوقة الارادة ، فاقدة الوعي ، تقع دائما ضحية هذا الشيطان الخبيث * وذلك ادانة لشعبنا وتجاهل للجماهير صانعة ثوراته المتعاقبة وفوراته المتتالية منذ النكسة حتى الآن * الى متى سنظل ننتهم شعبنا بأنه جثة هامدة لا يرد اليها الحياة الا بفعل فاعل مجهول ؟ ان العيب هو فى أقلامنا التى تعودت على اتهام الشعب وتبرئة أنفسها ، واعتبار خروجه على السلطة مروقا وعصيانا * وذلك أن وظيفة الاقلام هى فى التعبير عن السلطة والنظام ، خادمه للسيد وليست مدافعة عن حقوق العبيد *

٢ — مازلنا نتصور أن ما يحدث فى حياتنا الوطنية هو أقرب الى الشعب والتخريب منه الى الممارسة السياسية لحقوق المواطنة * نخلط بين الاساس والفرع ، ولا نميز بين الجوهر والعرض * ان غضب الجماهير واقع حقيقى * والضحك الذى يعيش فيه الشعب ثقيل على النفس * وتوفير ثلاث وجبات يومية للجماهير الفقيرة هم يومى تحول الى هم تاريخى * فتتحرك الجماهير اثبات لنفسها ، وعلان عن وضعها * ويصاحب الشعور الجمعى أفعال عرضية من الصعب السيطرة عليها بعقل الروح الجمعى * ولكنها أشياء طارئة وليست المشىء الجوهري * فالحديث عن تخريب رجل الشارع دون الممارسة الفعلية للمسؤولية الوطنية هو حديث عن العرض دون الجوهر ، واحلال للطارئ محل الدائم *

٣ — ان مأساة جماهيرنا هي في غربتها عن وطنها وفي عدم انتمائها الى ما يحدث فيه • يسمع رجل الشارع عن حفلات الفنادق الكبيرة وعن لياليها الحمراء وعن مواعدها الطويلة • كل ذلك يحدث في مصر ، وهو مصرى منزو في عالمه ، لا يخرج من حارته ، لم يدعه أحد الى مائدة ، فتحول الحرمان في نفس رجل الشارع الى تحريم ، وتحولت المحرمات الى أساطير حية • وكلما زادت الغربة اتسعت الهوة بين رجل الشارع وبين مصر الآخرين • فاذا ما ثار وغضب فانما أراد أن يقضى على غربته ، وأن يشعر بالانتماء ، وأن يعلن أن مصر للجميع ، وأن الواجهات الزجاجية الكبيرة قابلة للانكسار • وتكون « الحجارة » التي يقذفها هي طريق العبور من عالمه الخاص الى مصر الجميع ، فينتمى على أسنانها •

٤ — ان مأساة جماهيرنا هي أنها ليست لديها وسيلة للتعبير عن ذاتها • فاذا ما سمع في أحاديث بعض نواب مجلس الشعب تعبير عن بعض ما يجيش في صدره فانه يسمع أيضا أنه يقال لهم اخرس ! ! اسكت ، شيوخى ! ملحد ، عميل ! • الخ • ان توجه الجماهير الى مجلس الشعب ليبدل على أنه يريد أن يسمع صوته لمثليه • وان توجهها الى الصحافة ليبدل على أنها تريدها حرة تعبر عن أحوالها وليست مأجورة تعبر عن السلطة • أراد رجل الشارع أن يعبر عن غضبه ضد لسان حاله الذى لم يعد يعبر عنه بل كان معبرا عن وجهة نظر خصمه التقليدى في الوجدان القومى •

٥ — ان ما يبدو أحيانا على أنه اعتداء على مقاسر الاحزاب السياسية وبوجه خاص على ما يسمى بحزب الاغلبية يشير أيضا الى

أن الشعب قد تجاوز مرحلة الاحزاب الحكومية التى تعبر عن الحكومة أكثر مما تعبر عن الشعب • ولم يعد يقبل هذه المكاتب الحكومية التى تدعى لنفسها اسم التنظيمات الحزبية • وان ما تسمى بحكومة الاغلبية كانت صاحبة القرارات الاقتصادية التى كانت الشرارة التى فجرت ما يعتلج فى نفسه من نار الضنك وشظف العيش •

٦ — ان الاعتداء المتكرر على أقسام الشرطة والذى بدأ فى السنوات الاخيرة فى بعض قرى مصر يعبر عن احساس الشعب بأن السلطة لا تعبر عنه وبأنها معادية له ، وبأنها خصمه الاول • وان شعار « الشرطة فى خدمة الشعب » لى محاولة للتعمية وللتغطية أو لايهام الشعب بأن الشرطة فى خدمته بالرغم مما نسمع عن عدد «العلق» التى يأخذها بعض المواطنين اذا ما دخلوا الاقسام • كان من الطبيعى أن تتوجه ثورة الشعب نحو رمز السلطة والسطوة عليه •

٧ — صحيح أن وسائل النقل العام هى وسيلة الشعب العرجاء ، ولكن الشعب فى فورة الغضب يعبر من خلال عداثه لها وتحطيمها عن مصادر ألمه المزدوجة • فهى التى يحشر فيها ، وتتكسر فيها ضلوعه ، ويهان فيها كل يوم مرتين على الاقل ، مرة ساقطا ومرة متدليا ، مرة محشورا ومرة مسروقا • وهى أيضا تمثل السلطة مثل أقسام الشرطة ومقار الاحزاب ودور الصحف • فهو يعتدى على السلطة باعتدائه عليها •

٨ — أما الهجوم على المجمعات الاستهلاكية فهو بمثل نوعا من الالم والفرح فى آن واحد • هو ألم لانه يمثل أيضا الهجوم على السلطة ورد الفعل المناهض لها • فالجمعيات الاستهلاكية فى نهاية الامر تمثل

الحكومة التي تدعى تمثيل الشعب • فالحكومة هي التي شرعت نظامها ، وموظفوها الذين يسرقونها ، ويحابون الاصدقاء والمعارف على حساب جماهير الفقراء • يحابون الزبائن ، ويعطون الاولوية للخاصة ، ويهربون الكثير من البضائع من الباب الخلفى • والآن الجمعيات للناس من الباب الامامى وللعامه دون الخاصة ، وعادت الى الشعب • والفرح هو فرح الجياع الذين عبروا عن جوعهم الذى صبروا عليه طويلا • حمل كل جائع على كتفه ما حلم به وراوده فى منامه • وتبدو الشهامة ، ويظهر التضامن بين الجياع ، فيوزع الجائعون على بعضهم البعض ما حملوه بالتساوى مع حفظ نائب الغائب ، والتوصيل الى المنازل للمرضى والعجائز •

٩ — أما المستشفيات والمراكز الطبية والعيادات والمصحات والمستوصفات فلم تلمسها الجماهير الغاضبة • حرقت جميع الاعلانات عن الخمر والمنتديات الليلية وتركت اعلان معاهد ثلث الاطفال • فالجماهير غاضبة ولكنها واعية ، ثائرة ولكنها متحضرة • ومن ثم فهى ليست غوغاء ولا رعاغ بل تمثل الضمير الحى للامة ووعيتها السياسى الذى يفوق أحياننا وعى السياسيين المحترفين وادراك الاحزاب السياسية القائمة •

١٠ — أما الجامعات والمدارس فلم يمسسها شىء لانها دور علم يتعلم فيها الشعب بعد أن حصل على مجانية التعليم • بل لقد خرج الطلاب فى الشوارع لاحقين برجل الشارع يعطونه الشعارات ويعبرون عما يجيش بصدرة من انفعالات • فالطلبة عقل الثورة ، ورجل الشارع وقودها • عادت لجنة الطلبة والعمال من جديد على مستوى الجماهير

من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب والسلطة تفكر في الهرب بعد أن
تم حصارها ولم يبق الا الاستيلاء على الباستيل واسقاط الملكية
الجديدة •

انتفاضة شعب لم تستمر ، ولكنها ظلت علامة ومؤشرا على يقظته
وقدرته على الحركة • ينقصه العصب أو العمود الفقري حتى تتحرك
الاطراف وجسد الثورة قائم •

• تحية الى رجل الشارع

مراجعة وتقرير

(أ) التصوف والتنمية +

حوار مع الفزالي

« احياء علوم الدين » أو احياء علوم الدنيا ؟

١ - مقدمة :

التصوف هو أحد العلوم العقلية النقلية في الحضارة الاسلامية ، بالرغم من اعتماده على منهج الذوق ، مع علوم الحكمة وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه . وهو العلم الذي اتحد مع العقائد الاشعرية وأصبحت معها المكون الرئيسي للحضارة الاسلامية منذ العصر المملوكي التركي حتى حركة الاصلاح الديني في العصر الحديث .

٢ - النشأة التاريخية للتصوف الاسلامي :

أثناء الصراع بين علي ومعاوية ، أخذ الانتقياء الاطهار صف علي بينما أخذ أهل الدنيا صف معاوية . ولما لم يستطع الانتقياء تغيير العالم والدفاع عن الحق وارجاع الشرعية الى السلطة السياسية بعد سقوط عديد من الشهداء من آل البيت والصحابة الاوائل والائمة ، وفي نفس الوقت رفض الدخول في مساومات مع أهل الدنيا والتسليم باللاشرعية

مجلة دراسات جمعية الشرق الاوسط (ملخص لبحث بالانجليزية بنفس العنوان) طوكيو ١٩٨٦ .

Mysticism and Development, James, Tokyo, 1986.

في الحكم • انزوى الانتقياء ، وارتدوا الى النفس لانقاذها بعد أن استعصى عليهم انقاذ العالم • وتم خلق عالم روجى باطنى جديد تعويضاً عن فقد العالم الخارجى • وتم تأويل القرآن على هذا الاساس • تحولت الهزيمة الخارجية الى نصر داخلى ، وتحول القهر الخارجى الى حرية داخلية • واستمر التصوف يمثل رد فعل روجى على حياة البذخ والترف في العالم الاسلامى •

٣ — الاسباب التاريخية لاختيار التصوف كحل لمشاكل العالم الاسلامى في القرن الخامس الهجرى :

بالرغم من ازدهار الحياة العقلية في القرن الرابع الهجرى الا أنه متى أتى القرن الخامس حتى تعددت الحقائق ، وتكاثرت المناهج ، واحترق الناس في الاختيار بينها بعد أن تكافأت الادلة بين الشيء وضده • أصبح العقل والطبيعة مصدرين للمعرفة على حساب الوجدى • وتحول الدين الى مجموعة من الشعائر الخارجية بلا حياة باطنية • وصل العالم الاسلامى الى حد من الغنى والترف بحيث أصبح المال مطلباً للجميع • وكان الصليبيون قد وصلوا الى الشام ، وسقط بيت المقدس • فأراد الغزالي أن يرد الناس الى الدين خمياً لهم من الدنيا •

ولقد تغيرت الظروف الآن بل نشأت ظروف مضادة مثل سيادة الرأى الواحد ، وأولوية الايمان على العقل ، وفشل التنمية للمجتمعات الاسلامية ، وحاجة الناس الى سلوك في الدنيا ، وتحرير الارض المحتلة غاية للمقاومة • قضايا الامة الرئيسية الآن سبعة : تحرير الارض من الاستعمار الخارجى ، وتحرير المسلمين من القهر الداخلى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية لحل التفاوت بين الفقراء والاغنياء ،

وتحقيق التنمية ضد مظاهر التخلف ، وتوحيد الامة ضد التجزئة ،
وتأكيد الهوية الوطنية الاسلامية ضد التغريب والتبعية ، وتجنيد
الجمهير ضد السلبية واللامبالاة • فهل يمكن للتصوف المساهمة
في حل هذه القضايا والدخول في تحديات العصر ؟ هل يمكن تحويل
أيدولوجيا الصراع الداخلى الى أيدولوجيا للمقاومة الخارجية ؟ هل
يمكن الانتقال من الفرد الى المجتمع ، ومن النفس الى العالم ؟ لقد
استطاعت الطرق الصوفية فى التاريخ الاسلامى الحديث القيام بمثل
هذا التحول مثل السنوسية فى ليبيا ، والمهدية فى السودان ؟ هل يمكن
اعادة بناء التصوف كله لصالح قضايا العصر ؟ هل يمكن الانتقال من
« احياء علوم الدين » الى « احياء علوم الدنيا » ؟

٤ — اعادة بناء المرحلة الاخلاقية العملية :

اذا كان التصوف طريقا الى الله يمر بثلاثة مراحل : مرحلة
أخلاقية ، ومرحلة نفسية ، ومرحلة ميتافيزيقية فهل يمكن اعادة بناء
كل مرحلة بحيث يساعد التصوف على تنمية العالم الاسلامى وتطوره ؟
يمكن ذلك عن طريق التحول من الروح الى البدن ، ومن الداخلى الى
الخارج ، ومن الاخلاق الفردية الى الاخلاق الاجتماعية ، ومن التأمل
الباطنى الى الفعل الخارجى ، ومن الطرق الصوفية الى الحركات
الاجتماعية والسياسية • فمشاكل الشعوب الاسلامية الآن فى البدن ،
وفى المجتمع ، وفى العالم ، ومع النظم الاجتماعية والسياسية وليست
مع الروح أو الفرد أو المقيم أو التأمل أو حلقات الذكر الصوفى •

٥ — اعادة بناء المرحلة النفسية الاخلاقية :

فى هذه المرحلة ، يتحول التصوف من أعمال الجوارح الى أعمال

القلوب ، وينتقل الصوفي فيها من مقام الى مقام ، ومن حال الى حال • هل يمكن تحويل هذه المقامات والاحوال السلبية الى مقامات وأحوال ايجابية ؟ فالتوبة ليست عملا فرديا بل رغبة في التغير الجماعى ، والصبر ليس انتظارا بلا حدود بل عمل وتمهيد لوقت محدود ، والشكر ليس رضاء بالقليل بل استرداد للحق كله ، والفقر ليس فضيلة للفقراء بل دعوة للاغنياء ، والزهد ليس مطلبا للمعدمين بل واجب على الاثرياء ، والتوكل ليس تركا للأسباب بل سيطرة عليها ، والرضا ليس سكوتا على الظلم بل غضب ومطالبة بالحق ، والصمت ليس ايثارا للسلامة بل جهر بالقول ، والعبودية ليست احساسا بالذل بل تحرر من الخوف ، والمحبة ليست توحيدا للمتناقضات بل كراهية للظلم والفساد • أما الاحوال فانها يمكن أن تتغير أيضا من الصراع الداخلى وجدل العواطف الى صراع خارجى وجدل اجتماعى • فالخوف والرجاء ، ثقة بالنفس وأمل لجماعات المعارضة ، والسكر والصحو وعى وانتباه للمقاومة ، والهيبة والانس شجاعة وترابط بين المناضلين ، والقبض والبسط فر وكر للمقاومة ، والفرق والجمع للجيش ولتوحيد الامم ، والغيبة والحضور للأمال والغايات ، والمحو والاثبات للاعداء والاصدقاء ، والستر والتجلى للحقائق والمعلومات ، والبعد والقرب للاهداف والمقاصد ، والفقد والوجد للامكانيات ، والفناء والبقاء للجنس البشرى •

٦ — اعادة بناء المرحلة الميتافيزيقية :

إذا كانت غاية الصوفي في النهاية هو الفناء في الله ، والاتحاد به ، والانتهاى الى الوحدة الشاملة فهل يمكن تحويل هذا البعد

الراسى الى بعد أفقى ، وأن تكون الغاية الى الامام وليس الى أعلى ؟
هل يمكن الانتقال من المقامات الرأسية الى مقامات أفقية ، والتحول
من البعد الالهى الى البعد التاريخى ؟ هل يمكن أن تتحقق الوحدة
فى هذا العالم وليس خارج العالم ، بالفعل وليس بالخيال ؟ هل يمكن
اقامة تأويل جديد يسمح القرآن به طبقا للظروف النفسية والاجتماعية
للأمة الاسلامية الآن ؟

ان تحول التصوف القديم الى عملية تنمية شاملة فعلية للمجتمعات
الاسلامية حتى تتطور من خلال تراثها الخاص يحفظها من الوقوع اما
فى المحافظة الدينية التقليدية أو العلمانية الغربية الحديثة ، وتحقق
الوحدة الثقافية فى الأمة بدلا من ازدواجيتها الحالية *

(ب) تقرير عن بحث « الفكر الدينى السلفى والتنمية » *

١ - عنوان البحث :

بالرغم من أن عنوان البحث براق وأن موضوعه جدير بالاهتمام والبحث الا أن هذه الدراسة التى تحمل هذا العنوان خلت من ذلك ، ولم تقدم الا العنوان * أما الموضوع والمنهج والنتائج والمراجع العامة فهما خارج عن الاطار كله * ويمكن توضيح ذلك بالحقائق الآتية :

١ - لم يقيم البحث بتحديد المفهومين الرئيسيين فى دراسته وهما « السلفية » ، « التنمية » الا بشكل هامشى صرف فى عبارة عامة واحدة أو فى مكان متأخر من البحث فى النهاية (١) * وهذا هو السبب فى جعل البحث خارجا عن موضوعه تماما وبلا منهج ولا يضم الا معلومات عامة متناثرة من الغرب والشرق على السواء يعلمها الجميع وأحكاما عامة يابهاها روح البحث العلمى * وهو من نوع الدراسات المعرفية عند الاخوة المثقفين فى المغرب العربى خاصة فى تونس وفى المملكة المغربية * والباحث يعترف بذلك عدة مرات بلا موارد أو خفاء واعداد

مراجعة لمجلة العلوم الانسانية بالكويت ، ١٩٨٦ .

(١) يتضح ذلك بتحديد السلفية على النحو الآتى فى هامش فى الصفحة الاولى « تعنى السلفية هنا محاولة بناء الحاضر على أسس نموذج فى الماضى » . كما يظهر تحديد مفهوم التنمية متأخرا كالاتى : وحتى نجيب عن هذا السؤال لابد من القول بأن عملية التنمية عملية شاملة تأخذ بجميع جوانب الانسان ، وبجميع جوانب بيئته ، وأنها تقوم على العلم والنظرة المستقبلية .

باعطاء دراسة أخرى أكثر تفصيلا (٣) . فالدراسة المقدمة اذن هي مجرد
عموميات خارج الموضوع .

٢ — البنية العامة للموضوع ومنهج البحث :

يقسم البحث الموضوع الى أربعة أبعاد رئيسية متفاوتة في
الموضوع والمنهج والحجم والغاية على النحو الآتى :

(أ) البعد النظرى :

ويحتوى هذا القسم على مدخل غربى صرف لموضوع لا غربى
خالص ، مجرد مناقشة للخلاف بين ماكس فيبر وكارل ماركس حول
العلاقة بين الفكر الدينى والابنية الاقتصادية . وهو مدخل بعيد جدا
عن الموضوع . والاولى مدخل خاص عن من تطرقوا الى هذا الموضوع
وهم كثيرون ، عيوبهم ونتائجهم أو محاولة تأصيل المفهومين الرئيسيين :
السلفية والتنمية داخل التراث الاسلامى نفسه القديم أو الحديث .
ثم تأتى مناقشة الاستشراق أى أيضا مدخل غربى لموضوع اسلامى
(رودنسون) ، والمستشرقون كثيرون الذين عرضوا للموضوع مع
رودنسون أو ضده . كما تحتوى المقدمة على عدم دقة فى اعتبار

(٢) يقول الباحث « منتهين الى عرض سريع لبعض الحركات الدينية
الحديثة والمعاصرة وبيان علاقة أفكارها عامة بالتنمية » . ويقول أيضا
« ان محاولته هذه ما هى الا مقدمة لدراسة مقبلة وموسعة عن الحركات
الدينية الاسلامية وعلاقتها ومواقفها من النهضة والتنمية بشكل خاص ،
واقعها من التغيرات التاريخية الحضارية فى تاريخ امتنا بشكل عام » .

البنیویة تقوم على دراسة « العلاقة السببية » أو « الترابط بين أجزاء البناء » • فالسببية موضوع العلوم الاجتماعية ومناهجها التقليدية خاصة الوضعية الاجتماعية في حين أن البنیویة تتجاوز ذلك الى طبيعة البنية ومكوناتها •

(ب) القيم والمعاني الاسلامية والتنمية :

ويتضمن البعد الثاني مجرد أفكار عامة عن شمول الاسلام لجوانب الحياة واعتماده على العقل وحرية الارادة ، وقيامه على المساواة والفضرة ، ودعوته لتسخير الطبيعة ، واعزازه لقيم العمل والتوازن بين الانتاج والتوزيع ، وتحقيقه لمصالح الامة • وهى أفكار معروفة عن روح الاسلام لا تتضمن جديدا • والاجدى هو محاولة تحليل كيف يمكن توظيف هذه المفاهيم في عمليات التنمية الحالية (نظرا) والى أى حد أمكن تطبيقها (عملا) في تجارب التنمية الحديثة في العالم الاسلامى ، وما هو موقف الحركة السلفية منها فهما واعتماذا • كيف يمكن لهذه المفاهيم السهلة الواضحة أن تكون عناصر محكمة يمكن بها معالجة مشاكل التنمية المعقدة في اطار عالمى متشابك •

(ج) البعد التاريخى :

ويتضمن هذا البعد الثالث على مجرد تطبيق حرفى للمنهج التاريخى بلا وعى ولا هدف ويعطى معلومات عن تاريخ انتشار الاسلام في

المرحلة الاولى ولا شأن له بالعصر الحديث والفكر السلفى وهو أحد شقى البحث ، ويتحدث عن فتح العراق والشام ، وينتظر الى الشعوبية ، ويركز على العامل السياسى ، ويبين حدود الفكر الدينى العقلانى « المستنير » * وكل ذلك لا شأن له بموضوع البحث انما تطبيق للمنهج التاريخى كما تتطلبه البحوث الاجتماعية «الايديولوجية».

(د) الحركات الدينية السلفية الحديثة والتنمية :

ويمثل البعد الاخير نصف البحث تقريبا ، وهو نفس العنوان الرئيسى للبحث وكأن الباحث فى أبعاده الثلاثة الاولى انما كان يقدم للبحث نفسه * وحتى فى هذا البعد الاخير لم يعط الباحث أكثر من عموميات لا علاقة لها بالموضوع ، مجرد معلومات عامة عن علاقة العالم الاسلامى بالغرب فى القرن التاسع عشر ، ورصد للحركات الاصلاحية ووصفها جميعا بالسلفية ودون تمييز بين مراحلها ونوعياتها المختلفة (مرحلة الرواد الاوائل ، مرحلة الاخوان المسلمين ، مرحلة الجماعات الاسلامية الحالية) *

ولا توجد علاقة بين الابعاد الاربعة ، مجرد أربعة مداخل متفاوتة فى موضوعها ومادتها ومنهجها تحت عنوان واحد ، لا رابط بينها ، لا يقدم كل واحد منها نتائجها للآخر حتى تصب جميعا فى الموضوع الاخير ، وهو الموضوع الرئيسى للبحث *

أما الخاتمة فهى عدائية صرفة للحركة الاسلامية بلا مبرر ،

وانتقاص من قيمتها بلا برهان • ولا توجد نتائج عامة للبحث عن العلاقة العضوية الداخلية بين السلفية والتنمية • وذلك لان البحث في مقدمته الاولى لم يبين هدفه ولا الافتراض العلمى الذى يريد اثباته •

ولا تشفع للبحث بعض العبارات وأساليب التعبير المعروفة عند بعض الباحثين في لبنان أو في المغرب العربى مثل نهضوية • وكذلك « علم الاجتماع بالجماعات الانتوغرافية » •

٣ - المراجع العامة والاشارة اليها :

يحشد البحث قائمة من المراجع في نهاية البحث عربية وأجنبية ، معظمها خارج عن الاصول الاولى التى يمكن الاعتماد عليها كمادة للموضوع • كما حشد هذه المراجع في الهوامش دون الاشارة الى أرقام الصفحات (١) • كما أن البحث يحتوى على عديد من الاخطاء

(١) الامثلة عديدة على ذلك منها :

- أ - ماركس / انجلز : البيان الشيوعى .
- ب - سمير أمين : الطبقة والامة في التاريخ في المرحلة الامبريالية .
- ج - Max Weber : The Protestant Ethics
- د - Emile Durkheim : The Elementary Forms
- هـ - Lenski : The Religious Factor
- و - A. F. A. Hussain : Human and Social impact ...
- ز - Ahmadulla 'Mia : In Fluence of Urban ...
- ح - محمد عبده : رسالة التوحيد .
- ط - كمال المنوفى : الاسلام والتنمية .
- ى - عبد العزيز الدورى : التكوين التاريخى .
- ك . محمد عابد الجابرى : تكوين العقل العربى .
- ل - محمد خليل حواس : الحركة الوهابية .

المطبعة التي يجب تصحيحها (١) *

فالبحث بهذه الصورة ، موضوعا ومنهجا ، وخطّة وأسلوبا ،
ومقدمة ونتائج غير صالح للنشر الا بعد اجراء تعديلات جذرية عليه
تجعل له موضوعا محددًا ومنهجا محددًا ونماذج محددة لبيان العلاقة
بين السلفية والتنمية *

(٢) مثال ذلك :

- أ- أنور الجندى وليس أنوار .
- ب- أبو الحسن الندوى وليس النووى .
- ج- راشد البراوى وليس البرادى ،

فهرس الموضوعات

الدين والتنمية القومية في مصر

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
اولا - التطور الدينى فى مصر الحديثة	٥
(أ) الاتجاهات الدينية قبل ١٩٥٢	٦
(ب) التكوين الدينى للضباط الاحرار	٩
(ج) القرارات الدينية الرئيسية أو اثر التنمية على الدين	١٢
١ - الغاء المحاكم الشرعية	١٢
٢ - قانون الاحوال الشخصية	١٤
٣ - الغاء الوقف	١٧
٤ - قانون تطوير الازهر	١٨
٥ - المجلس الاعلى للشئون الاسلامية	٢٤
٦ - التربية الدينية	٢٧
٧ - البرامج الدينية فى ميادين الثقافة وأجهزة الاعلام	٣٠
٨ - تنظيم الطرق الصوفية	٣٣
٩ - حركة بناء المساجد وتوجيه الأئمة	٣٦

الموضوع	الصفحة
ثانياً — دور الدين في معارك التنمية	٤٣
(أ) المرحلة الأولى : الدين والثورة الوطنية (١٩٥٢ — ١٩٦٠)	٤٥
١ — قيم الثورة	
١ — الاتحاد والنظام والعمل	٤٥
٢ — الثورة ضد الفساد ، والتحرر من الاستعمار	٤٦
٣ — الجهاد والتضحية	٤٩
٢ — الحرية والديموقراطية	
٤ — التقدم والشورى	٥٨
٥ — حرية المواطن وحرية الوطن	٦٠
٦ — الديموقراطية والنظام الجمهورى	٦٦
٣ — التضامن والوحدة	
٧ — التضامن بين الشعوب	٦٨
٨ — التعصب والارهاب	٧٢
٩ — الوحدة العربية والوحدة الوطنية	٨٤
(ب) المرحلة الثانية : الدين والتنمية المستقلة (١٩٦١ — ١٩٦٦)	١١٠
١ — الاشتراكية والاسلام	١١٠
(أ) الاسلام أول دين اشتراكى	١١٠
(ب) الرد على الرجعية العربية	١٢٤

الموضوع	الصفحة
٢ — الحلف الاسلامى	١٣٧
(ا) الدوائر الثلاث	١٣٧
(ب) الرد على الحلف الاسلامى	١٤٥
(ج) المرحلة الثالثة : العودة الى الايمان (١٩٦٧ — ١٩٨١)	١٥٧
١ — رد فعل على الهزيمة	١٥٨
(ا) تهمة الكفر والاحاد	١٥٨
(ب) الدين والايمان	١٦٦
(ج) القدريية والتسليم	١٦٨
(د) القيم الروحية	١٧٦
٢ — الهوس الدينى	١٧٩
(ا) قيم الايمان	١٨١
(ب) العلم والايمان	١٨٤
(ج) الدين ضد المعارضة	١٨٩
٣ — خاتمة	١٩٣
(ا) الدين والمعركة ضد اسرائيل	١٩٤
(ب) الدين ومعارك التنمية	٢٠٧
٢ — اثر المعامل الدينى على توزيع الدخل القومى فى مصر	٢١١
أولا — مقدمة	٢١١

الموضوع	الصفحة
ثانيا - القيادة السياسية واستخدام الدين كاجراء دفاعى في الصراع على السلطة :	٢١٤
١ - الاسلام والمساواة الاجتماعية . استخدام الاسلام في الستينات (١٩٥٢ - ١٩٧٠)	٢١٥
(ا) المساواة ، العدالة ، تكافؤ الفرص ، تذويب الفوارق بين الطبقات (١٩٥٢ - ١٩٥٦)	٢١٦
(ب) الاشتراكية الديموقراطية التعاونية (١٩٥٧ - ١٩٦٠)	٢١٩
(ج) الاشتراكية العربية (١٩٦١ - ١٩٧٠)	٢٢٣
٢ - الاسلام واللامساواة الاجتماعية ، استخدام الاسلام في السبعينات (١٩٧٠ - ١٩٧٧)	٢٣١
(ا) التراجع عن اشتراكية الستينات (١٩٧١ - ١٩٧٣)	٢٣٢
(ب) سياسة الانفتاح (١٩٧٣)	٢٣٥
(ج) الاشتراكية الديموقراطية (١٩٧٥)	٢٣٧
ثالثا - المؤسسة الدينية واستخدام الدين لتبرير قرارات القيادة السياسية	٢٤٦
رابعا - ثقافة الجماهير كاستمرار تاريخى متشابه للمساواة واللامساواة	٢٥٩
خامسا - خاتمة	٢٨٠
٣ - معارك الدين والتنمية	٢٨٩

الموضوع	الصفحة
(أ) الجسد يسار ، والعقل يمين	٢٨٩
(ب) الاشتراكية الديموقراطية بين النظرية والتطبيق	٢٩٣
(ج) بين العالم والراوى	٣٠٠
(د) تحية الى رجل الشارع	٣٠٦
٤ - مراجعة وتقرير	٣١٣
(أ) التصوف والتنمية	٣١٣
(ب) تقرير عن بحث « الفكر الدينى السلفى والتنمية »	٣١٨

لنفس المؤلف

أولا - تحقيق وتقديم وتعليق :

- ١ - أبو الحسن البصرى : المعتمد فى أصول الفقه ، جزءان . المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٥ .
- ٢ - الحكومة الاسلامية للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٧٩ .
- ٣ - جهاد النفس أو الجهاد الاكبر للامام الخمينى ، القاهرة ١٩٨٠ .

ثانيا - اعداد واشراف ونشر :

- ١ - اليسار الاسلامى ، كتابات فى النهضة الاسلامية ، العدد الاول ، المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨١ .

ثالثا - ترجمة وتقديم وتعليق :

- ١ - نماذج من الفلسفة المسيحية (المعلم لأوغسطين ، الايمان باحثا عن العقل لأنسليم ، الوجود والماهية لتوما الاكوينى) ، الطبعة الاولى دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ١٩٦٨ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .
- ٢ - اسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، الطبعة الاولى ، الهيئة العامة للكتاب : القاهرة ، ١٩٧٣ ، الطبعة الثانية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، الطبعة الثالثة ، دار الطليعة ، بيروت ١٩٨١ .
- ٣ - لسنج : تربية الجنس البشرى وأعمال أخرى ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ .

٤ — جان بول سارتر : تعالى الأنا مجود ، الطبعة الاولى ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير بيروت ١٩٨٢ .

رابعاً — مؤلفات بالعربية :

١ — قضايا معاصرة ، الجزء الأول ، في فكرنا المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢ — قضايا معاصرة ، الجزء الثانى ، في الفكر الغربى المعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٨ .

٣ — التراث والتجديد ، موقفنا من التراث القديم ، الطبعة الاولى المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، الطبعة الثانية دار التنوير ، بيروت ١٩٨١ ، الطبعة الثالثة ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٧ .

٤ — دراسات اسلامية ، الطبعة الاولى ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨١ ، الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٢ .

٥ — من العقيدة الى الثورة ، محاولة لاعادة بناء علم أصول الدين ، (خمسة مجلدات) الطبعة الاولى ، مدبولى ، القاهرة ١٩٨٨ .
الطبعة الثانية ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٨ .

٦ — الدين والثورة فى مصر ١٩٥٢ — ١٩٨١ ، ثمانية أجزاء ، مدبولى القاهرة ١٩٨٨ .

٧ — دراسات فلسفية ، الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٨ .

خامسا — مؤلفات بالفرنسية والإنجليزية :

- 1 . Les Méthodes d'Exégèse, essai sur la science des fondements de la Compréhension, ilm usul al-Fiqh, Le Caire, 1965 .
- 2 . L'exégèse de la phénoménologie, l'Etat actuel de la méthode phénoménologique et son application au phénomène religieux (Paris, 1965) . Le Caire, 1980 .
- 3 . La phénoménologie de l'Exégèse, essai d'une herméneutique existentielle à partir du Nouveau Testament, (Paris, 1966), Le Cairo, 1989 (sous-press).
- 4 . Religious Dialogue and Revolution, essays on Judaism, Christianity and Islam, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1977 .
- ٥ . Dailogue Religieux et Révolution Vol. II. Anglo-Egyptian Bookshop, Le Caire, 1989 (Sous-presse).
- 6 . Religion, Ideology and Development, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1989 (In print).

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٩/١٥٧٩

ترقيم دولى : ٣ - ١١٠ - ١٣٣ - ٩٧٧

دار النشر للطباعة

الدين والثورة

فكر مصر
١٩٥٢ - ١٩٨١

- ١- الدين والثقافة الوطنية
- ٢- الدين والتحرر الثقافي
- ٣- الدين والنضال الوطني
- ٤- الدين والتنمية القومية
- ٥- الحركات الدينية المعاصرة
- ٦- الأصولية الإسلامية
- ٧- اليمين واليسار في الفكر الديني
- ٨- اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية

To: www.al-mostafa.com